

مِيسَلَةُ شُرُوحَاتٍ وَمُؤَلَّفَاتٍ مَعَآلِي الشَّيْخِ صِلَاحِ الْفُوزَانِ ١٥

مِيسَلَةُ شَيْخِ السَّيِّدَاتِ

لِلْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

الشَّيْخِ

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ

الدَّكْتُورِ صِلَاحِ بْنِ فُوزَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْفُوزَانِ
بِقَرَارِ اللَّهِ لَهُ وَلَرِ الْإِذْنِ وَطِبَعَ السَّيِّدَاتِ

اِبْتِغَاءً بِهِ وَأَسْرَفَ عَلَى طَبْعِهِ

د. سَلْمَانُ جَابِرُ عُثْمَانَ الْمُجَاهِدِ السُّوَلِيمِ

بِقَرَارِ اللَّهِ لَهُ وَلَرِ الْإِذْنِ وَطَبَعَ السَّيِّدَاتِ

مَكْتَبَةُ الْأَمْرِ الدَّهْيَلِيِّ

الْمَكْتُوبِ

الْبَيْتُ الدَّهْيَلِيُّ

الرِّيَاضِ

مِيسَلَةُ
شَيْخِ
السَّيِّدَاتِ

سلسلة
شيخ السائل

للإمام / محمد بن عبد الوهاب

٢ مؤسسة التراث الذهبي للنشر والتوزيع، ١٤٤٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المجلد، سلمان جابر

شرح الرسائل للإمام محمد بن عبد الوهاب، / سلمان جابر المجلد، -

الرياض، ١٤٤٠ هـ

٣٢٤ ص؛ ١٧/٢٤ سم

ردمك: ٣-٦-٩١١٠١-٦٠٣-٩٧٨

١- العقيدة الإسلامية - مجموعات

أ. العنوان

١٤٤٠/٢٦٦٥

ديوي ٢٤٠،٨

رقم الإيداع: ١٤٤٠/٢٦٦٥

ردمك: ٣-٦-٩١١٠١-٦٠٣-٩٧٨

حَقُوقُ الطَّبَعِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الثانية

(١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٣ م)



مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع

الفرع الرئيسي: حولي - شارع المثني - مجمع البدري - ت، ٢٢٦٥٨٠٦

فرع المصاحف: ت ٢٢٦١٥٠٤٦ - فرع الجبراء: الناصر مول، تلفون: ٩٥٥٥٨٦٠٨

فرع الفحيحيل: البرج الأخضر - شارع الدبوس - تلفون: ٢٥٤٥٦٠٦٩ - ٩٥٥٥٨٦٠٧

فرع الرياض: المملكة العربية السعودية التراث الذهبي - جوال ٥٥٧٧٦٥١٣٨ - ٠٠٩٦٦

الخط الساخن: جوال ٥٥٥٩٠٥٤٤٠٩٦٥٠٠

z.zahby74@yahoo.com imamzahby

سلسلة شجرة السائل

للإمام / محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

الشَّجَرُ

لفضيلة الشيخ العلامة
الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ

اعتنى به وأشرف على طبعه

د. سلمان جابر عثمان المجاهد السويعي

عَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبيينا محمد وآله وصحبه وبعد:
فقد أذنت لابننا وتلميذنا فضيلة الشيخ الدكتور سلمان بن جابر بن عثمان المجلهم
بطباعة شرح رسالة الأصول الستة، ورسالة تفسير كلمة التوحيد، ورسالة الجامع
لعبادة الله وحده، ورسالة معنى الطاعات، ورسالة ستة مواضع من السيرة، ورسالة
بعض فوائد سورة الفاتحة، للإمام محمد بن عبد الوهاب.

رجاء أن ينفع الله به، ويكتب لي وله الأجر.

وصلى الله على نبيينا محمد وآله وصحبه.

كتبه: د. صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة


٥٩٢٤٩ / ١١١٥

مُقدِّمةُ النَّاشِرِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

لقد شرح شيخنا العلامة الدكتور/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان - أثابه الله تعالى - مجموعة من التأليف النافعة، والرسائل الماتعة من مؤلفات الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ، يتناول في كل رسالة قضايا دينية عقدية هامة، ومواضيع شرعية جليلة، في سبع رسائل مهمة في باب الاعتقاد، وهي:

- رسالة الأصول الستة، يذكر فيها الإخلاص والاجتماع والسمع والطاعة لمن تأمر على المسلمين، وبيان العلم الشرعي، وصفة أهله؛ تميزا عن غيرهم من المتعالمين، ومن هو ضدهم من سائر المنحرفين، ورد شبهتهم، ووصف كل فريق.

- ورسالة ستة مواضع من السيرة، من سيرة الرسول الأمين، خاتم الأنبياء والمرسلين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يوضح فيها طريقة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفيها بيان دين الأنبياء والمرسلين عَلَيْهِمُ السَّلَام، ومعرفة الشرك، والحذر منه، فيشير الامام المجدد محمد بن عبد الوهاب التميمي رَحِمَهُ اللهُ إلى هذه المواضع الستة المختارة، مع بيان العلم النافع فيها.

- رسالة تفسير كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»، وبيان المعنى الصحيح لها، وهي الكلمة الفارقة الفاصلة بين الكفر والاسلام، والتحذير من التفاسير الخاطئة المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

- رسالة الجامع لعبادة الله وحده، يبين فيها الامام المجدد معنى العبادة وأنواعها، التي لا تصلح إلا لله العظيم الصمد جَلَّ وَعَلَا.

- رسالة معنى الطاغوت، وشرح مباحثها ذات الصلة، وأن الإيمان يستلزم الكفر بالطاغوت، وبيان ذلك، وذكر رؤوسه، والواجب الشرعي نحو ذلك.

- رسالة بعض فوائد سورة الفاتحة، وذكر بعض المسائل ومتعلقاتها، وبيان أن هذه السورة العظيمة تضمنت أقسام التوحيد الثلاثة: الألوهية والربوبية والأسماء والصفات.

- رسالة نواقض الإسلام العشرة، وفيها بين رَحِمَهُ اللهُ النواقض العشرة للإسلام؛ محذراً من الوقوع فيها؛ لئلا ينتقض إسلام المرء بأحد هذه النواقض.

وفقنا الله وأكرمنا بأن نكون من أهل التوحيد والسنة والنور التام يوم القيامة! وجنبنا ظلمات الشرك وأغواره! إنه سميع قريب مجيب.

جزى الله شيخنا ووالدنا الكريم معالي الشيخ الدكتور/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان خير الجزاء على بيانه ونشره وبثه للعلم النافع، ودعوته للتوحيد والسنة، نحسبه والله حسيبه، ولا نزكي على الله أحداً،

وجعل ذلك في ميزان حسناته، وتقبل منا ومنه، وجعلنا برحمته من الفائزين،
ممن زحزح عن النار وأدخل الجنة برحمة الإله الحق المبين رب العالمين!

وقد أعد هذا الكتاب على نفقة الشيخ أبي عبدالرحمن / مساعد بن علي
الشايحي، والشيخ أبي وائل / محمد بن أحمد الفرحان وزوجته الكريمة، غفر
الله لهم، وتقبل منهم، وجزاهم خير الجزاء في الدنيا والآخرة!

ومما يشار إليه أن إعداد هذا الكتاب، وريعه والعائد من بيعه، وكل ما
بذل فيه هو وقف لله تعالى، وهو مشروع وقفي من أموال وقفية، تقبل الله من
الجميع، والله أعلم وأعظم وأحكم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين.

كتبه

د. سَلْمَانُ جَابِرُ عَثْمَانَ الْمُجَلِّهِيُّ السُّوَيْلِيُّ

عَفَرَ اللَّهُ لَهٗ وَلِرَأْسِهِ وَلَا لِأَهْلِ بَيْتِهِ وَلَا لِأَخِيهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الشارح

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فإننا قرأنا -والحمد لله- كثيراً من كتب العقائد؛ عقيدة أهل السنة والجماعة، قرأنا (العقيدة الواسطية) لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، وقرأنا (العقيدة الطحاوية) للإمام الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ، وقرأنا جزءاً من (لمعة الاعتقاد) للإمام الموفق بن قدامة، ورأينا أن نقرأ بعد ذلك مسائل في العقيدة للشيخ الإمام المجدد/ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ؛ لأن كتب العقائد تذكر المنهج العام لعقيدة أهل السنة والجماعة، وهذه المسائل تدرس واقع وحوادث تطبيقية لهذه العقائد التي درسناها، ما يكفي أنك تدرس العقائد فقط، وتحفظها، بل لا بد أن تطبقها على واقع الناس، وتحكم على واقع الناس من خلالها على أنه صحيح، أو أنه خطأ، فميزة رسائل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أنها تطبيقية للعقائد، حوادث واقعة فيها تطبيق للعقيدة التي درسناها، ونظر هذه الحوادث وهذه الوقائع وما فيها من خطأ على ضوء العقائد التي درسناها، وهذا عمل جيد، فلا يكفي أن الإنسان يحفظ المتون في العقائد وغيرها من دون أن يطبقها على واقع الناس، فيحكم بالصحة أو الفساد، وهذه الرسائل مختصرة؛ فهي مأخوذة من كتاب الله ومن سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي على ضوء عقائد السلف وتطبيق لها -كما ذكرت-، وسبق أن درسنا بعض

هذه الرسائل؛ درسنا (كتاب التوحيد)، وهذا يعتبر من أكبر الرسائل، درسنا (مسائل الجاهلية)، درسنا (كشف الشبهات)، كل هذا درسناه، وهو من رسائل الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ، وهي تطبيقية لعقائد السلف، فيكون معنا الآن سبع رسائل، اكتبوها، وهي في مجموعة التوحيد، هذه الرسائل في مجموعة التوحيد، ومجموعة التوحيد - والحمد لله - متوفرة مطبوعة متيسرة.

الرسالة الأولى: ستة مواضع من السيرة النبوية.

الرسالة الثانية: تفسير كلمة التوحيد.

الرسالة الثالثة: الجامع في عبادة الله وحده.

الرسالة الرابعة: معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه.

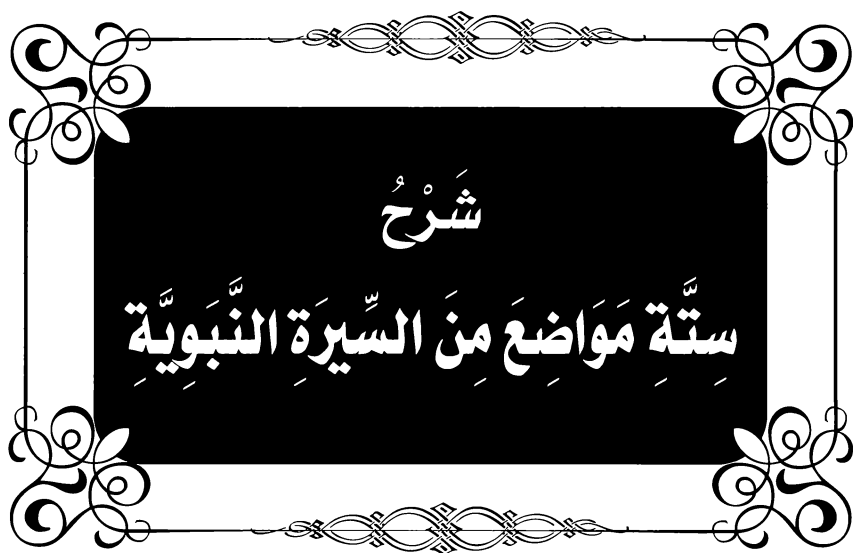
الرسالة الخامسة: فوائد في سورة الفاتحة.

الرسالة السادسة: نواقض الإسلام.

الرسالة السابعة: الأصول الستة.

ولعلنا - إن شاء الله - نكمل هذه الرسائل في هذه الدورة بإذن الله.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:
تَأَمَّلْ -رَحِمَكَ اللَّهُ- سِتَّةَ مَوَاضِعَ مِنَ السَّيِّرةِ، وَافْهَمْهَا فَهْمًا حَسَنًا.

الشرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

السيرة: المراد بها سيرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي الطريقة التي كان يسير عليها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ بعثته إلى أن توفاه الله عَزَّوَجَلَّ؛ في العبادة، وفي المعاملات، وفي الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وفي الجهاد، والهجرة، وفي التعليم، فكل أفعاله وأقواله وتصرفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي سيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا أمر مهم أن المسلم يدرس سيرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أجل أن يقتدي به؛ لأن الله جَلَّوَعَلَا قد جعله قدوة لنا، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]، فهو قدوتنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلندرس سيرته من أجل أن نقتدي به في ذلك، وهذا هو المطلوب من دراسة السيرة والتفقه فيها، ليس المقصود أن السيرة تُقرأ في مناسبة مبتدعة -مثل: مناسبة المولد-؛ فإن هذه القراءة لا تسمن، ولا تغني من جوع؛ لأنها ليست للتفقه فيها، وإنما هي للتبرك؛ جرياً على العادة فقط، فلا تفيد شيئاً، إنما تخصيصها بوقت معين، ثم تطوى، هذا الأمر لا ينفع،

ولا يفيد، السيرة مطلوب دراستها دائماً، ولا نقصد بالدارسة أننا نقرأها من أولها إلى آخرها، ونقول: «قرأنا السيرة»، لا، لابد أن نتفقه فيها، ونقتدي بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أفعاله وأقواله، هذا هو المقصود.

وقد كتب الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كتاباً عظيماً في فقه السيرة، وهو «زاد المعاد في هدي خير العباد»، وكتب بعض المعاصرين كتابات، منها ما هو صحيح، ومنها ما هو سيء، ومنهم من انحرف، وجاء بالشركيات وحث على التبرك بالآثار، وجع هذا هو المقصود من قراءة السيرة، ولكن هذا لا عبرة به؛ لأن كلاً ينفق مما عنده؛ الذي عنده شيء جيد ينفق شيئاً جيداً، والذي عنده شيء رديء، ينفق رديئاً، والحمد لله، نسأل الله أن يهدينا وإياكم، ويهدي هؤلاء إلى سواء السبيل، وأن يردهم إلى الحق! ونحن لا نتندر بهم؛ لئلا يصيبنا ما أصابهم، ولكن نسأل الله العافية، نسأل الله أن يهديهم، وأن يردهم إلى الصواب!

فالمقصود من دراسة سيرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الاعتبار والعمل، والافتداء بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأخذ الأحكام منها، هذا هو المطلوب؛ لأن كل حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلها خير، وكلها علم، وكلها عمل صالح، كلها جهاد، وكلها دعوة، وكلها تعليم، حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فائضة بالخير العظيم من جميع النواحي، كلها عبادة؛ فعلينا أن نعني بسيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أخذ منها ستة مواضع مهمة، والبقية موجودة في سيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن هذه المواضع تتعلق بالعقيدة.

لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُفَهِّمَكَ دِينَ الْأَنْبِيَاءِ؛ لِتَتَّبِعَهُ، وَدِينَ الْمُشْرِكِينَ؛ لِتَتْرُكَهُ.

❖ الشرح ❖

هذا المقصود من دراسة السيرة: أن تفهم دين الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، تفهم التوحيد؛ لتتبعه، وتفهم الشرك؛ من أجل أن تجنبه؛ فلا يكفي أن الإنسان يعرف الحق فقط، بل لا بد أن يعرف الحق، ويعرف الباطل، يعرف الحق؛ من أجل أن يعمل به، ويعرف الباطل؛ من أجل أن يتجنبه؛ لأنه إذا لم يعرف الباطل، وقع فيه، وهو لا يدري.

فأنت عندما تسير في طريق، وأنت لا تعرف هذا الطريق، وفيه حُفر، وفيه مهالك، ربما تهلك، وأنت لا تدري، تقع في الحفر، وأنت ما دريت، لكن إذا درست الطريق، فعرفت ما فيه من المسالك، وما فيه من الأخطار، فإنك تكون على بينة؛ تتجنب المهالك التي في الطريق، هذا في الأمور الحسية.

كذلك في الأمور العقدية من باب أولى، فلا بد أن تعرف الباطل، تعرف الشرك، وما هي أنواعه، وما هي أسبابه، وما هي الوسائل التي توصل إليه؛ حتى تتجنبها، يقول الشاعر:

عَرَفْتُ الشَّرَّ لَا لِلشَّرِّ لَكِنْ لِتَوْقِيهِ وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الشَّرَّ مِنَ النَّاسِ يَقَعُ فِيهِ^(١)

حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الصحابي الجليل يقول: «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي»^(٢).

(١) البيت لأبي فراس الحمداني. انظر: يتيمة الدهر (١/ ٨٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٠٦، ٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧).

فلا بد من معرفة الخير ومعرفة الشر، والبعض اليوم يقول: «تعرف الحق، وليس من الضروري أن تعرف ما يضاده». وهذا باطل؛ لأنك إذا لم تعرف الباطل، يظل خافياً، فتفضل الحق، لاسيما ودعاة السوء ودعاة الضلال على استعداد لإضلال الناس.



فَإِنَّ أَكْثَرَ مَنْ يَدَّعِي الدِّينَ وَيَدَّعِي أَنَّهُ مِنَ الْمُوحِدِينَ لَا يَفْهَمُ السِّتَةَ كَمَا يَنْبَغِي.

• الشرح •

المشركون يتقربون إلى الله بالشرك؛ يظنون أنه خير؛ لأنهم لا يعرفون الشرك، فصاروا يتقربون به إلى الله!! فهم يذبحون للأولياء والصالحين، ويتبركون بقبورهم، ويستغيثون بهم، ويقولون: «نحن نعلم أنهم ليس لهم من الأمر شيء، وأنهم لا ينفعون ولا يضرّون، لكنهم صالحون، نريد منهم أن يتوسطوا عند الله سُبْحَانَهُ»؛ كما قال الله عن أسلافهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾، هم يعترفون أنهم لا يضرّونهم، ولا ينفعونهم؛ ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾، اتخذوهم شفعاء فقط، وفي الآية الأخرى: ﴿وَلِأَنَّهُمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾، لم يتعلموا؛ فهم يحسبون أن هذا خير.

وهذا هو واقع غالب الناس اليوم، الكثير من المنتسبين إلى الإسلام هذا واقعهم، يتقربون إلى الله بالشرك؛ مثلما تقرب المشركون الأولون؛ يذبحون للقبور، ويندرون لها، ويطوفون بها، ويتبركون بها، ويقولون: «ما عبدنا غير الله، لكن هؤلاء رجال صالحون، ونحن قصدنا أنهم يتوسطون لنا عند الله فقط»، والله يقول: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، ما أرادوا الشرك، ولا قصدوه، وإنما ظنوا أنهم يؤدون عبادة وقربة إلى الله سُبْحَانَهُ؛ يقربونهم إلى الله زلفى،

انظر كيف يأتي الشيطان إلى بني آدم، وكيف يأتي شياطين الإنس إلى بني آدم، ويزينون هذه الأمور، يقولون لهم: «أنتم ما تعبدون أصنام، أنتم تتوسطون بالناس الصالحين بينكم وبين الله». والله جَلَّ وَعَلَا اعتبر هذا شركاً، فقال: ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾، جعله عبادة، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى﴾ [يونس: ١٨]، نزه نفسه عن ذلك، فقال: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، فسماه شركاً. وهم لا يسمونه شركاً، يسمونه طلب الشفاعة، فيجب التنبه لهذا.

أنت درست في العقيدة أن الشرك حرام، وأنه أكبر الكبائر، وأنه لا يُغفر، لكن فهم الشرك أين هو؟ لا بد أن تعرف من أعمال الناس وتطبيقاتهم ما هو شرك، وما هو توحيد.

هم يقولون: «هذا من التوسل بالأولياء والصالحين، وهذا هو التوحيد، وهذا يحبه الله، وإن هؤلاء عباده، وإنهم صالحون، والله يحب هذا»، فيتقربون إلى الله بهؤلاء، يسمونه الدين، ويسمونه التوحيد، يسمون الشرك توحيداً؛ لجهلهم وعمى بصائرهم.



المَوْضِعُ الْأَوَّلُ: قِصَّةُ نُزُولِ الْوَحْيِ، وَفِيهَا أَنَّ أَوَّلَ آيَةٍ أَرْسَلَهُ اللَّهُ بِهَا: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ ۝١ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝٢ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝﴾ [المدرثر: ١-٧].

الشرح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (المَوْضِعُ الْأَوَّلُ: قِصَّةُ نُزُولِ الْوَحْيِ)؛ أي: بدء الوحي على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل البعثة مخالفا لما عليه المشركون، لم يعبد الأصنام، وكان مخالفا لما عليه قومه، فكان يذهب إلى غار جبل حراء، وهو غار في أعلى الجبل مواجه للكعبة، فكان يجلس فيه الأيام والأشهر يعبد الله عَزَّوَجَلَّ، ويعتزل عن الناس، يعبد الله عَزَّوَجَلَّ على دين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام، على الحنيفية دين إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جاءه ملك وهو في الغار، فقال له: اقْرَأْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَنَا بِقَارِيٍّ»، لأنه ما كان يقرأ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ۝﴾ [العنكبوت: ٤٨]، كان أميا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يقرأ، ولا يكتب. والملك يقول له: اقْرَأْ. وهو يقول: «مَا أَنَا بِقَارِيٍّ»؛ يعني: لا أحسن القراءة^(١)، ثم يضمه ضمة شديدة، ثم يرسله، ويقول له: اقْرَأْ. فيقول: «مَا أَنَا بِقَارِيٍّ»، ثم يضمه ضمة شديدة، ثم يرسله، ويقول له: اقْرَأْ. فيقول: «مَا أَنَا بِقَارِيٍّ»؛ أي: ما أحسن القراءة.

ثم في النهاية قال له: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾ [العلق: ١-٥]»^(٢)،

(١) انظر: فتح الباري (١/ ٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فحفظها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا أول ما نزل عليه من الوحي، وصار بذلك نبياً، نبأه الله بـ ﴿أَقْرَأْ﴾.

ثم ذهب إلى خديجة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وذكر لها ما حصل له، وكان خائفاً، ترعد فرائضه؛ مما رأى من هول الموقف، ومجيء الملك إليه في هذا المكان، وقال لها: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»، فقالت: «كَلَّا وَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ»، استدلت بصفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطيبة على أن الله لا يوقع به ما يخشاه: «لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا»^(١)؛ لأن صفاته صفات حميدة، وهذا من فقهاها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فهي أول من طمأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وناصره، وآنسه من هذه الوحشة، وهذا موقف عظيم منها.

ثم قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَثُرُونِي»^(٢)؛ أي: غطوني، وغطته؛ وبينما هو كذلك جاءه الملك، فقال له: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدِيرُ ۝١﴾ ﴿قُرْآنِدِرُ﴾ [المدر: ١-٢]، فصار بذلك رسولاً؛ لأنه بهذا أمر بتبليغ، وفي الأول لم يؤمر بالتبليغ، قيل له: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، لم يؤمر بالتبليغ، صار نبياً بذلك، ثم جاءت الرسالة، وهي أنه أمر بالتبليغ: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدِيرُ ۝١﴾ ﴿قُرْآنِدِرُ﴾ ۝٢ ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٢﴾ ﴿وَتَبَارَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ وَالرَّجَزَ فَاهْجُرْ ۝ [المدر: ١-٥]، الرجز: الأصنام، هذا محل الشاهد، وهجرها: تركها والابتعاد عنها.

(١) أخرجه البخاري (٣، ٤٩٥٣، ٦٩٨٢)، ومسلم (١٦٠)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٢٢، ٤٩٢٤)، ومسلم (١٦١) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾، لا بد من الصبر؛ لأن المهمة ثقيلة جدًا وطويلة،
وتحتاج إلى صبر، هذا أول ما بعث الله به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنهاي عن
الشرك، أول شيء أمره بأن ينهى عن الشرك: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾.

﴿فُرْ فَأَنْذِرْ﴾، أنذر عماذا؟ أنذر الناس عن الشرك وعبادة الأصنام،
أنذرهم عنها، أول شيء أنه أمر بالإنذار، وأمر بهجر الأصنام وتركها؛ مما
يدل على خطورة الشرك.



فَإِذَا فَهِمْتَ أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً، يَعْرِفُونَ أَنَّهَا مِنَ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ
مِثْلُ الزَّنا.

وَعَرَفْتَ -أَيْضًا- أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ شَيْئًا مِنَ الْعِبَادَةِ يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى اللَّهِ، مِثْلُ
الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، وَالصَّدَقَةِ عَلَى الْمَسَاكِينِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

— ❖ الشَّرْحُ ❖ —

هؤلاء أهل الجاهلية كانوا يمارسون القبائح؛ الزنا والربا والكبائر،
ومع هذا عندهم بقايا من دين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ كانوا يحجون، ويعتَمرون،
وكانوا يتصدقون على المحتاجين، هذه الأفعال طيبة، لكن ليس معها توحيد،
والعمل -وإن كان عملاً طيباً- إذا لم يكن معه توحيد، فإنه لا يفيد صاحبه.

ويعملون أعمالاً سيئة إلى جانب هذه الأعمال الطيبة؛ يعملون أعمالاً
سيئة؛ أعظمها الشرك، يفعلون الزنا، ويأكلون الربا، ويأكلون الميسر، وهذه
كبائر، لكن أعظمها الشرك؛ من عبادة الأصنام وغيرها، ويتقربون بها إلى
الله، يتقربون بهذا الشرك إلى الله من جهلهم، يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا
لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٢٥]، انظر كيف يفعل الجاهل بأصحابه، يجعل
الحق باطلاً، والباطل حقاً، يعملون الشرك توحيداً وتقرباً إلى الله عَزَّجَلَّ. وهذا
يعطيك وجوب الاهتمام بأمر العقيدة وأمر التوحيد والفقه في ذلك.



وَأَجَلُّهَا عِنْدَهُمُ الشَّرْكَ، فَهُوَ أَجَلُّ مَا يَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَى اللَّهِ عِنْدَهُمْ؛
كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾
[الزمر: ٣]، وَيَقُولُونَ: ﴿هَؤُلَاءِ شَفَعْتُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، وَقَالَ تَعَالَى:
﴿اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾
[الأعراف: ٣٠].

— ❖ الشرح ❖ —

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَجَلُّهَا عِنْدَهُمُ الشَّرْكَ، فَهُوَ أَجَلُّ مَا يَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَى اللَّهِ عِنْدَهُمْ؛ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، وَيَقُولُونَ: ﴿هَؤُلَاءِ شَفَعْتُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، اعترفوا أنهم يعبدونهم؛ حيث قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾، لكن يقولون: «ما قصدنا بهذه العبادة إلا أنهم يقربونا إلى الله»، ويظنون أن هذا عمل طيب؛ لأنه تعظيم لله، وإجلال لله؛ «حيث إنهم يقربونا إليه؛ لأننا لانصل إليه إلا بعبادتهم، فهم يقربونا إلى الله؛ لأنهم صالحون»، وهم يعنون الملائكة، ويعنون الأنبياء؛ مثل: عيسى عَلَيْهِ السَّلَام، يتخذونهم وسائط بينهم وبين الله؛ ليقربوهم إلى الله زلفى.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾)، كيف اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله، وهم يتقربون بال صالحين؛ بعيسى، وبعزير، وبالملائكة؟ نعم، اتخذوا الشياطين؛ لأن هؤلاء الصالحين لا يرضون بذلك، ولم يأمرهم بذلك، وإنما

الذي أمرهم بهذا الشياطين، هي التي أمرتهم بعبادة المسيح، وعبادة الملائكة، وعزير، وغيرهم من الأنبياء والصالحين، فهم يعبدون الشياطين في الحقيقة؛ حيث أطاعوهم في عبادة هؤلاء، ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠]، يحسبون أن هذا هو الهدى، وأنه طريق خير وطريق صلاح، ولهذا يقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ (١٧) قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَلْبِغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعَابَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿[الفرقان: ١٧-١٨]، ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ، نزهوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُعْبَدَ غَيْرُهُ ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ [سبا: ٤٠-٤١].

فالملائكة تبرؤوا منهم، وأخبروا أنهم ما أمروهم بهذا، وإنما الذي أمرهم بهذا هم الشياطين من الجن والإنس، فصارت عبادتهم للشياطين الذين أمروهم، فبرأ الله عباده الصالحين من أن يأمرهم ذلك، ومع هذا يحسبون أنهم مهتدون، فدل على أنه ليست العبرة أن يكون الإنسان حسن النية، أو كونه ما قصد الشر، ليس العبرة بهذا، العبرة بالاتباع للرسول ومن سار على نهجهم، وحسن النية مع قبح الفعل لا ينفع، فلم يكن هذا عذراً لهم؛ لأن الله أرسل الرسل، وأنزل الكتب لإنكار ذلك.



فَأَوَّلُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ الْإِنذَارُ عَنْهُ قَبْلَ الْإِنذَارِ عَنِ الزَّنا وَالسَّرِقَةِ وَغَيْرِهِمَا.

❖ الشَّح ❖

أول ما أمر به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإنذار عن الشرك؛ حيث قال الله تعالى: ﴿وَالرَّجَزَ فَأَهْجُرْ﴾ [المذثر: ٥]، وذلك قبل أن يؤمر بالإنذار عن الزنا، وشرب الخمر، وأكل الربا، إنما هذه تُهي عنها فيما بعد، ولكن أول ما أمر به: ترك الشرك، لم يقل: «حذرهم من الكبائر، ومن الزنا، ومن الربا، ومن الخبائث التي كانوا يعملونها»، بل أول ما أمره بالنهي عن الشرك.

وأول ما أمروا به التوحيد، قبل أن يؤمروا بالصلاة والزكاة والصيام والحج؛ لأن التوحيد هو الأساس، ولا فائدة في الصلاة والحج والصيام والأعمال الصالحة مع عدم وجود التوحيد.



وَعَرَفَتْ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ تَعَلَّقَ عَلَى الْأَصْنَامِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَعَلَّقَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ وَعَلَى الْأَوْلِيَاءِ مِنْ بَنِي آدَمَ. وَيَقُولُونَ: مَا نُرِيدُ مِنْهُمْ إِلَّا شَفَاعَتَهُمْ.

— الشرح —

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَعَرَفَتْ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ تَعَلَّقَ عَلَى الْأَصْنَامِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَعَلَّقَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ وَعَلَى الْأَوْلِيَاءِ مِنْ بَنِي آدَمَ)، كانوا في الجاهلية متشتتين في عباداتهم ومعبوداتهم؛ منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يُفَرِّقَ بَيْنَهُمْ، بل نهاهم جميعاً، وقتلهم جميعاً، لم يُفَرِّقَ بَيْنَ مَنْ عَدَّ الْمَلَائِكَةَ وَالصَّالِحِينَ وَمَنْ عَدَّ الْأَصْنَامَ؛ لِأَنَّ الْكُلَّ سَوَاءٌ، لَيْسَ هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ مَنْ يَعْبُدُ صَنْمًا، وَمَنْ يَعْبُدُ وَلِيًّا، أَوْ عَبْدًا صَالِحًا، لَيْسَ هُنَاكَ فَرْقٌ ^(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَيَقُولُونَ: مَا نُرِيدُ مِنْهُمْ إِلَّا شَفَاعَتَهُمْ)؛ يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٢٣]، ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، هذا قصدهم، تقربوا إلى الله بعبادتهم هؤلاء، ما قصدهم الشرك، وإذا كانت الأفعال شركاً وكفراً، فلا ينظر إلى المقاصد، هل هي حسنة أو ليست حسنة؟



وَمَعَ هَذَا بَدَأَ بِالْإِنذَارِ عَنْهُ فِي أَوَّلِ آيَةِ أَرْسَلَهُ اللَّهُ بِهَا، فَإِنْ أَحْكَمْتَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ، فَيَا بُشْرَاكِ! خُصُوصًا إِذَا عَرَفْتَ أَنَّ مَا بَعْدَهَا أَعْظَمُ مِنَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ.

وَلَمْ تُفَرِّضْ إِلَّا لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ ^(١) سَنَةَ عَشْرِ، بَعْدَ حِصَارِ الشَّعْبِ وَمَوْتِ أَبِي طَالِبٍ، وَبَعْدَ هِجْرَةِ الْحَبْشَةِ بَسْتَيْنِ.

— الشَّرْحُ —

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَعَ هَذَا بَدَأَ بِالْإِنذَارِ عَنْهُ فِي أَوَّلِ آيَةِ أَرْسَلَهُ اللَّهُ بِهَا، فَإِنْ أَحْكَمْتَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ، فَيَا بُشْرَاكِ!)؛ أي: إذا فهِمْتَ هذه المسألة؛ أن أول ما يؤمر به التوحيد، وأول ما يُنْهَى عنه الشرك، فإنه لا فائدة في صلاح باقي الأمور مع فساد العقيدة، هذه مسألة عظيمة ومطلب عظيم، يجهله كثير ممن ينتسبون إلى الإسلام اليوم، فإذا فهِمْتَهُ، فَيَا بُشْرَاكِ بِالْعِلْمِ النَافِعِ!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (خُصُوصًا إِذَا عَرَفْتَ أَنَّ مَا بَعْدَهَا أَعْظَمُ مِنَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ)؛ أي: ليس بعد هذه المسألة التي هي التوحيد أعظم من الصلوات الخمس؛ لأنها الركن الثاني من أركان الإسلام بعد الشهادتين، ومع هذا لم يأمر الله عَزَّوَجَلَّ بالصلوات الخمس، إِلَّا قُبِيلَ الْهَجْرَةِ، فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكث في مكة ثلاث عشرة سنة، لم يؤمر بالصلاة، وإنما أُمر بالصلاة قُبِيلَ

(١) حديث الإسراء وفرض الصلاة أخرجه البخاري (٣٤٩، ٣٣٤٢)، ومسلم (١٦٣)، من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الهجرة في ليلة المعراج، فلماذا تأخر الأمر بالصلاة؟ من أجل أن يتأسس التوحيد؛ لأنهم لو صلوا ما نفعتهم صلاتهم، إلا مع توحيد.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وَلَمْ تُفَرِّضْ إِلَّا لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ سَنَةَ عَشْرِ، بَعْدَ حِصَارِ الشُّعْبِ وَمَوْتَ أَبِي طَالِبٍ، وَبَعْدَ هِجْرَةِ الْحَبْشَةِ بَسْتَيْنِ)، إنما فُرِضَت الصلاة ليلة الإسراء والمعراج في السنة العاشرة من البعثة.

وقصة الحصار: أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يدعو إلى التوحيد، وينهى عن الشرك، وكان المشركون يضايقونه، ويضايقون أصحابه، وكان عمه أبوطالب يدافع عنه، ويحميه من أذى قومه، سخره الله له، مع أنه مشرك، لكن الله جَلَّ وَعَلَا سخره لنبيه؛ يحميه، ويدافع عنه.

فلما مات أبو طالب، وماتت زوجة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -وهما اللذان يدافعان عنه-، تسلط الكفار عليه زيادة، وضيقوا عليه الخناق هو وأصحابه، وكانوا من قبل قد حاصروهم في الشعب -في شعب من شعاب مكة-، وقاطعوهم، منعوا عنهم الأرزاق والبضائع، ومنعوا التزوج منهم، حاصروهم في هذا الشعب، حتى آلمهم الجوع، وكتبوا بذلك صحيفة، وقعوا عليها، وعلقوها في الكعبة؛ لمقاطعة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن معه، ولما مات الذي كان يدافع عنه، سنحت لهم الفرصة، فاشتد أذاهم له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن معه، ومع هذا ما أمر بالصلاة من بعثته إلى هذه الفترة؛ لأن المقام مقام تصحيح عقيدة قبل كل شيء.

ولما اشتد أذاهم على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وضايقوه، أمر من معه من ضعفة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ممن ليس لهم من يدافع عنهم، أمرهم بالهجرة إلى الحبشة؛ لأن فيها ملكاً - وهو النجاشي - لا يُظلم أحد عنده^(١)، وهو نصراني إذ ذاك، لكن لا يُظلم أحد في أرضه، هذه الهجرة الأولى، وفيهم عثمان، وفيهم من أكابر الصحابة؛ وذلك لأجل الفرار بدينهم، وكان هذا سبباً لإسلام النجاشي رَحِمَهُ اللَّهُ حين سمع القرآن، وسمع من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ^(٢)، وهداه الله للإسلام، فأسلم^(٣).

وأرسلت قريش إلى النجاشي بهدايا ومغريات، يقولون: «هو لاء مارقون شاردون منا، ردهم علينا». فأبى أن يردهم عليهم، فكذب الله ظن المشركين، وعادت رسلهم خائبين، واستمر النجاشي رَحِمَهُ اللَّهُ في حماية المسلمين عنده، إلى أن قبض الله الفرج.



- (١) كما في الحديث الذي أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٦/٩)، وفي دلائل النبوة (٣٠١/٢)، وفيه: فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ بَارِضَ الْحَبَشَةِ مَلِكًا لَا يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ، فَالْحَقُّوا بِبِلَادِهِ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ».
- (٢) سماع النجاشي للقرآن من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورد في الحديث السابق.
- (٣) دليل إسلام النجاشي ورد في صحيح البخاري (١٢٤٥، ١٣٢٧، ١٣٣٣، ٣٨٨٠)، ومسلم (٩٥١): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَى النَّجَاشِيَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، خَرَجَ إِلَى الْمُصَلَّى، فَصَفَّ بِهِمْ وَكَبَّرَ أَرْبَعًا».

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ تِلْكَ الْأُمُورَ الْكَثِيرَةَ وَالْعَدَاوَةَ الْبَالِغَةَ كُلَّ ذَلِكَ عِنْدَ هَذِهِ
الْمَسْأَلَةِ قَبْلَ فَرَضِ الصَّلَاةِ، رَجَوْتَ أَنْ تَعْرِفَ الْمَسْأَلَةَ.

— الشرح —

إذا عرفت هذه المسألة، وهي مسألة أنهم ما عادوا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
وضايقه، وحاصروه هو وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، إلا من أجل الأمر بالتوحيد
والنهي عن الشرك، وإلا لو سالمهم، وعبد ربه هو ومن يتبعه، وتركهم،
ما قالوا له شيئاً، بل كانوا سيفرحون بهذا. وهذه دعوة أهل الكفر اليوم
يقولون: «دعونا نتعايش، ودعونا نتهاد، ولا تقولوا شيئاً في ديننا، ونحن
لا نقول شيئاً في دينكم»، وهم يكذبون؛ لأنهم يحاربون الإسلام، وهم
يقولون: «أنتم لا تقولوا في ديننا شيئاً، ونحن لا نقول في دينكم شيئاً»، وهم
يحاربون الإسلام على أقصى ما يمكن، ويقتلون المسلمين، ويشردونهم، وهم
يقولون: «دعونا نتحاور ونتهاد».

ولو أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما دعا إلى التوحيد ولا نهى عن الشرك، ما ثارت
ثأرتهم.



المَوْضِعُ الثَّانِي: أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَامَ يُنْذِرُهُمْ عَنِ الشَّرْكِ، وَيَأْمُرُهُمْ بِضِدِّهِ - وَهُوَ التَّوْحِيدُ -، لَمْ يَكْرَهُوا ذَلِكَ، وَاسْتَحْسَنُوهُ، وَحَدَّثُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْدُّخُولِ فِيهِ، إِلَى أَنْ صَرَخَ بِسَبِّ دِينِهِمْ وَتَجْهِيلِ عُلَمَائِهِمْ، فَحِينَئِذٍ شَمَرُوا لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ عَنْ سَاقِ الْعَدَاوَةِ.

❖ الشَّرْحُ ❖

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (المَوْضِعُ الثَّانِي: أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَامَ يُنْذِرُهُمْ عَنِ الشَّرْكِ، وَيَأْمُرُهُمْ بِضِدِّهِ - وَهُوَ التَّوْحِيدُ -، لَمْ يَكْرَهُوا ذَلِكَ، وَاسْتَحْسَنُوهُ، وَحَدَّثُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْدُّخُولِ فِيهِ)، لو كان يأمرهم بالتوحيد، وينهاهم عن الشرك عموماً، ولم يتعرض لما هم عليه، وهم يقولون: «الذي نحن عليه ليس بشرك، الذي نحن عليه تقرب إلى الله بالأولياء والصالحين، ونحن لانشرك بالله، إنما هذا تقرب إلى الله وتوسل إليه»، ولو أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اقتصر على النهي عن الشرك دون تفصيل وبيان لما اعترضوا عليه؛ لأنهم يرون أنهم غير مشركين.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (إِلَى أَنْ صَرَخَ بِسَبِّ دِينِهِمْ وَتَجْهِيلِ عُلَمَائِهِمْ، فَحِينَئِذٍ شَمَرُوا لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ عَنْ سَاقِ الْعَدَاوَةِ)؛ لأنهم يفسرون الذي هم عليه أنه ليس بشرك، لكن عندما تقول لهم: «هذه الأضرحة وهذه القبور التي تعبدونها، وتندرون لها، وتذبحون لها عملكم هذا هو الشرك»، عند ذلك تثور ثائرتهم، هذا هو الذي فعله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نهاهم عن عبادة اللات والعزى ومناة والأصنام، وقال لهم: «لستم على شيء، وهؤلاء الذين يدعونكم إليها هؤلاء علماء ضلال»، فحينما قال لهم ذلك، ثارت ثائرتهم؛ حمية لدينهم، وهذا هو الذي عليه غالب العالم اليوم.

وَقَالُوا: سَفَهَ أَحْلَامَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، وَشَتَمَ أَهْلَتَنَا^(١).
وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَشْتِمْ عِيسَى وَأُمَّهُ وَلَا الْمَلَائِكَةَ وَلَا الصَّالِحِينَ،
لَكِنْ لَمَّا ذَكَرَ أَنَّهُمْ لَا يُدْعُونَ، وَلَا يَنْفَعُونَ، وَلَا يَضُرُّونَ، جَعَلُوا ذَلِكَ شَتْمًا.

— الشرح —

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَالُوا: سَفَهَ أَحْلَامَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، وَشَتَمَ أَهْلَتَنَا)، لو أنه ما شتم أهْلَتَهُمْ، ولا عاب دينهم، ما قالوا له شيئاً، فلو اقتصر على قوله: «الشرك قبيح، والتوحيد طيب»، ولا عاب أهْلَتَهُمْ، ولا سب دينهم، لما عارضوه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَشْتِمْ عِيسَى وَأُمَّهُ وَلَا الْمَلَائِكَةَ وَلَا الصَّالِحِينَ)، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما سب الصالحين، وإنما سب عبادة غير الله عَزَّوَجَلَّ، وبيّن أن أنبياء الله وعباده الصالحين والملائكة لا يرضون أن يُعبدوا من دون الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (لَكِنْ لَمَّا ذَكَرَ أَنَّهُمْ لَا يُدْعُونَ، وَلَا يَنْفَعُونَ، وَلَا يَضُرُّونَ، جَعَلُوا ذَلِكَ شَتْمًا)، لما قال: «إن عيسى لا ينفع ولا يضر، وإن الملائكة

(١) كما في الحديث الذي أخرجه أحمد في مسنده (٦٠٩/١١)، والبخاري (٤٥٦/٦)، وابن حبان في صحيحه (٥٢٥/١٤)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢٧٥/٢): عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: «مَا أَكْثَرَ مَا رَأَيْتَ قُرَيْشًا أَصَابَتْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، فِيمَا كَانَتْ تُظْهِرُ مِنْ عَدَاوَتِهِ؟ قَالَ: حَضَرْتُهُمْ وَقَدْ اجْتَمَعَ أَشْرَافُهُمْ يَوْمًا فِي الْحَجْرِ، فَذَكَرُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَبَرْنَا عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ قَطُّ، سَفَهَ أَحْلَامَنَا، وَشَتَمَ آبَاءَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَسَبَّ أَهْلَتَنَا».

لا تنفع ولا تضر، وإن الصالحين لا ينفعون ولا يضرُونَ»، عدُّوا ذلك تنقِصًا للصالحين، ويقولون لأهل التوحيد: «أنتم لا تبنون على أضرحتهم، وهذا من حقهم علينا»، يقولون: «حقًّا علينا إكرامهم والبناء على قبورهم، هذا من حقهم علينا، وهذا من تقديرهم، وعندما نتوسل بهم إلى الله هذا من تقديرهم وتعظيمهم، وأنتم تقولون: هذا باطل»، ويعتبرون هذا شتمًا وسبًّا لهم. هذا الذي يفسرون به أعمالهم، وهذا موجود الآن على ألسنتهم وفي كتبهم.



فَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا، عَرَفْتَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَسْتَقِيمُ لَهُ إِسْلَامٌ - وَلَوْ وَحَّدَ اللَّهُ، وَتَرَكَ الشُّرَكَ -، إِلَّا بِعِدَاوَةِ الْمُشْرِكِينَ وَالتَّضَرُّيحِ لَهُمْ بِالْعِدَاوَةِ وَالْبُغْضِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ [المجادلة: ٢٢] الآية.

— الشرح —

هناك من يتسبون للدعوة والعلم، ولا يرضون بمعاداة الكفار، ويقولون: «إننا أمرنا بعداوة المحاربين فقط»، يقولون: «نعاديهم؛ لأنهم حاربونا، لأنهم أخذوا أوطاننا، أما أن نعاديهم من أجل دينهم، فلا نعاديهم»، والله جَلَّ وَعَلَا قال: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، فلم يقتصر على المحاربين فقط، بل إن الله جعل سبب الكره لهم هو المحادة لله ولرسوله، وأي محادة لله ورسوله أعظم من الكفر وأعظم من الشرك بالله عَزَّجَلَّ؟! لا تجوز مودة الكفار كلهم؛ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾؛ يعني: محبوبين، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المتحنة: ١].



فَإِذَا فَهِمْتَ هَذَا فَهَمًّا جَيِّدًا، عَرَفْتَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الدِّينَ لَا يَعْرِفُونَهَا. وَإِلَّا فَمَا الَّذِي حَمَلَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الصَّبْرِ عَلَى الْعَذَابِ وَالْأَسْرِ وَالضَّرْبِ وَالْهَجْرَةِ إِلَى الْحَبْشَةِ.

❖ الشَّرْحُ ❖

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَإِذَا فَهِمْتَ هَذَا فَهَمًّا جَيِّدًا، عَرَفْتَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الدِّينَ لَا يَعْرِفُونَهَا)، هذا صحيح؛ فإنك لو تسأل كثيرا من العلماء والمتعلمين عن هذه المسألة -مسألة الولاء والبراء-، تجدهم لا يعرفونها، يقولون: «لا يلزم بغضهم، ديننا ليس دين عداوة، ديننا دين مودة، ودين مصالحه، ودين كذا»، يعتبرون هذا من مدح الدين، فمودة المشركين -عندهم- لا بأس بها، ويعتبرونها من المصالحة معهم.

ونقول: مصالحتهم على أمور السياسة لا مانع منها، لكن مصالحتهم على ترك بعض أمور الدين لا تجوز.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَإِلَّا فَمَا الَّذِي حَمَلَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الصَّبْرِ عَلَى الْعَذَابِ وَالْأَسْرِ وَالضَّرْبِ وَالْهَجْرَةِ إِلَى الْحَبْشَةِ)، ما سبب ما نال المسلمين في مكة؟ هل لأنهم مسلمون يصلون ويصومون؟ لا، بل لأنهم أبغضوا الكفار، وعادوهم، ونهوا عن الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، هذا هو السبب، وإلا لو أنهم صاموا، وصلوا، واشتغلوا بالذكر، ولم يتعرضوا لأحد، ما حصل لهم أذى بالضرب والحبس والأسر، ولما احتاجوا إلى الصبر؛ لأن الصبر لا يكون إلا على شيء مكروه.

مَعَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْحَمُ النَّاسِ؛ لَوْ يَجِدُ لَهُمْ رُخْصَةً، لَا رُخْصَ لَهُمْ، كَيْفَ وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠]، فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِيمَنْ وَافَقَهُمْ بِلِسَانِهِ^(١)، فَكَيْفَ بغيرِ ذَلِكَ؟!

— ❖ الشَّرْحُ ❖ —

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (مَعَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْحَمُ النَّاسِ؛ لَوْ يَجِدُ لَهُمْ رُخْصَةً، لَا رُخْصَ لَهُمْ، كَيْفَ وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠])؛ يعني: مع رحمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأصحابه ما رخص لأصحابه بالتنازل عن شيء من الدين، ما رخص لهم في هذا مع أنه رؤوف رحيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فل وجد لهم رخصة في ترك إظهار الدين، لرخص لهم، بل إن الله أنزل عليه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٨]، لكن إذا جاء الامتحان، إذا أُوذِيَ في الله، إذا أُوذِيَ بسبب قوله: «آمنت بالله»، وبسبب توحيدِهِ، فإنه يراجع عن دينه، يجعل فتنة الناس كعذاب الله، يفر من أذية الناس في الدنيا إلى عذاب الله في الآخرة؛ مثل الذي استجار بالنار من الرمضاء، وإذا لم يصبر على أذى الناس، فكيف يصبر على النار يوم القيامة؟! يلزم العكس؛ أنه يفتدي أذى النار بتحمل أذى

(١) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٣٨٥، ١٤/ ٣٧٩، ١٨/ ٣٦٥)، وزاد المسير (٣/ ٤٠٠-٤٠١)، والقرطبي (١٣/ ٣٢٩)، وابن كثير (٦/ ٢٦٥).

الناس، والصبر على دينه، أما إنه يفتدي بدينه من أذى الناس، وينسى النار التي أمامه، فهذا كالمستجير من الرمضاء بالنار؛ كما قال الشاعر^(١):

المُسْتَجِيرُ بِعَمْرٍو عِنْدَ كُرْبَتِهِ كَالْمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فَيَمْنُ وَافَقَهُمْ بِلِسَانِهِ، فَكَيْفَ بغير ذَلِكَ؟!)، إذا كان هذا الوعيد في حق من وافق الكفار بلسانه من غير إكراه؛ ليعيش معهم، فكيف بمن وافقهم بفعله من أجل مصالحه الدنيوية؟!



(١) الشاعر هو الجرُمِيُّ أَوْ النَّهْدِيُّ. انظر: الفاخر (١/٩٤)، وجمهرة اللغة (٢/٦٥٣)، والمقصور والممدود (١/٣٨٣)، ومجمع الأمثال (١/٣٧٤).

المَوْضِعُ الثَّالِثُ: قِصَّةُ قِرَاءَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُورَةَ النَّجْمِ بِحَضْرَتِهِمْ، فَلَمَّا بَلَغَ: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ أَلَلَّتْ وَالْعُرَى﴾ [النجم: ١٩]، أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي تِلَاوَتِهِ: (تِلْكَ الْغَرَانِيقُ الْعُلَى، وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْجَى)، فَظَنُّوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَهَا، فَفَرَحُوا بِذَلِكَ، وَقَالُوا كَلَامًا مَعْنَاهُ: هَذَا الَّذِي نُرِيدُ، وَنَحْنُ نَعْرِفُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ النَّافِعُ الضَّارُّ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ يَشْفَعُونَ لَنَا عِنْدَهُ. فَلَمَّا بَلَغَ السَّجْدَةَ، فَسَجَدَ، وَسَجَدُوا مَعَهُ، فَشَاعَ الْخَبَرُ أَنَّهُمْ صَافُوهُ، وَسَمِعَ بِذَلِكَ مَنْ بِالْحَبَشَةِ، فَرَجَعُوا، فَلَمَّا أَنْكَرَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَادُوا إِلَى شَرِّ مَا كَانُوا عَلَيْهِ. وَلَمَّا قَالُوا لَهُ: إِنَّكَ قُلْتَ ذَلِكَ. خَافَ مِنَ اللَّهِ خَوْفًا عَظِيمًا، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢] الآية^(١).

فَمَنْ فَهَمَ هَذِهِ الْقِصَّةَ، ثُمَّ شَكَّ بَعْدَهَا فِي دِينِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ دِينِ الْمُشْرِكِينَ، فَابْعَدَهُ اللَّهُ! خُصُوصًا إِنْ عَرَفَ أَنَّ قَوْلَهُمْ: «تِلْكَ الْغَرَانِيقُ» الْمَلَائِكَةُ^(٢).

— الشَّرْحُ —

هذه القصة التي ذكرها الشيخ من قصص السيرة النبوية تسمى قصة

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/٦٠٤ - ٦١٤)، وزاد المسير (٣/٢٤٥ - ٢٤٦)، والقرطبي (١٥/٢٦٤)، وابن كثير (٥/٤٤٢ - ٤٤٣).

(٢) انظر: تفسير الثعلبي (٧/٣٠)، والتفسير البسيط (١٥/٤٦٩)، والقرطبي (١٢/٨٥)، وفتح الباري (٨/٤٤٠).

الغرائق، وهي كما ذكر أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قرأ سورة النجم في مكة، وعنده المشركون والمسلمون، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۖ وَمَنُوءَةَ الثَّلَاثَةِ الْآخَرَىٰ﴾ [النجم: ١٩-٢٠]، فهي أكبر أصنام العرب:

اللات: في الطائف. وكما سبق بيان هذا أنه رجل صالح، كان يُطعم الحجاج، فلما مات، عكفوا على قبره^(١)، يتبركون به على طريقة التبرك بالصالحين؛ كما كان أهل الجاهلية يفعلون ذلك، ويطلبون منه الشفاعة عند الله؛ لأنه رجل صالح^(٢).

والعزى: هي صنم لأهل مكة قريباً من عرفات، وهو عبارة عن شجرات عليها بنية، يتبركون بها^(٣).

وأما مناة: فهي صنم بين مكة والمدينة قريباً من المدينة، عند المشلل قريباً في جبل قديد، وكانت للأوس والخزرج، وكانوا يجرمون من عندها بالحج؛ تعظيماً لها^(٤). والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۖ وَمَنُوءَةَ الثَّلَاثَةِ الْآخَرَىٰ﴾ [النجم: ١٩-٢٠]؛ أي: أخبروني عن هذه الأصنام، هل نفعتكم؟ وهل ضرركم؟ بل إنها لم تدفع عن نفسها؛ لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما فتح مكة، هدمها، ولو كانت آلهة، لمنعت عن نفسها، ودافعت عن نفسها.

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٤٨٥٩): «كَانَ اللَّاتُ رَجُلًا يَلْتُ سَوِيْقَ الْحَاجِّ، فَلَمَّا مَاتَ عَكَفُوا عَلَى قَبْرِهِ».

(٢) انظر: تفسير ابن جرير (٤٧/٢٢-٤٨)، وتفسير ابن كثير (٧/٤٥٥).

(٣) انظر: تفسير ابن جرير (٢٢/٤٩).

(٤) انظر: فتح الباري (٨/٦١٣).

فالله يوبخ المشركين، الذين تعلقوا بهذه الأصنام، التي لا تنفع، ولا تضر.

فلما قرأ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الآية، ألقى الشيطان -أي: صوت الشيطان- بكلمات دسها في تلاوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي: «تِلْكَ الْغَرَانِيقُ الْعُلَى، وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجَى»، هذا كلام من الشيطان، دسه في تلاوة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يعلم بذلك، ولكن المشركين سمعوه، ففرحوا، وقالوا: «ذكر آلهتنا بخير، وهذا الذي نريده، نحن لا نقصد منها إلا الشفاعة، وإلا نحن نعلم أنها لا تنفع ولا تضر، ولكن نحن نريد شفاعتها، ومحمد قال: «وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجَى». فلما بلغ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آخر السورة، وهو قوله تعالى: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ [النجم: ٦٢]، سجد، فسجد معه المسلمون، وسجد المشركون؛ فرحاً بهذه الكلمات الشيطانية، حتى إن الوليد بن المغيرة لما كان كبير السن لم يستطع أن يسجد على الأرض، فأخذ حفنة من تراب، فسجد عليها^(١).

فشاع الخبر أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تصالح مع المشركين، وأنه أقرهم على عبادة اللات والعزى ومناة؛ من أجل طلب الشفاعة، ووصل الخبر إلى

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (١٠٦٧، ١٠٧٠، ٣٨٥٣، ٣٩٧٢)، ومسلم (٥٧٦): عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «قَرَأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّجْمَ فَسَجَدَ، فَمَا بَقِيَ أَحَدٌ إِلَّا سَجَدَ، إِلَّا رَجُلٌ رَأَيْتُهُ أَخَذَ كَفًّا مِنْ حَصَا فَرَفَعَهُ فَسَجَدَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: هَذَا يَكْفِينِي، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ بَعْدُ قُتِلَ كَافِرًا بِاللَّهِ».

المهاجرين في أرض الحبشة من المسلمين؛ أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تصالح هو والمشركون، أو أن المشركين أسلموا، فعادوا من الحبشة، فلما وصلوا إلى مكة، وجدوا هذا الخبر غير صحيح، وأن المشركين ما زالوا على عداوتهم للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتضييقهم على المسلمين، فلما أخبروا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قرأ هذه الكلمات «تِلْكَ الْغَرَانِيقُ الْعُلَى، وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجَى»، حزن حزناً شديداً وأصابه هم شديد، حتى أنزل الله قوله تَعَالَى في سورة الحج: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّيَ الْاَلْقَى الشَّيْطَانُ فِيْ أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾ [الحج: ٥٢-٥٥]، فأبطل الله ما ألقاه الشيطان في تلاوة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونسخه -يعني: أزاله^(١)، وأحكم -أي: ثبت^(٢) - آياته التي أنزلها في ذم الأصنام وعبادتها.

هذا حاصل القصة، وقد وردت هذه القصة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

(١) انظر مادة (نسخ) في: العين (٢٠١/٤)، وتهذيب اللغة (٨٤/٧)، والصحاح (٤٣٣/١)،

ومقاييس اللغة (٤٢٤/٥)، ولسان العرب (٦١/٣).

(٢) انظر مادة (حكم) في: العين (٦٦/٣)، وتهذيب اللغة (٦٩/٤)، ومقاييس اللغة

(٩١/٢)، ولسان العرب (١٤٠/١٢).

متصلة بسند^(١)، ووردت عن بعض التابعين بأسانيد مرسلة^(٢)، وبعض العلماء أنكرها، ومنهم ابن كثير، وقال: «إنها لم ترد إلا من طرق مرسلة ومنقطعة، تكلموا فيها»^(٣)، ولكن الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» له رأي غير رأي هؤلاء، يقول: «القصة جاءت من طرق مختلفة متباينة المخارج؛ فهي تتعاضد، ويقوي بعضها بعضاً»^(٤)، هذا معنى كلام الحافظ ابن حجر.

مقصود الشيخ من إيرادها: أن المشركين يقولون: «نحن لانعبد هذه الأصنام على اعتقاد أنها تخلق، وترزق، وتنفع، وتضر، وإنما نعبدها؛ طلباً للشفاعة، بأن تشفع لنا عند الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى»، فالله أبطل هذا، وأقر القرآن على ما هو عليه من إبطال عبادتها، وأبطل ما ألقاه الشيطان في تلاوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسَلَّى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأذهب عنه الحزن بأن هذا يجري مع من قبلك من الرسل، فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا

(١) أخرجه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا البخاري مختصراً (١٠٧١، ٤٨٦٢)، والترمذي (٥٧٥)، بدون ذكر الغرائق: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَجَدَ بِالنَّجْمِ، وَسَجَدَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ».

وأخرجه الطبراني في الكبير (٥٣/١٢): «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَرَأَ النَّجْمَ فَلَمَّا بَلَغَ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩] ﴿وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةِ الْآخِرَىٰ﴾ [النجم: ٢٠] أَلْقَى الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِهِ (تِلْكَ الْغُرَانِيقُ الْعُلَى وَشَفَاعَتُهُنَّ لَتَرْجَى)، فَلَمَّا سَجَدَ، سَجَدَ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّيَ أَلْقَى الشَّيْطَانُ﴾ [الحج: ٥٢] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٥].

(٢) انظر: تخريج هذه القصة مرسلة في تفسير ابن كثير (٤٤٢/٥).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٤٤٣/٥).

(٤) انظر: فتح الباري (٤٣٩ - ٤٤٠/٨).

تَمَنَّى ﴿[الحج: ٥٢]؛ يعني: تلا، فالتمني هنا معناه: التلاوة^(١)؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمَيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾ [البقرة: ٧٨]؛ أي: تلاوة فقط، ولا يعرفون المعاني^(٢)، وكما في قول الشاعر في عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٣):

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلِهِ وَآخِرُهُ لَأَقَى حِمَامَ الْمَقَادِرِ

وهي الليلة التي قُتل فيها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان أول الليل يتهجّد، ويتلو القرآن، ثم هجم عليه الخوارج^(٤)، وقتلوه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في آخر الليل.

الشاهد من البيت قوله: (تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ)؛ أي: تلاه، فالتمني يراد به التلاوة، فيكون المعنى ﴿إِذَا تَمَنَّى﴾؛ أي: تلا الكتاب، ﴿أَلْفَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ -يعني: في تلاوته- كلمات يظنها السامع من كلام الرسول

(١) انظر: العين (٨/ ٣٩٠)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ١٥٠)، ومقاييس اللغة (٥/ ٢٧٧)، ولسان العرب (١٥/ ٢٩٤).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٤٩)، وغريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ٧٣)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٥٩)، وشرح مشكل الآثار (١٥/ ٣١٤)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ١٥١)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٣٨٣).

(٣) البيت لكعب بن مالك يرثي عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: تفسير الماوردي (١/ ١٥٠)، وتفسير ابن عطية (١/ ١٦٩)، والقرطبي (٢/ ٦)، واللباب في علوم الكتاب (٢/ ٢٠٤).

(٤) هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين جرى أمر المحكمين، واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة، وفيهم قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَخْفَرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَمُرُّونَ مِنَ الدِّينِ، كَمَا يَمُرُّ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ». أخرجه البخاري (٢٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان. انظر: مقالات الإسلاميين (ص ٤، ٨٦)، والفرق بين الفرق (ص ٥٤)، والممل والنحل (١/ ١١٤).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي من كلام الشيطان، ولكن الله له بالمرصاد؛ يُبطل كلام الشيطان، ويُحكم آياته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأن الله حافظ دينه وحافظ كتابه.

فالشاهد منها: أن المشركين فرحوا لما ظنوا أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وافقهم بالكلام، الذي ظنوه من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو من الشيطان؛ أن طلب الشفاعة من الأصنام لا بأس به، وفرحوا بذلك، ثم إن الله جَلَّ وَعَلَا أبطل ذلك، وبيّن أنه لا تجوز عبادة غير الله عَزَّجَلَّ لأي قصد كان؛ طلب الشفاعة أو غيره، العبادة حق لله عَزَّجَلَّ، ولا يجوز عبادة غير الله لأي قصد كان، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]؛ شفعاء!! ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، الله سمى هذا شركاً، وأبطله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وما قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الكلمات التي في القصة، وإنما قالها الشيطان، وهذا من باب الابتلاء والامتحان؛ لأجل أن يتميز الخبيث من الطيب، ثم إن الله يزيل هذه الفتنة، ويبقى الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذا قد جرى مع الرسل قبل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجرى عليه مثل ما جرى على الرسل من قبله.

فهذا فيه دليل على بطلان اعتقاد عبدة القبور وغيرهم، الذين يعبدون القبور، ويقولون: «نحن نعلم أنهم لا يضرّون، ولا ينفعون، ولا يخلقون، ولا يرزقون، وإنما هم صالحون، نتوسط بهم إلى الله، ونطلب منهم الشفاعة»، وإنما لو أقررناهم على ذلك، ما صار بيننا وبينهم خلاف، وإنما اشتدت

العداوة بيننا وبينهم لما أنكرنا عليهم هذا، واعتبرناه شرًّا؛ كما أنكره الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكما أنكره القرآن في آيات. هذا هو مقصود الشيخ من إيراد هذه القصة، فهو يقول: «إنهم يفرحون لو وافقناهم على هذا الكلام، وقلنا: ما دام إنكم ما تقصدون منها أنها تخلق، وترزق، وتنفع، وتضر، وإنما قصدكم منها الشفاعة، فهذا أمر لا بأس به».



الْمَوْضِعُ الرَّابِعُ: قِصَّةُ أَبِي طَالِبٍ، فَمَنْ فَهَمَهَا فَهَمًّا حَسَنًا، وَتَأَمَّلَ إِقْرَارَهُ
بِالتَّوْحِيدِ، وَحَثَّ النَّاسَ عَلَيْهِ، وَتَسْفِيهِ عُقُولِ الْمُشْرِكِينَ، وَمَحَبَّتِهِ لِمَنْ أَسْلَمَ
وَخَلَعَ الشِّرْكَ، ثُمَّ بَذَلَ عُمُرِهِ وَمَالِهِ وَأَوْلَادِهِ وَعَشِيرَتِهِ فِي نُصْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَنْ مَاتَ.

— الشَّرْحُ —

أبو طالب عم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما توفي والد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عبد الله بن عبد المطلب، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُمِلَ فِي بطن أمه، ثم لما
وُلِدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَفَلَهُ جَدُّهُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ؛ لِأَنَّهُ أَصْبَحَ يَتِيمًا، فَكَفَلَهُ جَدُّهُ
عَبْدُ الْمَطْلَبِ، ثُمَّ لَمَّا حَضَرَتْ عَبْدِ الْمَطْلَبِ الْوَفَاةُ أَوْصَى بِهِ إِلَى ابْنِهِ أَبِي طَالِبٍ،
وَأَبُو طَالِبٍ قَامَ بِالْوَجِبِ، وَحَضَنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَبَاهُ، وَأَكْرَمَهُ، ثُمَّ
لَمَّا بَعَثَهُ اللَّهُ رَسُولًا إِلَى الْعَالَمِينَ، قَامَ مَعَهُ يَحْمِيهِ، وَيُدَافِعُ عَنْهُ، وَلَقِيَ الْأَذَى
مِنْ قَرِيشٍ فِي سَبِيلِ حِمَاةِ دَعْوَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالِدِفَاعِ عَنْهُ، وَعَرَّضَ
نَفْسَهُ لِلْخَطَرِ وَالْمَجَاعَةِ، حَتَّى إِنَّهُمْ حَاصَرُوهُمْ فِي الشَّعْبِ سَنِينَ، وَقَاطَعُوهُمْ،
وَقَطَعُوا عَنْهُمْ الْمَوْنَ، وَقَطَعُوا عَنْهُمْ الْإِتِّصَالَ، وَمَعَهُمْ أَبُو طَالِبٍ، وَصَبَرَ عَلَى
هَذَا، وَكَانَ يَمْدَحُ دِينَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَقُولُ^(١):

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ مِنْ خَيْرِ أَذْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينًا
لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حَذَارُ مَسَبَّةٍ لَرَأَيْتَنِي سَمَحًا بِذَلِكَ مُبِينًا

(١) انظر: البداية والنهاية (٣/ ٥٦)، وسمط النجوم العوالي (١/ ٣٩٤)، والإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ١٩٨).

وفي لاميته المشهورة الطويلة، التي أوردها ابن كثير في «البداية والنهاية» اعترف بأن محمداً رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه صادق في رسالته، وأنه لم يمنعه من اتباعه، إلا خشية مسبة دين آبائه، الذين كانوا على عبادة الأصنام، فأخذته الحمية الجاهلية في امتناعه من اتباع محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لئلا يجرح على أشياخه المسبة^(١). ثم لما حضرته الوفاة جاءه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعنده أبو جهل، وعنده آخر من بني مخزوم، فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: «أَيُّ عَمٍّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةٌ أَحَاجُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»، فقال له أبو جهل ومن معه: «تَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟!»، فأعاد عليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأعاد: «تَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟!»، ثم كان آخر ما قال: «هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، ومات على ذلك. «أَمَّا وَاللَّهِ لَا سَتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنَّهُ عَنْكَ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]، وأنزل في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]^(٢).

(١) قال في لاميته:

فَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ أَجِيءَ بِسُبَّةٍ
لَكُنَّا اتَّبَعْنَاهُ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
تَجُرُّ عَلَيَّ أَشْيَاخَنَا فِي الْمَحَافِلِ
مِنَ الدَّهْرِ جِدًّا غَيْرَ قَوْلِ التَّهَافُلِ
انظر: البداية والنهاية (٣/ ٧٤).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (١٣٦٠، ٣٨٨٤، ٤٦٧٥، ٤٧٧٢)، ومسلم (٢٤):
عَنْ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِيهِ، «أَنَّ أَبَا طَالِبٍ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: «أَيُّ عَمٍّ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةٌ أَحَاجُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ» فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، تَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَلَمْ يَزَالَا يَكْتُمَانِهِ، =

فدل هذا على أن مدح الإسلام، ومدح الرسول، واعتقاد أن الإسلام حق، وأن الرسول حق، من غير اتباع للرسول، أن ذلك لا ينفع، وأنه لا بد من اتباع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن هذا لو كان ينفع، لنفع أبا طالب، فإن الإقرار بأن الإسلام حق، وأن الرسول صادق، مع المدافعة عن الإسلام وحماية الإسلام، كل هذا لا ينفع إلا مع الاتباع، وإلا فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ»^(١).

فلا بد من الاتباع، فلا تنفع المعاونة والمدح والحماية للإسلام وغير ذلك، ولا القرابة من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدون اتباع له؛ فهذا عم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما مات على الكفر، لم ينفعه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإخراجه من النار، رغم المحاولة، ومنعه الله من الاستغفار له، وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [الفصل: ٥٦]، وقال: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ

= حَتَّىٰ قَالَ آخِرَ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ: عَلَىٰ مِلَّةِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا سْتَغْفِرَنَّ لَكَ، مَا لَمْ أَنُحِ عَنْهُ» فَتَرَلْتُ: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]. وَتَرَلْتُ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [الفصل: ٥٦].

(١) أخرجه البخاري (٣٠٦٢، ٤٢٠٣، ٦٦٠٦)، ومسلم (١١١).

الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٦﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧]، لم يكتف بقوله: ﴿١٥٦﴾ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ ﴿١٥٧﴾، بل قال: ﴿١٥٧﴾ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٨﴾، فهذا يدل على أن مدح الإسلام والثناء على الإسلام والمسلمين، وأنهم على حق، وأن الكفار على باطل، وأن الشرك باطل، كل هذا لا يكفي، وأنه لا بد من الاتباع، فمن كان يمدح الإسلام، ويشني عليه، ويمجده، وهو لم يترك الشرك، بل يدعو غير الله - يدعو الأصنام، والأضرحة، والقبور-، فإن هذه الأمور لا تنفعه، ولا تفيده شيئاً، لو كانت تنفع وتفيد، لأفادت أبا طالب عم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فهذه مسألة دقيقة ينبغي التنبيه لها.



ثُمَّ صَبَرَهُ عَلَى الْمَشَقَّةِ الْعَظِيمَةِ وَالْعَدَاوَةِ الْبَالِغَةِ، لَكِنْ لَمَّا لَمْ يَدْخُلْ فِيهِ، وَلَمْ يَتَبَرَّأْ مِنْ دِينِهِ الْأَوَّلِ، لَمْ يَصِرْ مُسْلِمًا، مَعَ أَنَّهُ يَعْتَدِرُ مَنْ ذَلِكَ بِأَنَّهُ فِيهِ مَسَبَّةٌ لِأَبِيهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَلِهَاشِمٍ وَغَيْرِهِمَا مِنْ مَشَائِخِهِمْ.

❖ الشَّرْحُ ❖

هذا الذي منعه، وهو النخوة والعصبية الجاهلية، منعه من الدخول في الإسلام، ومات على الكفر، مع ما له من المواقف العظيمة في نصرته الحق والدفاع عنه، ومع ذلك لما لم يتبع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لم تنفعه هذه الأمور، إلا ما صح أنه خفف عنه من عذاب النار، حيث أصبح في ضحضاح من نار بسبب شفاعته النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له^(١)، وفي رواية: «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ»^(٢)، لم ينفعه ذلك في إخراجه من النار، فلا يتعارض هذا مع قوله تعالى عن الكفار: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، إنما نفعه في التخفيف عنه من العذاب فقط.



(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٨٨٣، ٦٢٠٨)، ومسلم (٢٠٩): عَنِ الْعَبَّاسِ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحْوِطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ».

(٢) أخرجه مسلم (٢١٢)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ثُمَّ مَعَ قَرَابَتِهِ وَنُصْرَتِهِ اسْتَغْفَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ:
﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى
قُرْبَى ﴾ [التوبة: ١١٣] الآية.

— الشرح —

نستفيد من هذا أنه لا يكفي الإقرار بأن الإسلام حق، ولا يكفي المدافعة عن الإسلام، ولا يكفي ذم الشرك والمشركون، كل هذا لا يكفي إلا باتباع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن لم يتبع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن هذه الأمور لا تنفعه، وبناء على ذلك فإن هؤلاء الذين يصلون، ويصومون، ويشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وقد يجاهدون الكفار، ولكنهم لا يتركون الشرك حول الأضرحة والقبور، ويستغيثون بالأموال، ويدبحون للقبور، فهؤلاء لا ينفعهم ذلك؛ لأن الشرك لا ينفع معه عمل؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥]، ما دام إنه لم يتبرأ من المشركون، ولم يقاطعهم في الدين، فإنه لا ينفعه ذلك.



وَالَّذِي يُبَيِّنُ هَذَا أَنَّهُ إِذَا عُرِفَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصَرَةِ أَوْ الْأَخْسَاءِ بِحُبِّ
الدِّينِ وَبِحُبِّ الْمُسْلِمِينَ، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَنْصُرِ الدِّينَ بِيَدٍ وَلَا مَالٍ وَلَا لَهُ مِنَ الْأَعْذَارِ
مِثْلُ مَا لِأَبِي طَالِبٍ، وَفَهُمُ الْوَاقِعِ مِنْ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعِي الدِّينَ، تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى مِنَ
الضَّلَالِ، وَعَرَفَ سُوءَ الْأَفْهَامِ - وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

— الشَّرْحُ —

يُقْصَدُ بِذَلِكَ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ فِي وَقْتِهِ، الَّذِينَ عَرَفُوا الْحَقَّ، وَعَرَفُوا
التَّوْحِيدَ، وَعَرَفُوا بَطْلَانَ الشَّرْكِ، لَكِنْ مَعَ هَذَا لَمْ يَقُومُوا بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ،
وَالْأَمْرِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الشَّرْكِ، وَالْإِنْكَارِ عَلَى الْمَشْرِكِينَ، لَمْ يَقُومُوا
بِذَلِكَ، هَؤُلَاءِ مِثْلُ أَبِي طَالِبٍ؛ لِأَنَّهُمْ مَا بَذَلُوا الْخَيْرَ لِهَذَا الدِّينِ، وَلَا دَعَا
إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا بَيَّنَّا لِلنَّاسِ، بَلْ كَتَمُوا الْعِلْمَ الَّذِي عِنْدَهُمْ، وَسَكَتُوا عَنِ
الشَّرْكِ، وَعَاشَوْا مَعَ الْمَشْرِكِينَ.



المَوْضِعُ الْخَامِسُ: قِصَّةُ الْهَجْرَةِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْفَوَائِدِ وَالْعِبَرِ مَا لَا يَعْرِفُهُ أَكْثَرُ مَنْ قَرَأَهَا، وَلَكِنَّ مُرَادَنَا الْآنَ مَسْأَلَةٌ مِنْ مَسَائِلِهَا.

— ❖ الشَّرْحُ ❖ —

الهجرة في اللغة: مأخوذة من الهجر، وهو الترك، قال تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥]؛ أي: اتركه، فالهجر هو الترك، ومنه هجر أهل المعاصي، وهجر المشركين؛ يعني: تركهم وعدم محبتهم، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ»^(١)؛ أي: ترك ما نهى الله عنه.

أما الهجرة في الشرع: فهي الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام لأجل الدين. هذه هي الهجرة الشرعية^(٢).

والهجرة فيها فضل عظيم، هي عديلة الإيمان والجهاد في سبيل الله، ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا﴾ [الأنفال: ٧٢]، فهذا مما يدل على عظم الهجرة.

والهجرة باقية إلى أن تقوم الساعة، فالذي لا يقدر على إظهار دينه في بلاد المشركين يجب عليه أن يهاجر إلى بلد يقدر فيه على إظهاره، فإن لم يهاجر،

(١) أخرجه البخاري (١٠، ٦٤٨٤)، من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) انظر الهجرة في اللغة في: النهاية في غريب الأثر (٥/٢٤٣)، ولسان العرب (٥/٢٥٠)، ومختار الصحاح (ص ٢٨٨).

وانظر الهجرة في الشرع في: أحكام القرآن لابن العربي (٣/٥٩٢)، والكافي (١/١٨٧)، والمغني (٩/٢٣٦)، ومجموع الفتاوى (٢٨/٢٠٤)، وفتح الباري (١/١٦)، وفتح القدير (١/٢١٨).

وهو يقدر على الهجرة، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧]، هذا وعيد شديد، مع أنهم مسلمون، لكن لما تركوا الهجرة بعذر محبة الأموال والأولاد والوطن، وقدموا محبة هذه الأشياء على الهجرة فالله جَلَّ وَعَلَا توعدهم بهذا الوعيد.

وسبب نزول الآية: أنه لما كانت في غزوة بدر، كان مع المشركين أناس من المسلمين، بقوا في مكة، ولم يهاجروا؛ شحاً بوطنهم وبلادهم وأموالهم وأولادهم، وهم يقدرون على الهجرة، فلما خرج المشركون إلى بدر، خرجوا بهم معهم بغير اختيارهم، وألزموهم بالخروج معهم، ثم لما دارت المعركة، قُتِلَ أناس منهم، وهم في صف الكفار، ولم يعلم المسلمون بهم، فلما علم المسلمون بهم، ندموا، وقالوا: «قتلنا إخواننا»، فأنزل الله هذه الآية^(١): ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ﴾ [النساء: ٩٧]؛ يعني: ما الوطن الذي أنتم فيه، أي وطن؟! ما قالوا: كيف حالكم في الإيمان؟ أو ما يقينكم؟ ما سألوهم عن هذا، وإنما سألوهم عن المكان: ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾؟ ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾؛ يعني: أجبرونا على الخروج بسبب ضعفنا، ولا نقدر أن نمتنع ﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾، كان لكم مندوحة عن هذا؛ لو هاجرتم مثلما هاجر إخوانكم، لسلمتم من هذه

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٨٤-٣٨٧)، وشرح مشكل الآثار (٨/ ٤٤٨ - ٤٥٠)، وزاد المسير (١/ ٤٥٦)، والقرطبي (٥/ ٣٤٥)، وابن كثير (٢/ ٣٨٨ - ٣٨٩).

الواقعة ﴿فَأُولَٰئِكَ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ﴾، هذا وعيد ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ١٧ ﴿إِلَّا
الْمُسْتَضْعِفِينَ﴾؛ الذين لا يقدرّون على الهجرة، وبقوا في بلاد الشرك؛ لأنهم
لا يقدرّون على الهجرة ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا
يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ ١٨ ﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ
اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا﴾ ١٩ ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا
وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ
عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٩٧-١٠٠]، هذا في شأن هؤلاء، وهذه
قصة عجيبة وعظيمة؛ أن هؤلاء مع إسلامهم وصدقهم في الإسلام لما تركوا
الهجرة من غير عذر، حصل عليهم هذا الوعيد وهذا التوبيخ من الملائكة، لما
جاءت تقبض أرواحهم. فدل على أنه لا يجوز للموحد المسلم أن يتساهل بهذا
الأمر، وأن يكون مع المشركين، ولو من غير محبة لهم، لكن محبة لماله، أو ولده،
أو بيته، أو غير ذلك ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ
وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا
أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا﴾؛ يعني:
انتظروا ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾، هذا وعيد شديد ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]، فلا يجوز تقديم محبة الأموال والأولاد على طاعة
الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعلى الهجرة والجهاد في سبيل الله عَزَّجَلَّ، والكثير من الناس
يقرؤون هذه الآيات، ولا يتدبرونها.



وَهِيَ أَنَّ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ لَمْ يُهَاجِرْ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ فِي الدِّينِ وَتَزْيِينِ دِينِ الْمُشْرِكِينَ، وَلَكِنْ مَحَبَّةَ الْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَطَنِ، فَلَمَّا خَرَجُوا إِلَى بَدْرٍ، خَرَجُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ كَارِهِينَ، فَقُتِلَ بَعْضُهُمْ بِالرَّمْيِ، وَالرَّامِي لَا يَعْرِفُهُ، فَلَمَّا سَمِعَ الصَّحَابَةُ أَنَّ مِنَ الْقَتْلَى فَلَانًا وَفُلَانًا، شَقَّ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: قَتَلْنَا إِخْوَانَنَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمُلْكِيَّةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٧-١٠٠].

فَمَنْ تَأَمَّلَ قِصَّتَهُمْ، وَتَأَمَّلَ قَوْلَ الصَّحَابَةِ: «قَتَلْنَا إِخْوَانَنَا»، عَلِمَ أَنَّهُ لَوْ بَلَغَهُمْ عَنْهُمْ كَلَامٌ فِي الدِّينِ أَوْ كَلَامٌ فِي تَزْيِينِ دِينِ الْمُشْرِكِينَ، لَمْ يَقُولُوا: «قَتَلْنَا إِخْوَانَنَا».

— ❖ الشَّرْحُ ❖ —

فَالصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَا قَالُوا: «إِخْوَانَنَا»، إِلَّا لِأَنَّهُمْ مُسْتَقِيمُونَ عَلَى الدِّينِ، مَا ذَكَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ مَالُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ، أَوْ مَدَحُوا الْمُشْرِكِينَ، بَلْ يَبْغُضُونَ دِينَ الْمُشْرِكِينَ، وَكَانُوا عَلَى التَّوْحِيدِ، وَكَانُوا مُخْلِصِينَ لِلَّهِ، وَلَيْسَ فِيهِمْ نِفَاقٌ، لَكِنْ تَرَكُوا شَيْئًا وَاحِدًا - وَهُوَ الْهَجْرَةُ - مِنْ غَيْرِ عَذْرِ، فَلَا مَهْمَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ.



فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ بَيَّنَّ لَهُمْ وَهُمْ بِمَكَّةَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ أَنَّ ذَلِكَ كُفْرٌ بَعْدَ
الْإِيمَانِ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ
وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦].

وَأَبْلَغُ مِنْ هَذَا مَا تَقَدَّمَ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِمْ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَقُولُ: ﴿فِيمَ
كُنْتُمْ﴾، وَلَمْ يَقُولُوا: كَيْفَ تَصْدِيقُكُمْ؟ ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾ [النساء: ٩٧]، وَلَمْ
يَقُولُوا: كَذَبْتُمْ. مِثْلَ مَا يَقُولُ اللَّهُ وَالْمَلَائِكَةُ لِلْمُجَاهِدِ الَّذِي يَقُولُ: جَاهَدْتُ فِي
سَبِيلِكَ حَتَّى قُتِلْتُ. فَيَقُولُ اللَّهُ: كَذَبْتَ. وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، بَلْ قَاتَلْتَ؛
لِيُقَالَ: جَرِيءٌ. وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ لِلْعَالِمِ وَالْمُتَصَدِّقِ: كَذَبْتَ، بَلْ تَعَلَّمْتَ؛ لِيُقَالَ:
عَالِمٌ، وَتَصَدَّقْتَ؛ لِيُقَالَ: جَوَادٌ^(١).

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٥): عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
فَقَالَ لَهُ نَاتِلُ أَهْلِ الشَّامِ: أَيُّهَا الشَّيْخُ، حَدَّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ
رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمُهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى
اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ
عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمُهُ
فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ:
كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ
أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ
الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمُهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ
أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ،
ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ».

الشرح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَبْلَغُ مِنْ هَذَا مَا تَقَدَّمَ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِمْ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَقُولُ: ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾، وَلَمْ يَقُولُوا: كَيْفَ تَصْدِيقُكُمْ؟)، فالملائكة ما سألوهم عن إيمانهم وعقيدتهم؛ لأنهم يعرفون أنهم على عقيدة صحيحة، وعلى إيمان صادق، لكن سألوهم عن المكان الذي هم فيه، حيث لا يجوز لهم أن يبقوا فيه، وهم يقدرّون على الهجرة منه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَمْ يَقُولُوا: كَذَبْتُمْ)، الملائكة لم تقل: «كذبتُمْ، لستم مسلمين، ولستم مؤمنين»، بل قالو: ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾، سألوهم عن المكان الذي هم موجودون فيه؛ حيث خرجوا مع المشركين، ولو كانوا مكرهين؛ لأنهم هم السبب في تسلط الكفار عليهم، ولا يجوز مرافقتهم والخروج معهم؛ حباً للمال وللأهل ومداراة؛ لكي يبقوا على أموالهم.



وَأَمَّا هَؤُلَاءِ، فَلَمْ يُكَذِّبُوهُمْ، بَلْ أَجَابُوهُمْ بِقَوْلِهِمْ: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧]، وَيَزِيدُ ذَلِكَ إِضَاحًا لِلْعَارِفِ وَالْجَاهِلِ الْآيَةُ الَّتِي بَعْدَهَا، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٨].

فَهَذَا أَوْضَحُ جِدًّا أَنَّ هَؤُلَاءِ خَرَجُوا مِنَ الْوَعِيدِ، فَلَمْ يَبْقَ شُبْهَةٌ، لَكِنْ لِمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ، بِخِلَافِ مَنْ لَمْ يَطْلُبْهُ، بَلْ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿صُمُّ بَكْمُ عُمَى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨].

— الشرح —

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَيَزِيدُ ذَلِكَ إِضَاحًا لِلْعَارِفِ وَالْجَاهِلِ الْآيَةُ الَّتِي بَعْدَهَا، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾)؛ يعني: لا يعذر إلا من ترك الهجرة عاجزًا عنها، فإنه معذور، قال تَعَالَى: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ للخروج ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ إليه، ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ﴾ [النساء: ٩٩]، هذا وعد من الله بالعفو عنهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَهَذَا أَوْضَحُ جِدًّا أَنَّ هَؤُلَاءِ خَرَجُوا مِنَ الْوَعِيدِ، فَلَمْ يَبْقَ شُبْهَةٌ، لَكِنْ لِمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ، بِخِلَافِ مَنْ لَمْ يَطْلُبْهُ)، نعم، اختلاط المسلمين مع الكفار من غير عذر أمر لا يجوز، بل لا بد أن تتميز بلاد المسلمين عن بلاد الكفار، ولا يُخالط المسلم المشرك، بل قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَتَرَاىَ نَارَاهُمَا»^(١)؛ أي: يُبعد عنه مهما أمكنه ذلك.

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٤٥)، والترمذي (١٦٠٤)، من حديث جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمَنْ فَهِمَ هَذَا الْمَوْضِعَ وَالَّذِي قَبْلَهُ، فَهِمَ كَلَامَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ،
 قَالَ: «لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّخَلِّيِّ وَلَا بِالتَّمَنِّيِّ، وَلَكِنْ مَا وَقَرَّ فِي الْقَلْبِ وَصَدَّقَتْهُ
 الْأَعْمَالُ»^(١)، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ
 الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

— الشرح —

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَنْ فَهِمَ هَذَا الْمَوْضِعَ وَالَّذِي قَبْلَهُ، فَهِمَ كَلَامَ الْحَسَنِ
 الْبَصْرِيِّ، قَالَ: «لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّخَلِّيِّ وَلَا بِالتَّمَنِّيِّ، وَلَكِنْ مَا وَقَرَّ فِي الْقَلْبِ
 وَصَدَّقَتْهُ الْأَعْمَالُ»)، فالإيمان هو ما صدقته الأعمال، ومنها الهجرة؛ لأنها
 من الأعمال، وهذا فيه رد على المرجئة^(٢)، الذين يقولون: «إنه يكفي الإيمان
 بالقلب، أو بالقلب واللسان»، فلا يكفي الاعتقاد والنطق، بل لابد من
 العمل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ
 وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾)، قوله: ﴿إِلَيْهِ﴾؛ أي: إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
 ﴿يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾؛ من الذكر، وقراءة القرآن، والتسبيح، والتهليل،

(١) انظر: الزهد والرفائق لابن المبارك (١/ ٥٤٥)، والإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٨٠٥)،
 وغريب الحديث للخطابي (٣/ ١٠١)، وشعب الإيمان للبيهقي (١/ ١٥٨).

(٢) المرجئة: قيل من الإرجاء أي: من التأخير لأنهم أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان، وقيل
 من الرجاء؛ لأنهم يقولون: «لا يضر مع الإيمان معصية؛ كما لا ينفع مع الكفر طاعة». وهم
 فرق شتى. انظر: مقالات الإسلاميين (ص ١٣٢)، والفرق بين الفرق (ص ١٩٠).

وكل كلام طيب، فإنه يصعد إلى الله جَلَّوَعَلَا، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليم العلم النافع، كل هذا من الكلم الطيب، والكلام الطيب مع الناس ومع الأقارب؛ ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، كل هذا من الكلم الطيب، يصعد إلى الله جَلَّوَعَلَا، لكن لا يصعد بنفسه، بل لابد من العمل؛ ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، وفي هذا رد على المرجئة -أيضاً.



المَوْضِعُ السَّادِسُ: قِصَّةُ الرَّدَّةِ بَعْدَ مَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَنْ سَمِعَهَا، لَا يَبْقَى فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ شُبْهَةِ الشَّيَاطِينِ الَّذِينَ يُسَمَّوْنَ «الْعُلَمَاءَ»، وَهِيَ قَوْلُهُمْ: «هَذَا هُوَ الشَّرْكُ، لَكِنْ يَقُولُونَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَنْ قَالَهَا، لَا يَكْفُرُ بِشَيْءٍ».

❖ الشَّرْحُ ❖

يقول علماء الضلال: «عبادة القبور، والذبح لها، والنذر لها ليس من الشرك، ما دام أنه يقول: لا إله إلا الله، فهذه الأمور لا تضره».

هذا تناقض؛ كيف يقول: «لا إله إلا الله»، ويدعو غير الله؟! إذاً ما معنى «لا إله إلا الله»؟! «لا إله إلا الله» ليست مجرد قول يقال باللسان، بل لا بد أن يكون قولاً ومعه عمل؛ لأن «لا إله إلا الله» كلمة عظيمة لها معنى، ولها مقتضى، ومقتضاها: أن يُخلص العبادة لله عَزَّوَجَلَّ، وأن يترك عبادة غير الله، فالذي يقولها، ولم يترك عبادة غير الله، لا تنفعه كلمة «لا إله إلا الله»؛ كما يقولون.

وربما يستدلون بالمتشابه من النصوص؛ مثل: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث البطاقة التي فيها «لا إله إلا الله»، وأنها تثقل بالسيئات، وأن صاحبها يدخل الجنة^(١)، هذا حديث عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن يُرَدُّ إلى الأحاديث

(١) كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠): عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَعْفَرِيِّ ثُمَّ الْحُطِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلُصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ =

الأخرى، التي تقيده؛ لا يؤخذ طرف، ويترك طرف؛ كما قال الله تعالى في أهل الزبيغ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَبْعٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧]، فالراسخون يردون المتشابه إلى المحكم.

والأحاديث التي ظاهرها أن «لا إله إلا الله» تكفي من قائلها تُرد إلى الأحاديث التي فيها أن «لا إله إلا الله» لا بد لها من قيود؛ مثل قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ»^(١)، هذا قيد، والذي يدعوا أصحاب القبور لم يكفر بما يُعبد من دون الله، حتى لو لم يذبح للقبور، ولم ينذر لها، بل قال: «إن هذا ليس بشرك»، هذا لا تنفعه «لا إله إلا الله»؛ لأنه صحح الشرك، وأقره، فهذا ما فهم معنى «لا إله إلا الله». ولهذا يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: (الشَّيَاطِينِ الَّذِينَ يُسَمِّنُونَ «الْعُلَمَاءَ»)، الذين يأخذون المتشابه، ويستدلون به، ويقولون: «من قال: لا إله إلا الله ولو فعل ما فعل من الشرك، هو من أهل الجنة»، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ»، ويقول: «فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

=يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سَجَلًا كُلُّ سَجَلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَطْلَمَكَ كِتَابِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عَذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزَنِّكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تَظْلَمُ، قَالَ: «فَتَوْضَعُ السَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ».

(١) أخرجه مسلم (٢٣)، من حديث أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ، عَنْ أَبِيهِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ.

يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ»^(١)، ويقول الله عَزَّجَلَّ: «يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ
الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»^(٢)، قيد
ذلك بالسلامة من الشرك، وهذه الأحاديث يرد بعضها إلى بعض؛ لأنها كلها
كلام الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والآيات تُرد بعضها إلى بعض؛ لأنها كلها كلام
الله، وبعضها يُفسر بعضًا، ويقيد بعضًا، ويوضح بعضًا.

أما أن نأخذ طرفًا، ونترك طرفًا آخر، فهذه طريقة أهل الزيغ.

وإن قال: «أنا أستدل بكلام الرسول»، فنقول له: كذبت، أنت لم تستدل
بكلام الرسول، أنت تستدل بالمتشابه منه، ولم ترده إلى المحكم.



(١) أخرجه البخاري (٤٢٥، ١١٨٦، ٥٤٠١)، ومسلم (٣٣)، من حديث عتب بن مالك
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَكْبَرُ تَضَرُّيْهُمْ بِأَنَّ الْبَوَادِي لَيْسَ مَعَهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ
شَعْرَةٌ، وَلَكِنْ يَقُولُونَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَهُمْ بِهَذِهِ اللَّفْظَةِ أَهْلُ إِسْلَامٍ.

— الشرح —

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَكْبَرُ تَضَرُّيْهُمْ بِأَنَّ الْبَوَادِي لَيْسَ مَعَهُمْ
مِنَ الْإِسْلَامِ شَعْرَةٌ)، البوادي: هم جمع بادية، وهم الأعراب الرحل.

يقول هؤلاء الضُّلَّال: «البوادي ما معهم من الإسلام شعرة؛ لا يصلون،
ولا يصومون، ولا يعرفون الإسلام، لكن ما داموا يقولون: لا إله إلا الله،
فهذا يكفيهم».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَكِنْ يَقُولُونَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَهُمْ بِهَذِهِ اللَّفْظَةِ أَهْلُ
إِسْلَامٍ)، فالضُّلَّال يقولون: «يكفي أنهم يقولون: لا إله إلا الله، فمجرد قولها
يدخلهم في الإسلام»، يقولون هذا وهم معترفون أنهم ما معهم من الإسلام
شعرة؛ لا يصلون، ولا يصومون، ولا يعملون شيئاً من الأعمال الصالحة،
فقط هم يقولون: «لا إله إلا الله».

يا سبحان الله! «لا إله إلا الله» ليست مجرد كلمة، لو كان هذا هو
الإسلام، لصار كل الناس مسلمين.

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قال لهم: «أَسْأَلُكُمْ أَنْ تُجِيبُونِي إِلَى وَاحِدَةٍ تَدِينُ
لَكُمْ بِهَا الْعَرَبُ، وَتُعْطِيَكُمْ بِهَا الْخَرَاجَ الْعَجَمُ». فَقَالُوا: وَمَا هِيَ؟ فَقَالَ: «تَقُولُونَ

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالُوا: ﴿أَجْعَلُ الْأَلَهَةَ إِلَهًا وَحِدًا﴾ [ص: ٥]»^(١)، عرفوا أنهم لو قالوا: «لا إله إلا الله»، تركوا عبادة الأصنام، وهم لا يريدون ذلك، هم يحسبونها كلمة فقط؛ أي: كلمة، فلما قال لهم: «قولوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وهم عرب فصحاء يعرفون معنى هذه الكلمة، وأنها تلزمهم بترك عبادة الأصنام، قالوا: ﴿أَجْعَلُ الْأَلَهَةَ إِلَهًا وَحِدًا﴾، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٣٥) وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴿[الصفات: ٣٥-٣٦].



(١) ذكره الطبري في تفسيره (١٨ / ٢٠)، وابن أبي زمنين في تفسيره (٨٢ / ٤)، وابن القيم في زاد المعاد (٣ / ١٤٠)، والقاسمي في محاسن التأويل (٥ / ٣٨٢).

وَحَرَّمَ الْإِسْلَامَ مَا لَهُمْ وَدَمَهُمْ، مَعَ إِفْرَارِهِمْ أَنَّهُمْ تَرَكُوا الْإِسْلَامَ كُلَّهُ،
وَمَعَ عِلْمِهِمْ بِإِنْكَارِهِمُ الْبَعْثَ وَاسْتِهْزَائِهِمْ بِمَنْ أَقَرَّ بِهِ.

— ❖ الشرح ❖ —

يقول علماء الضلال: «حرم الإسلام دمهم وما لهم»؛ يعنون البوادي التي ليس عندها من الإسلام شعرة؛ لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ»، لكنهم لا يحيئون بآخر الحديث: «إِلَّا بِحَقِّهَا»^(١)؛ أي: لا بد من العمل؛ لأن حقها العمل.

ويقولون: «إذا قال: لا إله إلا الله، وهو يُنكر البعث، يصير مسلماً! فهؤلاء مسلمون ما دام أنهم يقولون: لا إله إلا الله، ولو أنكروا البعث»، ما هذا التناقض -والعياذ بالله؟!- والذي يقول هذا ليس من العوام؛ إنهم علماء، علماء في الفقه والنحو والصرف، لكن في العقيدة ما عندهم ولا حبة خردل من العلم الصحيح، عقيدتهم عقيدة المتكلمين، ولا يدرسون التوحيد من كتاب الله ومن سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما يدرسون قواعد المنطق وعلم الكلام وعقائد المتكلمين، الذين يقولون: «يكفي أنك تقر بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت فقط»، هذا هو التوحيد عندهم.



(١) أخرجه البخاري (١٣٩٩، ١٤٥٧، ٦٩٢٤، ٧٢٨٤)، ومسلم (٢٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَاسْتَهْزَأَتْهُمْ وَتَفْضِيلُهُمْ دِينَ آبَائِهِمُ الْمُخَالِفَ لِدِينِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ يُصْرِّحُ هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينُ الْمَرْدَةُ الْجَهْلَةُ أَنَّ الْبَدُوَ أَسْلَمُوا، وَلَوْ جَرَى مِنْهُمْ ذَلِكَ كُلُّهُ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

وَلَا زِمَ قَوْلَهُمْ أَنَّ الْيَهُودَ أَسْلَمُوا؛ لِأَنَّ الْيَهُودَ يَقُولُونَهَا. وَأَيْضًا كُفِّرَ هَؤُلَاءِ أَغْلَظُ مَنْ كُفِّرَ الْيَهُودَ بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ؛ أَغْنَى: الْبَوَادِي الْمُتَصِفِينَ بِهَا ذَكَرْنَا. وَالَّذِي يُبَيِّنُ ذَلِكَ فِي قِصَّةِ الرَّدَّةِ أَنَّ الْمُرْتَدِّينَ افْتَرَقُوا فِي رِدَّتِهِمْ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ كَذَّبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَجَعُوا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَقَالُوا: «لَوْ كَانَ نَبِيًّا، مَا مَاتَ»^(١)، وَمِنْهُمْ مَنْ أَقَرَّ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَلَكِنَّهُ أَقَرَّ بِنُبُوءَةِ مُسَيْلِمَةَ^(٢).

— الشَّرْحُ —

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَا زِمَ قَوْلَهُمْ أَنَّ الْيَهُودَ أَسْلَمُوا؛ لِأَنَّ الْيَهُودَ يَقُولُونَهَا. وَأَيْضًا كُفِّرَ هَؤُلَاءِ أَغْلَظُ مَنْ كُفِّرَ الْيَهُودَ بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ؛ أَغْنَى: الْبَوَادِي الْمُتَصِفِينَ بِهَا ذَكَرْنَا) الْيَهُودَ يَقُولُونَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، لَكِنْ لَمْ يَعْمَلُوا بِهَا، صَارُوا أَغْلَظَ الْأُمَمِ كُفْرًا -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ-، وَمِثْلُهُمْ مَنْ اعْتَقَدَ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالَّذِي يُبَيِّنُ ذَلِكَ فِي قِصَّةِ الرَّدَّةِ أَنَّ الْمُرْتَدِّينَ افْتَرَقُوا فِي رِدَّتِهِمْ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ كَذَّبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَجَعُوا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ،

(١) انظر: البداية والنهاية (٦/ ٣٦٠).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٣/ ٢٨٦)، والكامل في التاريخ (٢/ ٢١٦)، ونهاية الأرب (١٩/ ٨٨)، والبداية والنهاية (٦/ ٣٥٩ - ٣٦٠).

وَقَالُوا: «لَوْ كَانَ نَبِيًّا، مَا مَاتَ»، المرتدون لا شك في كفرهم، ولم يحصل عند الصحابة خلاف في كفرهم، وهم صنفان: الصنف الأول: الذين يقولون: «لَوْ كَانَ نَبِيًّا، مَا مَاتَ، وكونه مات هذا دليل على أنه غير نبي»، فارتدوا عن الإسلام؛ لأنهم كفروا برسالة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمِنْهُمْ مَنْ أَقَرَّ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَلَكِنَّهُ أَقَرَّ بِنُبُوءَةِ مُسَيْلِمَةَ)، الصنف الثاني: من أقر بالشهادتين، وأن محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول الله، لكن أقر بنبوة مسيلمة، قال: «إن مسيلمة نبي»، فهؤلاء لا تنفعهم شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، إذا أقروا بنبوة مسيلمة الكذاب، فليسوا مسلمين، وهذا بالإجماع؛ لأنهم جحدوا ختم النبوة بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيث يقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ^ط وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿[الأحزاب: ٤٠]، وصدقوا المتنبي الكاذب.



ظَنَّا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْرَكَهُ فِي النَّبُوَّةِ؛ لِأَنَّ مُسَيْلِمَةَ أَقَامَ شُهُودَ زُورٍ،
وَشَهِدُوا لَهُ بِذَلِكَ، فَصَدَّقَهُمْ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ. وَمَعَ هَذَا أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ أَنَّهُمْ
مُرْتَدُّونَ - وَلَوْ جَهِلُوا ذَلِكَ -، وَمَنْ شَكَّ فِي رِدَّتِهِمْ، فَهُوَ كَافِرٌ.

❖ الشرح ❖

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ظَنَّا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْرَكَهُ فِي النَّبُوَّةِ)؛ لأن مسيلمة
الكذاب يقول: «إن الرسول أشركني في النبوة»، وصدقوه في هذه الكلمة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (لِأَنَّ مُسَيْلِمَةَ أَقَامَ شُهُودَ زُورٍ، وَشَهِدُوا لَهُ بِذَلِكَ، فَصَدَّقَهُمْ
كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ)، وشهد له بعض الشهود أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْرَكَهُ فِي
الأمْر - شهادة زور والعياذ بالله -، وكذبوا صريح القرآن بختم النبوة بمحمد
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»^(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَعَ هَذَا أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ أَنَّهُمْ مُرْتَدُّونَ - وَلَوْ جَهِلُوا ذَلِكَ)،
الذي يقول: «إنه يُبعث بعد الرسول نبي» يكون كافراً بالإجماع.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَنْ شَكَّ فِي رِدَّتِهِمْ، فَهُوَ كَافِرٌ)؛ لأنه لم يُكْفَرِ المشركين،
وقال: «يمكن أن يكونوا صادقين»، وما جزم أنهم على الباطل، بل قال: «أنا
لا أدري، أنا لا أكفر الناس»، نقول: لا. لا بد أن تعرف الحق من الباطل، لا بد
أن تعرف الكفر من الإيمان، وتميز المسلم من الكافر، لا بد من هذا، وإلا ما
معنى الإسلام؟!

(١) أخرجه بهذا اللفظ أبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢٢١٩)، وأصله عند مسلم (١٩٢٠)،
٢٨٨٩)، من حديث ثوبان رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ.

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الْعُلَمَاءَ أَجْمَعُوا أَنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا، وَرَجَعُوا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَشَتَمُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُمْ وَمَنْ أَقَرَّ بِنُبُوَّةِ مُسَيْلِمَةَ فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ، وَلَوْ ثَبَتَ عَلَى الْإِسْلَامِ كُلِّهِ.
وَمِنْهُمْ مَنْ أَقَرَّ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَصَدَّقَ طَلِيحَةَ فِي دَعْوَاهُ النَّبُوَّةِ^(١).
وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّقَ الْعَنْبِيَّ صَاحِبَ صَنْعَاءَ^(٢).

— الشرح —

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الْعُلَمَاءَ أَجْمَعُوا أَنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا، وَرَجَعُوا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَشَتَمُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُمْ وَمَنْ أَقَرَّ بِنُبُوَّةِ مُسَيْلِمَةَ فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ، وَلَوْ ثَبَتَ عَلَى الْإِسْلَامِ كُلِّهِ)؛ أي: من لم يكفر المشركين، فهو مثل من يقر بنبوّة مسيلمة الكذاب، ولو كان يؤدي الإسلام كله، إذا قال: «إن مسيلمة صادق»، صار مرتدًا عن دين الإسلام، وهذا بالإجماع.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمِنْهُمْ مَنْ أَقَرَّ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَصَدَّقَ طَلِيحَةَ فِي دَعْوَاهُ النَّبُوَّةِ)، طليحة ممن ادعى النبوة، وصدقه قومه، وقاتلوا الصحابة معه، ثم إن الله منَّ على طليحة وعاد إلى الإسلام، وتاب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وقتل في حروب الفرس مع المسلمين.

(١) انظر: تاريخ الطبري (٣/١٤٧، ١٨٥)، والكمال في التاريخ (٢/٢٠٢)، ونهاية الأرب (١٩/٦٩)، والبداية والنهاية (٦/٣٤٢).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٣/١٨٥)، ونهاية الأرب (١٩/٤٩)، والبداية والنهاية (٦/٣٣٩).

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّقَ الْعَنْسِيَّ صَاحِبَ صَنْعَاءَ)، الأسود العنسي في اليمن، قتله عبد الله بن فيروز الديلمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في آخر حياة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأما مسيلمة، فإنه قاتله الصحابة في حرب اليمامة بقيادة خالد ابن الوليد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حتى قتلوه.



وَكُلُّ هَؤُلَاءِ أَجْمَعُ الْعُلَمَاءُ أَتَمُّهُمْ سَوَاءٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَذَّبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
وَرَجَعَ إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، عَلَى حَالٍ وَاحِدَةٍ.

وَمِنْهُمْ أَنْوَاعٌ أُخَرُ، آخَرُهُمُ الْفُجَاءَةُ السُّلَمِيُّ، لَمَّا وَفَدَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
وَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ يُرِيدُ قِتَالَ الْمُرْتَدِّينَ، وَيَطْلُبُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يُمِدَّهُ، فَأَعْطَاهُ
سِلَاحًا وَرَوَاحِلَ، فَاسْتَعَرَضَ السُّلَمِيُّ الْمُسْلِمَ وَالْكَافِرَ؛ لِيَأْخُذَ أَمْوَالَهُمْ، فَجَهَّزَ
أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَيْشًا لِقِتَالِهِ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِالْجَيْشِ، قَالَ لِأَمِيرِهِمْ: أَنْتَ أَمِيرُ
أَبِي بَكْرٍ، وَأَنَا أَمِيرُهُ، فَلَمْ أَكْفُرْ. فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ صَادِقًا، فَالْقِ السِّلَاحَ. فَالْقَاهُ،
فَبَعَثَ بِهِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَمَرَ بِتَحْرِيقِهِ بِالنَّارِ، وَهُوَ حَيٌّ^(١).

❖ الشَّرْحُ ❖

فالمرتدون أنواع، ومن صدق أحداً منهم، فهو كافر، وإن كان يشهد أن
لا إله إلا الله، فلا تنفعه «لا إله إلا الله» بمجرد النطق، وأشدَّ كفرًا من هؤلاء
من يقول: «لا إله إلا الله»، ثم يعبد الأولياء والصالحين.



(١) انظر: تاريخ الطبري (٣/ ٢٦٤ - ٢٦٥)، والكامل في التاريخ (٢/ ٢٠٧)، والبداية
والنهاية (٦/ ٣٥١).

فَإِذَا كَانَ هَذَا حُكْمُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي هَذَا الرَّجُلِ مَعَ إِقْرَارِهِ بِأَرْكَانِ
 الْإِسْلَامِ الْخَمْسَةِ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ لَمْ يُقِرَّ مِنَ الْإِسْلَامِ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، إِلَّا أَنْ يَقُولَ:
 «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» بِلِسَانِهِ مَعَ تَضَرُّيهِ بِتَكْذِيبِ مَعْنَاهَا وَتَضَرُّيهِ الْبَرَاءَةَ مِنْ دِينِ
 مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى؟ وَيَقُولُونَ: «هَذَا دِينُ الْحَضَرِ، وَدِينُنَا
 دِينُ آبَائِنَا»، ثُمَّ يُفْتَوْنَ هَؤُلَاءِ الْمَرَدَّةُ الْجَهَّالُ أَنْ هَؤُلَاءِ مُسْلِمُونَ، وَلَوْ صَرَّحُوا
 بِذَلِكَ كُلَّهُ، إِذَا قَالُوا: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ!

— ❖ الشَّرْحُ ❖ —

الذين يقولون: «إن الإسلام دين الحضر، أما نحن، فعلى دين آبائنا،
 ما نحن على دين الحضر»، ويقول علماء الضلال: «هؤلاء مسلمون؛ لأنهم
 يقولون: لا إله إلا الله»، وهم يتبرؤون من دين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويقولون:
 «هذا دين الحضر».



وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَهُ وَاحِدٌ مِنَ الْبَوَادِي، لَمَّا قَدِمَ عَلَيْنَا، وَسَمِعَ شَيْئًا مِنَ
الْإِسْلَامِ، قَالَ: «أَشْهَدُ أَنَّكَ كُفَّارٌ - يَعْنِي هُوَ وَجَمِيعُ الْبَوَادِي - وَأَشْهَدُ أَنَّ الْمَطْوَعَ
الَّذِي يُسَمِّنَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ أَنَّهُ كَافِرٌ».

تَمَّ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

❖ الشَّرْحُ ❖

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَهُ وَاحِدٌ مِنَ الْبَوَادِي، لَمَّا قَدِمَ عَلَيْنَا،
وَسَمِعَ شَيْئًا مِنَ الْإِسْلَامِ، قَالَ: «أَشْهَدُ أَنَّكَ كُفَّارٌ - يَعْنِي هُوَ وَجَمِيعُ الْبَوَادِي -
وَأَشْهَدُ أَنَّ الْمَطْوَعَ الَّذِي يُسَمِّنَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ أَنَّهُ كَافِرٌ») هذا أعرابي جاء
لدرس الشيخ، ولما عرف الإسلام معرفة صحيحة، شهد على نفسه قبل أن
يعرف الإسلام وعلى جماعته أنهم كفار، وشهد أن المطوع - يعني: العالم الذي
يقول: «إنكم مسلمون» - أنه كافر؛ لأنه حكم هؤلاء الكفار بالإسلام، وما
أكثر أشباهه!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (تَمَّ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ)، غفر الله له، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء!
لقد بيَّن ووضح رَحِمَهُ اللَّهُ.





تفسير كلمة التوحيد

سُئِلَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَأَجَابَ: اعْلَمْ - رَحِمَكَ اللَّهُ - أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ هِيَ الْفَارِقَةُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِسْلَامِ، وَهِيَ كَلِمَةُ التَّقْوَى، وَهِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى.

❖ الشَّرْحُ ❖

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه، وبعد:

كلمة «لا إله إلا الله» كلمة عظيمة خفيفة على اللسان، وهي عظيمة في الميزان؛ لأنها في الحقيقة هي مضمون الإسلام، ولكن هذه الكلمة ليست مجرد لفظ، بل لها معنى، ولها مقتضى، ولها أركان، ولها شروط، لا بد من معرفتها، ولو كان القصد مجرد التلفظ بها، لصار كُلُّ من يقولها مسلماً؛ لأنه سهل أن يقول: «لا إله إلا الله»، ويصير مسلماً ولو لم يعمل شيئاً، فهذه كلمة عظيمة ولكن لها معنى، ولها مقتضى، ولها أركان، ولها شروط، لا بد من تحقيقها، ولهذا فإنها لا تنفع إلا مع وجود هذه المذكورات.

وهذه الكلمة لها أسماء، منها: أنها كلمة الإخلاص؛ لأنها تنفي الشرك بالله عَزَّجَلَّ، وتثبت العبادة لله عَزَّجَلَّ، لذلك سميت كلمة الإخلاص؛ أي: إخلاص التوحيد، وإخلاص العبادة، وتجنب الشرك بالله عَزَّجَلَّ، وتسمى كلمة التقوى؛ كما قال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ

كَلِمَةُ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ يَكْلِي شَيْءٌ عَلِيمًا ﴿

[الفتح: ٢٦]، وكلمة التقوى هي «لا إله إلا الله»؛ لأنها تقي من قالها مخلصاً لله عزَّ وجلَّ، تقيه من النار، ولأنها تقتضي أعمال البر؛ لأن التقوى هي أعمال البر والطاعات، هذه الكلمة تقتضي كل أعمال البر والطاعة، فهي كلمة التقوى.

وأيضاً هي العروة الوثقى؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ﴿يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ﴾ هذا هو معنى «لا إله إلا الله»؛ أنه ﴿يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾، هذا هو معنى «لا إله»، ﴿وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ﴾، هذا هو معنى «إلا الله»، فمعنى ﴿يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ﴾ هو مقتضى «لا إله إلا الله»، ولذلك سميت العروة الوثقى.

وأيضاً هي - كما قال الشيخ رحمه الله -: (الْفَارِقَةُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِسْلَامِ)، فمن قالها عالماً بمعناها، عاملاً بمقتضاها، صار مسلماً، ومن أبى أن يقولها، أو قالها، ولكن لم يعلم معناها، أو قالها، ولم يعمل بمقتضاها، لم يكن مسلماً، حتى يعرف معناها، ويعمل بمقتضاها ظاهراً وباطناً.

هذه أسماء لـ «لا إله إلا الله»: كلمة الإخلاص، كلمة التقوى، العروة الوثقى، الكلمة الفاصلة بين الكفر والإسلام؛ لأن كثيراً من الناس لا يهتمون بمقتضى هذه الكلمة، مع أنهم يكثرون من النطق بها، وذكر الله بها؛ كالصوفية، فلهم أوراد صباحية ومسائية، فيها «لا إله إلا الله» آلاف المرات، ولكنهم يدعون غير الله، فهي لا تفيدهم شيئاً؛ لأنهم لم يعملوا بمقتضاها، فهم يقولونها، ويقرؤونها في أورادهم، ويكررونها، ولكن يدعون الموتى،

ويستغيثون بالمقبورين، ويطيعون مشايخ الطرق الذين يشرعون لهم عبادات لم يشرعها الله ولا رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يتلقون التشريع عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما يتلقونه عن مشايخهم، فهؤلاء يكثرون النطق بـ«لا إله إلا الله» صباحاً ومساءً، ولا يُغني عنهم نطقهم بها شيئاً، ولا يفيدهم شيئاً.

ومن الصوفية من لا ينطق بها كاملة، وهؤلاء بزعمهم أنهم صاروا خواص الخواص، لا يقولون: «لا إله إلا الله»، بل يقولون: «الله الله»، هذا ذكرهم، يرددون: «الله الله الله»، مع أنه لا بد أن تأتي بجملة مفيدة، أما «الله الله»، فهو اسم مجرد، فهو لا يفيد شيئاً، وبعضهم لا يقول لفظ الجلالة، بل يقول: «هو هو هو»، ضمير غائب وهذا لا يفيد شيئاً؛ لأنه تلاعب بهذه الكلمة، فيجب التنبه لهذه الأمور؛ لأن الشيطان لما علم أن هذه الكلمة هي كلمة الإسلام، وكان عند الناس رغبة في النطق بها والذكر بها، صرفهم عنها بهذه الحيل، وأتى لهم بهذه الوسوس، وقال لهم: «قولوا: الله الله، أو قولوا: هو هو»، وبعضهم لا يتلفظ لا بالله، ولا بهو، وإنما يقولها بقلبه فقط، كل هذا تلاعب من الشيطان، فيجب التنبه لهذا.

ومن الناس من يغفله الشيطان عن قول: «لا إله إلا الله»، فلا يقولها إلا نادراً، ولا يذكر الله بها، إلا قليلاً، ولا يكررها مع أنها ثقيلة في الميزان؛ كما جاء في «كتاب التوحيد» أنها لو وضعت في كفة، ووضعت السماوات ومن فيها - غير الله - والأرض ومن فيها في كفة، لمالت بهن «لا إله إلا الله»^(١)؛

(١) كما في الحديث الذي أخرجه النسائي في الكبرى (٣٠٧/٩)، وابن حبان في صحيحه (١٠٢/١٤)، والطبراني في الدعاء (٤٣٥/١)، والحاكم في المستدرک (٧١٠/١) =

فهي تثقل بمن في السماوات ومن فيها - غير الله - والأرض وبمن فيها، فهي كلمة عظيمة، ولكن قل من يتنبه لها، ويستحضرها، ويعود لسانه على النطق بها، وتكرارها، إلا من وفقه الله سبحانه وتعالى.



= عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ عَلَّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ بِهِ وَأَدْعُوكَ بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ: كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُ هَذَا، قَالَ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تَخْصِنِي بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى، لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرُهُنَّ غَيْرِي، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ فِي كَفَّةٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كَفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». وانظر: كتاب التوحيد (ص ١٢-١٣).

وَهِيَ كَلِمَةُ التَّقْوَى، وَهِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى، وَهِيَ الَّتِي جَعَلَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ؛ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ.

— الشرح —

وهذه الكلمة «لا إله إلا الله» هي التي عناها إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (٦٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴿[الزخرف: ٢٦-٢٧]، هذا هو معنى «لا إله إلا الله»، ﴿إِنِّي بَرَاءٌ﴾ هذا معنى النفي «لا إله»، ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾، هذا معنى الإثبات «إلا الله»، ﴿وَجَعَلَهَا﴾؛ أي: إبراهيم صلى الله عليه وسلم جعل هذه الكلمة، ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾؛ في ذريته، فلا يزال فيهم من يقول: «لا إله إلا الله»، لم يتركوها كلهم، ولم يشركوا كلهم، بل فيهم من قالها، واستقام عليها، ولو كان عدداً قليلاً، أو أفراداً، فلما بُعث محمد صلى الله عليه وسلم، بُعث بهذه الكلمة، قال صلى الله عليه وسلم: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»^(١)، فالرسول صلى الله عليه وسلم بُعث بـ«لا إله إلا الله»، وهي الكلمة التي جعلها جده إبراهيم صلى الله عليه وسلم باقية في عقبه، وكان محمد صلى الله عليه وسلم من عقب إبراهيم، وبعثه الله بها، يدعو الناس إليها، ويُقاتلهم عليها، فهي كلمة عظيمة، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾؛ أي: يرجعون إليها. وبعثه محمد صلى الله عليه وسلم رجع إليها الكثير من ذرية إبراهيم عليه السلام، فالرسول صلى الله عليه وسلم بُعث بهذه الكلمة، والدعوة إليها، وتحقيقها، والعمل بها، بل إن كل الرسل بعثوا بها،

(١) سبق تخريجه (ص ٦٧).

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا
الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، هذا معنى «لا إله إلا الله»، ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا
الطَّاغُوتَ ﴾، هذا معنى النفي والإثبات، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ
إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ﴿ يَنْزِلُ الْمَلَكُ
بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾؛ الأنبياء والرسل ﴿ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ [النحل: ٢]، كل الرسل بعثوا بـ «لا إله إلا الله»، ولكن
إبراهيم صلى الله عليه وسلم جعلها كلمة باقية في عقبه إلى أن تقوم الساعة، ولا يزال
في ذرية إبراهيم من يتوارث هذه الكلمة علماً وعملاً وتحقيقاً، وإن أعرض
عنها الأكثرون.



وَلَيْسَ الْمُرَادُ قَوْلَهَا بِاللِّسَانِ مَعَ الْجَهْلِ بِمَعْنَاهَا.

• الشرح •

ليس المقصود قول: «لا إله إلا الله» باللسان فقط من غير فهم لمعناها، لا بد أن تتعلم ما معنى «لا إله إلا الله»؟ أما إذا قلتها، وأنت لا تعرف معناها، فإنك لا تعتقد ما دلت عليه، فكيف تعتقد شيئاً تجهله، فلا بد أن تعرف معناها؛ حتى تعتقده، تعتقد بقلبك ما يلفظ به لسانك، فلا بد أن تتعلم معنى «لا إله إلا الله»، أما مجرد نطق اللسان من غير فهم لمعناها، فهذا لا يفيد شيئاً.

أيضاً لا يكفي الاعتقاد بالقلب ونطق اللسان، بل لا بد من العمل بمقتضاها، وذلك بإخلاص العبادة لله، وترك عبادة من سواه سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، فـ«لا إله إلا الله» كلمة نطق وعلم وعمل، ليست كلمة لفظ فقط، أما المرجئة، فهم يقولون: يكفي التلفظ بـ«لا إله إلا الله»، أو يكفي التلفظ بها مع اعتقاد معناها، والعمل ليس بلازم، من قالها ولو لم يعمل شيئاً من لوازمها هو من أهل الجنة، ولو لم يصل، ولم يزك، ولم يحج، ولم يصم، ولو فعل الفواحش والكبائر والزنا والسرقة وشرب الخمر، وفعل ما يريد من المعاصي، وترك الطاعات كلها؛ لأنه تكفيه «لا إله إلا الله» عندهم، هذا مذهب المرجئة، الذين يخرجون من العمل من حقيقة الإيمان، ويعتبرون العمل إن جاء، فبها ونعمت، وإن لم يجيء، فإنها تكفي «لا إله إلا الله» عندهم، ويستدلون بأحاديث تفيد أن من قال: «لا إله إلا الله»، دخل الجنة، ولكن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما اقتصر على هذه الأحاديث، فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له أحاديث أخرى تقيد

هذه الأحاديث، ولا بد أن تجمع بين كلام الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعضه إلى بعض، لا أن تأخذ طرفاً، وتترك طرفاً؛ لأن كلام الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفسر بعضه بعضاً، ويبين بعضه بعضاً، أما الذي يأخذ طرفاً، ويترك طرفاً، فإنه من أهل الزيغ، الذين يتبعون ﴿مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧].

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللَّهِ»^(١)، وهذا حديث صحيح، فلماذا غفلتم عنه؟، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِدَلِكِ وَجْهَ اللَّهِ»^(٢)، أما الذي يقول: «لا إله إلا الله»، ولا يكفر بما يُعبد من دون الله، ويدعو الأولياء والصالحين، فإن هذا لا تنفعه «لا إله إلا الله»؛ لأن كلام الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُفسر بعضه بعضاً، ويقيد بعضه بعضاً، فلا تأخذ بعضه، وتترك بعضه، والله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ﴾؛ يأخذون الذي يصلح لهم، ويتركون الذي لا يصلح لهم، ويقولون: «استدلنا بالقرآن»، نقول: ما استدللتم بالقرآن، القرآن إن قال كذا، فقد قال كذا، فلماذا تأخذون بعضاً وتتركون بعضاً؟! ﴿وَالرَّسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَمَّا يَهُـ كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]؛ المحكم والمتشابه، فيردون المتشابه إلى المحكم، ويفسرونه به، ويقيدونه به، ويفصلونه، أما إنهم يأخذون المتشابه، ويتركون

(١) سبق تخريجه (ص ٦٣).

(٢) سبق تخريجه (ص ٦٤).

المحكم، فهذه طريقة أهل الزيغ، فالذين يأخذون بحديث أن «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١)، يقتصرون على هذا، ولا يوردون الأحاديث الواضحة التي فيها القيود، وفيها التفصيل، فهؤلاء أهل زيغ، فيجب على طالب العلم أن يعرف هذه القاعدة العظيمة؛ لأنها هي جماع الدين، وهي أساس الملة، ليس المقصود أنك تأخذ آية أو حديثاً، وتترك غيره، بل المقصود أنك تأخذ القرآن كله، وتأخذ السنة كلها، وكذلك كلام أهل العلم، العالم إذا قال كلاماً، لا تأخذه وحده، حتى ترده إلى كلامه الكامل، وتتبع كلامه في مؤلفاته؛ لأنه يقيد بعضه بعضاً؛ لأنهم على سنن كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فترد المطلق إلى المقيّد من كلامهم، فطالب العلم يجب عليه أن يأخذ هذه القاعدة معه دائماً، ويحذر من طريقة أهل الزيغ، الذين يأخذون الذي يصلح لهم، ويتركون الذي لا يصلح لهم من الكتاب، ومن السنة، ومن كلام أهل العلم، ويبترون النقول، ويتركون باقي الكلام، أو يتركون الكلام الثاني الذي يوضحه، ويأخذون الكلام المشتبه، ويتركون الكلام البين، كثير من الذين يدعون العلم غفلوا عن هذا الشيء؛ إما عن قصد التضليل، وإما عن جهل، فيجب معرفة هذه الأمور، وأن تكون أصول وقواعد عند طالب العلم.



(١) أخرجه مسلم (٩٤): عَنْ ابْنِ بُرَيْدَةَ، أَنَّ يَحْيَى بْنَ يَعْمَرَ حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا الْأَسْوَدِ الدَّيْلِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ حَدَّثَهُ، قَالَ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ نَائِمٌ عَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَإِذَا هُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدْ اسْتَيْقَظَ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

فَإِنَّ الْمُنَافِقِينَ يَقُولُونَهَا، وَهُمْ تَحْتَ الْكُفَّارِ ﴿١﴾ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴿٢﴾ [النساء: ١٤٥].

• الشرح •

المنافقون الذين هم ﴿١﴾ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴿٢﴾، هم الذين يظهرون الإسلام، ويبتغون الكفر؛ لأنه لما هاجر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة، وصار حوله المهاجرون والأنصار، وقوي الإسلام، وانتصر الدين في بدر، تلك الواقعة العظيمة التي طار خبرها في المشارق والمغارب؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انتصر على صناديد قريش، وقريش كانت تاج العرب، وكان الناس ينظرون إليها، فلما انتصر عليها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بدر، وقتل رؤوسها، عند ذلك قال المنافقون: «نحن وقعنا في المدينة بين المهاجرين والأنصار، ومعهم الرسول، وماذا نعمل؟» لجؤوا إلى حيلة، وهي أنهم يظهرون الإسلام؛ من أجل أن يعيشوا مع المسلمين، ويحافظوا على دمائهم وأموالهم، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس له إلا الظاهر، لا يدري عن القلوب إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فمن أظهر الإسلام، قبلناه منه، حتى يظهر منه ما يخالف ظاهره.

وقالوا: «لا إله إلا الله»، وشهدوا للرسول بالرسالة ظاهراً؛ كما قال الله تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً ﴿٢﴾ [المنافقون: ١-٢]؛ جنة يعني: سترة يستترون بها، فالمنافقون دخلوا في الإسلام

لما رأوا قوة المسلمين ظاهرًا، وبقوا على الكفر باطنًا -والعياذ بالله-، ولذلك جعلهم الله في الدرك الأسفل من النار تحت المشركين عبدة الأوثان، تحت الملاحدة؛ لعظيم جرمهم وخداعهم ومكرهم ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَلَٰذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩]، فالمنافق يقول: «لا إله إلا الله»، وهو في الدرك الأسفل من النار، فكيف تقولون: إن «لا إله إلا الله» يكفي مجرد التلفظ بها، وهؤلاء المنافقون في الدرك الأسفل من النار، وهم يقولون: «لا إله إلا الله»؟! فدل أن مجرد النطق بها لا يكفي إلا باعتقاد القلب وعمل الجوارح.



مَعَ كَوْنِهِمْ يُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ. وَلَكِنَّ الْمَرَادَ قَوْلُهَا مَعَ مَعْرِفَتِهَا بِالْقَلْبِ،
وَمَحَبَّتِهَا وَمَحَبَّةِ أَهْلِهَا، وَبُغْضٍ مِّنْ خَالَفَهَا وَمُعَادَاتِهِ.

— الشَّرْحُ —

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (مَعَ كَوْنِهِمْ يُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ)، المنافقون يصلون،
ويتصدقون، ويخرجون للجهاد مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الظاهر، ولكنهم
منافقون في قلوبهم، وهم يقولون: «لا إله إلا الله»، ولم تنفعهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَكِنَّ الْمَرَادَ قَوْلُهَا مَعَ مَعْرِفَتِهَا بِالْقَلْبِ، وَمَحَبَّتِهَا وَمَحَبَّةِ
أَهْلِهَا، وَبُغْضٍ مِّنْ خَالَفَهَا وَمُعَادَاتِهِ)، المراد من «لا إله إلا الله» قولها باللسان،
مع اعتقاد القلب بها، والعمل بمقتضاها، وموالات أهلها، ومعاداة من خالفها،
وهذا هو الحب في الله والبغض في الله، ولهذا قالوا: «لا إله إلا الله» لها سبعة
شروط، نظمها بعض العلماء بقوله:

عِلْمٌ يَقِينٌ وَإِخْلَاصٌ وَصِدْقٌ مَّعَ مَحَبَّةٌ وَإِنْقِيَادٌ وَالْقَبُولُ لَهَا

زاد الشيخ / سعد بن عتيق رَحِمَهُ اللَّهُ شرطاً ثامناً، فقال:

وَزَيْدٌ تَامِنُهَا الْكُفْرَانُ مِنْكَ بِمَا دُونَ الْإِلَهِ مِنَ الْأَوْثَانِ هَذَا أَلِهَا^(١)

وركنا «لا إله إلا الله» النفي والإثبات، فلا يكفي النفي، ولا يكفي
الإثبات، بل لابد من الاثنين.

(١) انظر: الدروس المهمة لعامة الأمة (١/٦)، وتحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان
الإسلام (١/٢٤).

كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا»^(١)، وَفِي رِوَايَةٍ: «خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»^(٢)، وَفِي رِوَايَةٍ: «صَادِقًا مِنْ قَلْبِهِ»^(٣)، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ»^(٤).

الشرح

قوله: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا»، هذا قيد، لم يقتصر على قوله: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، بل قال: «مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ» لا يكفي أن يقول: «لا إله إلا الله»؛ حتى يكون ذلك خالصًا من قلبه؛ لئلا يكون من المنافقين، الذين يقولونها بألسنتهم، ولكن لا يقولونها بقلوبهم.

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٢٢٩/٤)، والدولابي في الكنى والأسماء (١١٣/١)، والطبراني في الدعاء (٤٣٤/١)، وفي الأوسط (٤٦/٣)، من حديث أبي شيبه الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٩٩): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدَ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلَ مِنْكَ لَمَّا رَأَيْتُ مِنْ جِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ أَسْعَدَ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ».

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٤٠٥/٩): عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ذَكَرَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَالِكُ بْنُ الدُّخَشِمِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَقَعُوا فِيهِ، وَشَتَمُوهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُوا لِي أَصْحَابِي»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ كَهَفُ الْمُنَافِقِينَ وَمَلَجَوْهُمْ الَّذِي يَلْجَوْنَ إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟» قَالُوا: بَلَى، وَلَا خَيْرَ فِي شَهَادَتِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَشْهَدُ بِهَا عَبْدٌ صَادِقًا مِنْ قَلْبِهِ ثُمَّ يَمُوتُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ».

(٤) سبق تخريجه (ص ٦٣).

و«مَنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ»^(١)، هذا قيد عظيم، وهو قوله: «وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ»؛ لأن كثيراً يقولون: «لا إله إلا الله»، ولا يتركون عبادة القبور، ودعاء الأموات، والاستغاثة بهم، وطلب الحاجات من غير الله، هؤلاء لا تنفعهم «لا إله إلا الله».



(١) سبق تخريجه (ص ٦٣).

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى جَهَالَةِ أَكْثَرِ النَّاسِ بِهَذِهِ الشَّهَادَةِ.

— الشَّرْحُ —

أكثر الناس يجهلون هذه الشهادة، يحسبونها مجرد لفظ يُقال باللسان، وكثير من العلماء لا يفهمون معنى «لا إله إلا الله»، وهم علماء في الفقه، علماء في النحو، علماء في الحديث، ولكن أكثرهم ليس له عناية بالتوحيد، أو يتعلم عقيدة الأشاعرة^(١) وعلماء الكلام، التي تقتصر على توحيد الربوبية، ويقولون: «لا إله إلا الله»، ويفسرونها: «لا خالق إلا الله، لا يقدر على الاختراع إلا الله»، هذا تفسيرهم لها، فهم لا يتعدون توحيد الربوبية، ويفسرون «لا إله إلا الله» بما لا يزيد عن توحيد الربوبية، ولا يتعرضون لتوحيد الألوهية، الذي هو مطلوب لـ «لا إله إلا الله»، وقرأوا عقائد المتكلمين، تجدون أنهم يركزون على إثبات وجود الله؛ كأن الله فيه شك، والاعتراف بأنه هو الخالق، الرازق، المحيي، المميت... إلى آخره، ولا يذكرون العبادة، ولا يذكرون

(١) نسبة إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم الأشعري، ولد سنة ستين ومائتين، نشأ على مذهب المعتزلة، وتلمذ على أبي علي الجبائي زوج أمه، ومضى على ذلك صدرًا من حياته، ثم ترك مذهبهم وتبرأ منه وسلك طريقة ابن كلاب، وانتشر مذهبه، ثم رجع عنه إلى مذهب أهل الحديث، وانتسب إلى الإمام أحمد، وألف في مذهب أهل السنة: الإبانة، والموجز، إلا أنه بقيت عليه بقايا من مذهب ابن كلاب. توفي ببغداد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، قاله الذهبي، ويقال: بقي إلى سنة ثلاثين وثلاثمائة. انظر: تاريخ بغداد (١١/٣٤٦)، ووفيات الأعيان (٣/٢٨٤)، وسير أعلام النبلاء (٨٥/١٥)، والبداية والنهاية (١١/٢١٢)، وشذرات الذهب (٢/٣٠٣).

الألوهية أبداً، هذا لا يزيد على دين المشركين، الذين قال الله فيهم: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١]؛ يثبتون الرب، ولكن يعبدون غيره، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، ما يقولون: «إنهم يخلقون، ويرزقون»، ولكن يقولون: «إنهم شفعاء، وسطاء لنا عند الله»، فالأمر خطير جداً، فهناك لبسٌ كثير في هذا الأمر، وضل به كثير من الناس بهذا اللبس.

الذي يخلص التوحيد، ويبين معنى «لا إله إلا الله» يقولون عنه: «هذا يُكفر المسلمين، نحن نبرأ إلى الله من الذي يكفر المسلمين، نحن ما نكفر إلا من كفره الله ورسوله»، فالذي لا يحقق «لا إله إلا الله» قد كفره الله ورسوله.



فَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ؛ نَفْيُ الْإِلَهِيَّةِ عَمَّا سِوَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛
مِنَ الْمُرْسَلِينَ حَتَّى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ حَتَّى جِبْرِيلَ، فَضْلًا عَنْ
غَيْرِهِمَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَإِثْبَاتُهَا لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

❖ الشَّرْحُ ❖

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ)، هذه الكلمة لها
ركنان هما: نفي، وإثبات، فلا يكفي النفي، ولا يكفي الإثبات، بل لابد من
الاثنتين مقترنين؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ﴾
[البقرة: ٢٥٦]، ما قال: ﴿يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ فقط، بل قال: ﴿وَيُؤْمِرْ
بِاللَّهِ﴾، ولا قال: (فمن يؤمن بالله)، ولم يذكر الكفر بالطاغوت، لابد من
الاثنتين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (نَفْيُ الْإِلَهِيَّةِ عَمَّا سِوَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى)؛ من المخلوقات،
ولو كان من أصلح الصالحين، فأصلح البشر هو محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصلح
الملائكة هو جبريل، ومع هذا لو أن أحداً يعبد جبريل، أو يعبد محمداً، فإنه
يكون مشركاً خالداً في النار؛ لأن الله لا يرضى أن يُشرك معه أحد؛ لا من
الملائكة، ولا من الأنبياء، ولا من الصالحين، ولا من الأشجار والأحجار،
ولهذا يقول: ﴿وَلَا تُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، ﴿أَحَدًا﴾ هذا عام،
﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، ﴿شَيْئًا﴾؛ أي شيء،
هذا نفي عام، والمنفي نكرة، والنكرة في سياق النفي تعم كل شيء^(١).

(١) انظر: روضة الناظر (٢٢٢-٢٢٣)، والمسودة في أصول الفقه لآل تيمية (١٠٣/١).

إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ، فَتَأَمَّلْ الْأُلُوْهِيَّةَ الَّتِي أَثْبَتَهَا اللهُ تَعَالَى لِنَفْسِهِ، وَنَفَاهَا عَنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَزِيلٍ وَغَيْرِهِمَا أَنْ يَكُونَ لَهِمَا مِنْهَا مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ.

❖ الشرح ❖

الألوهية معناها: العبادة^(١)، ومن هنا غلط كثيرون في تفسير «لا إله إلا الله»، وفسروها بغير تفسيرها، ومن ذلك:

١- تفسير أهل وحدة الوجود^(٢) لكلمة التوحيد:

فأهل وحدة الوجود -ابن عربي^(٣) وأتباعه-، يقولون: «لا إله إلا الله»

(١) قال ابن فارس في مقاييس اللغة (١/١٢٧): (أَلَهٌ) الْهُمَزَةُ وَاللَّامُ وَالْهَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ. فَالْإِلَهُ اللهُ تَعَالَى، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ مَعْبُودٌ. وَيُقَالُ: تَأَلَّى الرَّجُلُ: إِذَا تَعَبَّدَ. قَالَ رُؤْبَةُ: لِلَّهِ دُرٌّ الْغَانِيَاتِ ائْتَدِهْ سَبَخْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأَلَّيْهِ وانظر: اشتقاق أسماء الله (١/٢٤)، ولسان العرب (١٣/٤٦٨)، وتاج العروس (٣٦/٣٢٠).

(٢) هم الذين يقولون بوحدة الوجود، مذهبهم الذي هم عليه: أَنَّ الْوُجُودَ وَاحِدٌ، وَيُسَمَّوْنَ أَهْلَ وَحْدَةِ الْوُجُودِ وَيَدَّعَوْنَ التَّحْقِيقَ وَالْعِرْفَانَ وَهُمْ يَجْعَلُونَ وُجُودَ الْخَالِقِ عَيْنَ وُجُودِ الْمَخْلُوقَاتِ فَكُلُّ مَا يَتَصِفُ بِهِ الْمَخْلُوقَاتُ مِنْ حَسَنِ وَفَيْحٍ وَمَدْحٍ وَذَمٍّ إِنَّمَا الْمُتَّصِفُ بِهِ عِنْدَهُمْ: عَيْنُ الْخَالِقِ وَلَيْسَ لِلْخَالِقِ عِنْدَهُمْ وُجُودٌ مُبَايِنٌ لَوْجُودِ الْمَخْلُوقَاتِ مُتَفَصِّلٌ عَنْهَا أَصْلًا؛ بَلْ عِنْدَهُمْ مَا تَمَّ غَيْرُ أَصْلًا لِلْخَالِقِ وَلَا سِوَاهُ. وَمِنْ كَلِمَاتِهِمْ: لَيْسَ إِلَّا اللهُ. فَعِبَادُ الْأَصْنَامِ لَمْ يَعْبُدُوا غَيْرَهُ عِنْدَهُمْ لِأَنَّهُ مَا عِنْدَهُمْ لَهُ غَيْرٌ. انظر: أمراض القلوب وشفافؤها (١/٦٤)، والفتاوى الكبرى (٥/١٢٢-١٢٣)، والفرقان (١/١١٣)، ودرء التعارض (٧/١٢٥)، ومجموع الفتاوى (٢/١٢١-١٢٦).

(٣) هو مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَرَبِيٍّ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الطَّائِفِيُّ الْحَاتِمِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ، طَافَ الْبِلَادَ، وَأَقَامَ بِمَكَّةَ مَدَّةً، وَصَنَفَ فِيهَا كِتَابَهُ الْمُسَمَّى بِـ«الْفُتُوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ» فِي نَحْوِ عَشْرِينَ مَجْلَدًا، =

لا معبود إلا الله، أو لا إله موجود إلا الله، معنى هذا: أن المعبودات كلها هي الله؛ لأن عندهم أن الوجود لا ينقسم بين خالق ومخلوق، هو كله هو الله، هذا معنى أنهم أهل وحدة الوجود، يجعلون الوجود يتحد، ولا ينقسم، كله هو الله، مهما عبد الإنسان من شيء، فإنه قد عبد الله، الذي عبد البقر، والذي عبد الصنم، والذي عبد الحجر، والذي عبد البشر، والذي عبد الملائكة، كلهم يعبدون الله؛ لأن الله هو الوجود المطلق، والذي يقول: «إن الوجود ينقسم إلى قسمين؛ إلى خالق ومخلوق»، يقولون: «إن هذا مشرك»، فلا يكون موحدًا عندهم، إلا من قال: «إن الوجود شيء واحد هو الله»، فمهما عبدت من هذا الكون - من أشجار، أو أحجار، أو أصنام، أو طواغيت -، فإنك تعبد الله؛ لأن هذا هو الله، وبهذه المناسبة فإنه يغلط بعض العوام، يقول: «ولا معبود سواك»، وهذا يوافق قول أهل وحدة الوجود، ولكن لو قال: «لا معبود بحق سواك»، فلوزاد كلمة «بحق»، صح؛ لأن ما سواه معبود بالباطل، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

٢- تفسير علماء الكلام لكلمة التوحيد:

علماء الكلام يقولون: «لا إله إلا الله؛ لا قادر على الاختراع والخلق والتدبير والإيجاد إلا الله»، وهذا غير صحيح، هذا يوافق دين المشركين،

= فِيهَا مَا يُعْقَلُ وَمَا لَا يُعْقَلُ، وَمَا يُنْكَرُ وَمَا لَا يُنْكَرُ، وَمَا يُعْرَفُ وَمَا لَا يُعْرَفُ، وَلَهُ الْكِتَابُ الْمُسَمَّى بِـ «فُصُوصِ الْحُكْمِ» فِيهِ أَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ ظَاهِرُهَا كُفْرٌ صَرِيحٌ، وَأَقَامَ بِدَمَشَقَ مَدَّةَ طَوِيلَةٍ قَبْلَ وَفَاتِهِ، وَتُوفِّيَ بِهَا ٦٣٨ هـ. انظر: البداية والنهاية (١٣/ ١٨٢)، وتاريخ الإسلام (١٤/ ٢٧٣).

فالمشركون يقولون: «لا يقدر على الخلق إلا الله، لا يحيي إلا الله، لا يميت إلا الله، لا يرزق إلا الله»، وهذا توحيد الربوبية.

٣- تفسير لا إله إلا الله عند الجهمية^(١) والمعتزلة^(٢)، ومن سار على نهجهم:

هو نفي الأسماء والصفات؛ لأن من أثبت الأسماء والصفات عندهم يكون مشركاً، والتوحيد عندهم هو نفي الأسماء والصفات.

(١) هم أتباع الجهم بن صفوان أبو محرز الراسبي، مولا هم السمرقندي، الضال المبتدع رأس الجهمية، هلك في زمان صغار التابعين، وقد زرع شراً عظيماً، وهو رأس في التعطيل، قُتل سنة ١٢٨هـ، قتله سلم بن أحوز. انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/٨٦)، والفرق بين الفرق (ص ١٩٩)، وميزان الاعتدال للذهبي (٢/١٥٩)، والتعريفات للجرجاني (ص ١٠٨)، وفتح الباري (١٣/٣٤٥)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٥٩٠).

(٢) هي إحدى الفرق الضالة المخالفة لأهل السنة والجماعة، ورأس هذه الفرقة واصل بن عطاء الغزال، كان تلميذاً في مجلس الحسن البصري، فأظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين وأن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا بكافر، فطرده الحسن من مجلسه، وانضم إليه عمرو بن عبيد، واعتزلا مجلس الحسن، فسموا بالمعتزلة لذلك، ويلقبون بالقدرية لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم وإنكارهم القدر فيها.

وقد افترقت المعتزلة إلى فرق شتى يجمعهم القول بنفي الصفات، والقول بخلق القرآن، وأن العبد يخلق فعل نفسه، ولهم أصول خمسة جعلوها بمنزلة أركان الإيمان عند أهل السنة، وهي: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإنما أرادوا بهذه المسميات معاني باطلة.

انظر: الملل والنحل (١/٣٠ - ٣٢)، والفرق بين الفرق (ص ١٨، ٩٣، ٩٤)، والبدء والتاريخ (٥/١٤٢)، وسير أعلام النبلاء (٥/٤٦٤)، ووفيات الأعيان (٦/٨)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٧٩١-٧٩٢).

٤- تفسير الحزبيين والإخوانيين اليوم:

يقولون: «لا إله إلا الله؛ أي: لا حاكمية إلا لله، والحاكمية - كما يسمونها - جزء من معنى لا إله إلا الله؛ لأن معناها شامل لكل أنواع العبادات»، فنقول لهم: وأين بقية العبادات؟! أين الركوع والسجود والذبح والنذر، وبقية العبادات؟! هل العبادة هي الحاكمية فقط، إذا كان معناها عندكم الحاكمية فقط؟! وأين ما تنفيه من أنواع الشرك؟! يا سبحان الله! ينبغي التنبيه لهذه الأمور؛ لأن هذه كلمة عظيمة، هي المنجية من النار لمن حققها، وكل الدين ينبني عليها من أوله إلى آخره، ودعوة الرسل والكتب المنزلة كلها مبنية على هذه الكلمة.

٥- تفسير أهل السنة والجماعة:

«لا إله إلا الله» معناها: لا معبود بحق إلا الله؛ لأن المعبودات كثيرة، ولكن المعبود بحق هو الله وحده، وما سواه فعبادته باطلة؛ كما قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَبَدٌ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].



فَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْأُلُوهِيَّةَ هِيَ الَّتِي تُسَمِّيهَا الْعَامَّةُ فِي زَمَانِنَا السِّرَّ وَالْوَلَايَةَ.
وَالْإِلَهَ مَعْنَاهُ: الْوَلِيُّ الَّذِي فِيهِ السِّرُّ، وَهُوَ الَّذِي يُسَمُّونَهُ الْفَقِيرَ وَالشَّيْخَ.

— الشَّرْحُ —

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْأُلُوهِيَّةَ هِيَ الَّتِي تُسَمِّيهَا الْعَامَّةُ فِي زَمَانِنَا السِّرَّ وَالْوَلَايَةَ)؛ أي: يعتقدونها في الأولياء، ويقولون: «إن هذا الولي فيه سر، وفيه ولاية»؛ فيتقربون إليه بالذبح والنذر والدعاء والاستغاثة؛ لأنه فيه سر، وفيه ولاية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَهُوَ الَّذِي يُسَمُّونَهُ الْفَقِيرَ وَالشَّيْخَ)، الصوفية يسمون العابد: الشيخ؛ يعني شيخ الطريقة، الذي يأخذون عنه دينهم، والذي يأخذ عن شيخ الطريقة يسمونه: المريد، ويكون مع شيخه كالميت بين يد الغاسل، ليس له أن يعترض بشيء^(١).



(١) انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٨٠/٧)، وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (١٥١٥/٢).

وَتُسَمِّيهِ الْعَامَّةُ السَّيِّدَ، وَأَشْبَاهَ هَذَا؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ
لِخَوَاصِّ الْخَلْقِ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً يَرْضَى أَنْ يَلْتَجِيَ الْإِنْسَانُ إِلَيْهِمْ، وَيَرْجُوهُمْ،
وَيَسْتَغِيثُ بِهِمْ، وَيَجْعَلُهُمْ وَاسِطَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ.

— الشرح —

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَتُسَمِّيهِ الْعَامَّةُ السَّيِّدَ، وَأَشْبَاهَ هَذَا)، وهم يسمون
شيخهم: السيد، ويسمونهم: الشيخ، فلا بد أن تبايعه، و تسلم له أمرك،
فلا تعترض، ولا تخالف في شيء، وإلا فإنك لا تكون مريداً معه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ لَخَوَاصِّ الْخَلْقِ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً
يَرْضَى أَنْ يَلْتَجِيَ الْإِنْسَانُ إِلَيْهِمْ، وَيَرْجُوهُمْ، وَيَسْتَغِيثُ بِهِمْ، وَيَجْعَلُهُمْ وَاسِطَةً
بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ)، يقولون: «إن الله جعل من الخلق خواص، يجوز الالتجاء إليهم،
ودعائهم، والاستغاثة بهم؛ على أنهم شفعاء عنده، ويقربون إليه، هذا الذي
هم عليه، لا يقولون: «إنهم شركاء لله»، بل يقولون: «شفعاء عنده، ويقربون
إليه؛ لأن الله اختارهم لصلاحهم وتقواهم، فصاروا وسائط بين العباد وبين
الله»، تعالى الله عما يقولون! ولذلك يتقربون إليهم بالعبادات أحياء وأمواتاً،
ويقولون: «إن المتقرب إليهم مثل المتقرب إلى الله، من يتقرب للشيخ، يتقرب
لله؛ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ
هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، لعب الشيطان بهم إلى هذا الحد.



فَالَّذِينَ يَزْعُمُ أَهْلُ الشِّرْكِ فِي زَمَانِنَا أَنَّهُمْ وَسَائِطُهُمُ الَّذِينَ يُسَمِّيهِمُ
الْأَوَّلُونَ الْآلِهَةَ وَالْوَاسِطَةُ هُوَ الْإِلَهَ، فَقَوْلُ الرَّجُلِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» إِبْطَالٌ
لِلْوَسَائِطِ.

❖ الشرح ❖

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَالَّذِينَ يَزْعُمُ أَهْلُ الشِّرْكِ فِي زَمَانِنَا أَنَّهُمْ وَسَائِطُهُمُ الَّذِينَ
يُسَمِّيهِمُ الْأَوَّلُونَ الْآلِهَةَ وَالْوَاسِطَةُ هُوَ الْإِلَهَ)، المشركون الأولون يعبدونهم،
ويسمونهم آلهة، ولذلك لما قال لهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُولُوا: لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ»، قالوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ أَمْسُوا وَأَصْبَرُوا
عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾ [ص: ٥-٦]^(١)، سموها آلهة، ﴿وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا
نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣]، الأولون سموهم
آلهة، والمتأخرون الذين يدعون الإسلام سموهم وسائط وشفعاء فقط،
ولم يسموهم آلهة، والمعنى واحد، وإن اختلف اللفظ؛ لأن العبرة بالحقائق،
وليست العبرة بالألفاظ والمصطلحات.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَقَوْلُ الرَّجُلِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» إِبْطَالٌ لِلْوَسَائِطِ)، «لا إله
إلا الله» تبطل كل ما يُعبد من دون الله، سواء سمي واسطة، أو شفيعاً، أو
سمي آلهة، ف«لا إله إلا الله» تبطل كل ما يُعبد من دون الله بأي اسم سمي.

(١) سبق تحريجه (ص ٦٦).

وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ هَذَا مَعْرِفَةً تَامَّةً، فَذَلِكَ بِأَمْرَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَتَلَهُمْ، وَأَبَاحَ أَمْوَالَهُمْ، وَاسْتَحَلَّ نِسَاءَهُمْ كَانُوا مُقِرِّينَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ بِتَوْحِيدِ الرَّبُّوبِيَّةِ، وَهُوَ أَنَّهُ لَا يَخْلُقُ، وَلَا يَرْزُقُ، وَلَا يُحْيِي، وَلَا يُمِيتُ، وَلَا يُدَبِّرُ الْأُمُورَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١].

— الشرح —

عُبَاد القبور الآن يقولون: «ما دام أنه اعترف أن الله هو الخالق، الرازق، المحيي، المميت، المدبر، فإنه مسلم»، إذاً ما معنى «لا إله إلا الله»؟ ليس لها معنى عندهم؛ لأن المشركين يقولون هذا الذي يقوله هؤلاء.



وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ عَظِيمَةٌ جَلِيلَةٌ مُهِمَّةٌ، وَهِيَ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاهِدُونَ بِهَذَا كُلِّهِ وَمُقَرَّرُونَ بِهِ، وَمَعَ هَذَا لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يُحَرِّمْ دِمَاءَهُمْ وَلَا أَمْوَالَهُمْ، وَكَانُوا أَيْضًا يَتَصَدَّقُونَ، وَيُحْجُونَ، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيَتَعَبَّدُونَ، وَيَتَزَكُّونَ أَشْيَاءَ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

— ❦ الشَّرْحُ ❦ —

هي مسألة عظيمة، ومهمة جدًا، وقل من يعتني بها؛ لأن هؤلاء يقولون: «من أقر بتوحيد الربوبية، صار مسلمًا».

وكان المشركون في الجاهلية يقرون بتوحيد الربوبية، وعندهم عبادات كالصدقة والحج، فهم يحجون، ويعتَمرون، ويقولون: «لا يخلق، ولا يرزق، ولا يُحيي، ولا يميت إلا الله»؛ يعترفون بتوحيد الربوبية، ويتعبدون ببعض العبادات، ولكن لما كانوا لا يخلصون العبادة لله وحده، بل يعبدون الله، ويعبدون معه غيره، فصاروا مشركين.



وَلَكِنَّ الْأَمْرَ الثَّانِي هُوَ الَّذِي كَفَرَهُمْ وَأَحَلَّ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، وَهُوَ أَنَّهُمْ لَمْ يَشْهَدُوا لِلَّهِ بِتَوْحِيدِ الْأُلُوْهِيَّةِ.

وَتَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ هُوَ أَنْ لَا يُدْعَى وَلَا يُرْجَى إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَا يُسْتَعَاثُ بِغَيْرِهِ، وَلَا يُدْبَحُ لِغَيْرِهِ، وَلَا يُنْذَرُ لِغَيْرِهِ؛ لَا لِلْمَلِكِ مُقَرَّبٍ، وَلَا لِلنَّبِيِّ مُرْسَلٍ. فَمَنْ اسْتَعَاثَ بِغَيْرِهِ، فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِهِ، فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ نَذَرَ لِغَيْرِهِ، فَقَدْ كَفَرَ، وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ.

— ❖ الشَّرْحُ ❖ —

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَكِنَّ الْأَمْرَ الثَّانِي هُوَ الَّذِي كَفَرَهُمْ وَأَحَلَّ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، وَهُوَ أَنَّهُمْ لَمْ يَشْهَدُوا لِلَّهِ بِتَوْحِيدِ الْأُلُوْهِيَّةِ)؛ لأن هذا هو المطلوب، وهو توحيد الألوهية؛ أي: إفراد الله بالعبادة، وليس المطلوب إفراد الله بتوحيد الربوبية فقط، لا بد من الأمرين، لا بد من توحيد الربوبية، وهو مستلزم لتوحيد الألوهية، ولا بد من توحيد الألوهية، وهو متضمن لتوحيد الربوبية، لا ينفك بعضهما عن بعض.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَتَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ هُوَ أَنْ لَا يُدْعَى وَلَا يُرْجَى إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ)؛ أي: توحيد الألوهية يتضمن جميع العبادات؛ فلا يصرف لغير الله عَزَّجَلَّ منها شيء؛ لأنه هو المستحق لها، من صرف منها شيئاً لغير الله، فإنه مشرك، ولو كان يقول: «لا إله إلا الله»، بل لو كان يعبد الله بأنواع من العبادات، ما دام لم يخلص الله فيها كلها، فليس بمسلم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (لَا يُسْتَعَاثُ بِغَيْرِهِ، وَلَا يُذْبَحُ لِغَيْرِهِ، وَلَا يُنْذَرُ لِغَيْرِهِ؛ لَا لِمَلِكٍ مُقَرَّبٍ، وَلَا لِنَبِيِّ مُرْسَلٍ. فَمَنْ اسْتَعَاثَ بِغَيْرِهِ، فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِهِ، فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ نَذَرَ لِغَيْرِهِ، فَقَدْ كَفَرَ، وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ)؛ أي: من فعل ذلك، فإنه يكفر، ولو كان يقول: «لا إله إلا الله»؛ لأنه لم يحققها، فهو متناقض؛ كيف يقول: «لا إله إلا الله»، ويذبح لغيره؟! كيف يقول: «لا إله إلا الله»، ويستغيث بغير الله من الأموات والغائبين والجن والشیاطين؟! كيف يقول: «لا إله إلا الله»، وينذر لغير الله؟! هذا تناقض.



وَمَتَّامُ هَذَا أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
كَانُوا يَدْعُونَ الصَّالِحِينَ؛ مِثْلَ: الْمَلَائِكَةِ، وَعِيسَى، وَأُمِّهِ، وَعَزِيرٍ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ
الْأَوْلِيَاءِ، فَكَفَرُوا بِهَذَا مَعَ إِفْرَارِهِمْ بِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدَبِّرُ.

— الشَّرْحُ —

المشركون الأولون ليسوا كلهم يعبدون الأصنام؛ فهم متفرقون في
عباداتهم، فمنهم من يعبد الأصنام، ومنهم من يعبد الملائكة، ومنهم من
يعبد الأنبياء، ومنهم من يعبد الصالحين، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاتَلَهُمْ
كلهم، ولم يفرق بينهم، ولم يقل: «ما أقاتل، إلا الذي يعبد الأصنام»، ويترك
الذين يعبدون عُزَيْرًا، ويعبدون المسيح، ويعبدون الصالحين، ما فرق بينهم
الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهؤلاء القبور يوم يقولون: «الشرك عبادة الأصنام، وعبادة
الأولياء تقرب إلى الله، وتوصل إلى الله، ليست بشرك؛ لأن الشرك عبادة
الأصنام فقط»، يا سبحان الله! الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاتَلَ الْجَمِيعَ؛ الَّذِينَ
يعبدون الأصنام، وَالَّذِينَ يعبدون الملائكة، وَالَّذِينَ يعبدون المسيح، وَالَّذِينَ
يعبدون عُزَيْرًا، وَالَّذِينَ يعبدون الأولياء والصالحين، لم يفرق بينهم؛ لَأَنَّهُ
ليس بينهم فرق في الحقيقة.



إِذَا عَرَفْتَ هَذَا، عَرَفْتَ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَعَرَفْتَ أَنَّ مَنْ نَحَا نَبِيًّا أَوْ
مَلَكًا، أَوْ نَدَبَهُ، أَوْ اسْتَغَاثَ بِهِ، فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَهَذَا هُوَ الْكُفْرُ الَّذِي
قَاتَلَهُمْ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ مِنَ الْمَشْرِكِينَ: نَحْنُ نَعْرِفُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدَبِّرُ،
لَكِنْ هَؤُلَاءِ الصَّالِحُونَ مُقَرَّبُونَ، وَنَحْنُ نَدْعُوهُمْ، وَنَنْذِرُ لَهُمْ، وَنَدْخُلُ عَلَيْهِمْ،
وَنَسْتَعِثُ بِهِمْ، وَنُرِيدُ بِذَلِكَ الْوَجَاهَةَ وَالشَّفَاعَةَ، وَإِلَّا فَتَحْنُ نَفَهُمْ أَنَّ اللَّهَ هُوَ
الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدَبِّرُ. فَقُلْ: كَلَامُكَ هَذَا مَذْهَبُ أَبِي جَهْلٍ وَأَمْثَالِهِ.

❖ الشَّرْحُ ❖

الشيخ يُخاطب العلماء والعوام، ومعنى «نحاه» في العامة أي: استنجد به.
يقال لمن ينفي أن دعاء الصالحين شرك، ويقول: «المراد به: التوسل بهم
إلى الله»، يقال له: «كلامك هذا هو مذهب أبي جهل وأبي لهب وأمثالهم؛
لأنهم يقولون: لا يخلق، ولا يرزق، ولا يحيي، ولا يدبر إلا الله، ونحن نتخذ
هذه الآلهة؛ لتقربنا إلى الله زلفى؛ كما قال الله عنهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن
دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ
اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].



فَإِنَّهُمْ يَدْعُونَ عِيسَى وَغُزَيْرًا وَالْمَلَائِكَةَ وَالْأَوْلِيَاءَ؛ يُرِيدُونَ بِذَلِكَ كَمَا قَالَ
تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ
زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ
وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

— ❦ الشرح ❦ —

المشركون الأولون يريدون ممن يعبدونهم مع الله التوسط لهم فقط،
لا يقولون: «إنهم يخلقون، ويرزقون»، وإنما يقولون: «إن هؤلاء شفعاؤنا
عند الله»، يقولون: «إن هذا تعظيم لله».



فَإِذَا تَأَمَّلْتَ هَذَا تَأَمُّلاً جَيِّداً، وَعَرَفْتَ أَنَّ الْكُفَّارَ يَشْهَدُونَ لِلَّهِ بِتَوْحِيدِ
الرُّبُوبِيَّةِ - وَهُوَ تَفَرُّدُهُ بِالْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَالتَّدْبِيرِ -، وَهُمْ يَنْخُونُ عِيسَى وَالْمَلَائِكَةَ
وَالْأَوْلِيَاءَ؛ يَقْصِدُونَ أَنَّهُمْ يُقَرَّبُونَ إِلَيْهِ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، وَيَشْفَعُونَ لَهُمْ عِنْدَهُ، وَعَرَفْتَ
أَنَّ مِنَ الْكُفَّارِ - خُصُوصًا النَّصَارَى مِنْهُمْ - مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَيَزْهَدُ
فِي الدُّنْيَا، وَيَتَصَدَّقُ بِمَا دَخَلَ عَلَيْهِ مِنْهَا مُعْتَزِلاً فِي صَوْمَعَةٍ عَنِ النَّاسِ.

❖ الشَّرْحُ ❖

الرهبان من النصارى يتعبدون الليل والنهار، ويبكون، ولكن يقولون:
«المسيح ابن الله»، أو «إن الله هو المسيح ابن مريم» أو «ثالث ثلاثة»، وهم
يبكون ويتعبدون، ولا ينفعهم هذا؛ لأنهم ما أخلصوا العبادة لله عَزَّوَجَلَّ؛
فمثلهم عباد القبور اليوم.



وَهُوَ مَعَ هَذَا كَافِرٌ عَدُوٌّ لِلَّهِ مُحَلَّدٌ فِي النَّارِ بِسَبَبِ اعْتِقَادِهِ فِي عِيسَى أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الْأَوَّلِيَاءِ؛ يَدْعُوهُ، أَوْ يَذْبَحُ لَهُ، أَوْ يَنْذِرُ لَهُ، تَبَيَّنَ لَكَ كَيْفَ صِفَةُ الْإِسْلَامِ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْهُ بَمَعْزِلٍ، وَتَبَيَّنَ لَكَ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ»^(١).

— الشَّرْحُ —

الإسلام الصحيح غريب اليوم، أما الإسلام المدعى، فالمسلمون اليوم يزدون على المليار، ولكن الإسلام الصحيح غريب.

إذ لو كان هذا المليار إسلامهم صحيح، لم يقف أمامهم أحد من العالم، فاليهود الذين هم إخوان القردة والخنازير، الذين ضُربت عليهم الذلة والمسكنة، الآن هم مسيطرون على بلاد المسلمين، والمسلمون الذين كانوا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بدر كان عددهم ثلاثمائة وبضعة عشر، وماذا صنعوا؟ فالصحابه بالنسبة لأهل الأرض كم هم؟ ومع هذا هم فتحوا الأمصار، وأسقطوا كسرى وقيصر، وسادوا العالم كله؛ لأنهم مسلمون الإسلام الصحيح، وليس إسلامًا ادعائيًا.



(١) أخرجه مسلم (١٤٥): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ».

فَاللَّهُ اللَّهُ يَا إِخْوَانِي، تَمَسَّكُوا بِأَصْلِ دِينِكُمْ، وَأَوَّلُهُ وَآخِرُهُ، وَأُسُّهُ وَرَأْسُهُ
 شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاعْرِضُوا مَعْنَاهَا، وَأَحْبُوا أَهْلَهَا، وَاجْعَلُواهُمْ
 إِخْوَانَكُمْ، وَلَوْ كَانُوا بَعِيدِينَ، وَاكْفُرُوا بِالطَّوَاعِيتِ، وَعَادُواهُمْ، وَأَبْغَضُواهُمْ،
 وَأَبْغَضُوا مَنْ أَحَبَّهُمْ، أَوْ جَادَلَ عَنْهُمْ، أَوْ لَمْ يُكْفِرْهُمْ، أَوْ قَالَ: «مَا عَلَيَّ مِنْهُمْ»،
 أَوْ قَالَ: «مَا كَلَّفَنِي اللَّهُ بِهِمْ»، فَقَدْ كَذَبَ هَذَا عَلَى اللَّهِ وَافْتَرَى؛ فَقَدْ كَلَّفَهُ اللَّهُ تَعَالَى
 بِهِمْ، وَافْتَرَضَ عَلَيْهِ الْكُفْرَ بِهِمْ وَالْبَرَاءَةَ مِنْهُمْ، وَلَوْ كَانُوا إِخْوَانَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ.
 فَاللَّهُ اللَّهُ يَا إِخْوَانِي، تَمَسَّكُوا بِذَلِكَ؛ لَعَلَّكُمْ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُشْرِكُونَ
 بِهِ شَيْئًا، اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ!

وَلَنُخْتِمَ الْكَلَامَ بِآيَةٍ ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ تُبَيِّنُ لَكَ أَنَّ كُفْرَ الْمُشْرِكِينَ
 مِنْ أَهْلِ زَمَانِنَا أَعْظَمُ مِنْ كُفْرِ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

— ❖ الشَّرْحُ ❖ —

كفر أهل زماننا أعظم من كفر المشركين الأولين، أعظم من كفر أبي
 جهل وأبي لهب؛ لأن المشركين الأولين يشركون في الرخاء، ويخلصون في
 الشدة؛ لأنهم يعلمون أنه لا يخلص من الشدة إلا الله، أما مشركو زماننا، فهم
 في الشدة أكثر شركاً منهم في الرخاء، إذا وقعوا في الشدة، يُنادون معبوداتهم،
 كل ينادي معبوده؛ ليخلصه من الغرق في البحر، يخلصه من كذا، كلما زاد
 الخطر، زاد الشرك عندهم، فهم أشد من المشركين الأولين - والعياذ بالله!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ
فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧]، فَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ عَنِ
الْكُفَّارِ أَنَّهُمْ إِذَا مَسَّهُمُ الضُّرُّ، تَرَكُوا السَّادَةَ وَالْمَشَايخَ، فَلَمْ يَدْعُوا أَحَدًا مِنْهُمْ،
وَلَمْ يَسْتَغِيثُوا بِهِ، بَلْ يُخْلِصُونَ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَيَسْتَغِيثُونَ بِهِ وَحْدَهُ، فَإِذَا
جَاءَ الرَّخَاءُ، أَشْرَكُوا.

وَأَنْتَ تَرَى الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ زَمَانِنَا -وَلَعَلَّ بَعْضَهُمْ يَدَّعِي أَنَّهُ مِنْ
أَهْلِ الْعِلْمِ وَفِيهِ زُهْدٌ وَاجْتِهَادٌ وَعِبَادَةٌ- إِذَا مَسَّهُ الضُّرُّ، قَامَ يَسْتَغِيثُ بِغَيْرِ
اللَّهِ؛ مِثْلَ: مَعْرُوفٍ أَوْ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيِّ، وَأَجَلُ مِنْ هَؤُلَاءِ مِثْلُ: زَيْدِ بْنِ
الْخَطَّابِ، وَالزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَأَجَلُ مِنْ هَؤُلَاءِ مِثْلُ: رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ!

وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَظْمُ أَنَّهُمْ يَسْتَغِيثُونَ بِالطَّوَاعِيتِ وَالْكَفَرَةِ وَالْمَرَدَةِ مِثْلَ:
شَمْسَانَ، وَإِدْرِيسَ -وَيُقَالُ لَهُ: الْأَشْقَرُ-، وَيُوسُفَ، وَأَمْثَالِهِمْ.
وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا
مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، آمِينَ!

❖ الشَّرْحُ ❖

(معروف) هو: معروف الكرخي؛ من الأولياء المعروفين في العراق،
يعبدّه القُبُورِيُّونَ.

و(عبد القادر الجيلاني) إمام من أئمة الحنابلة القدماء، فهو إمام جليل،
ولكن لما مات، اعتقدوا أنه ينفع ويضر، فبنوا على قبره، والصوفية اتخذوه

إمامًا للمتصوفة أصحاب طريقة يسمونهم القادرية، وهو بريء منهم رَحِمَهُ اللهُ، فهو معروف بالصلاح والاستقامة والعلم والتقى، كان من أكابر أصحاب مذهب الإمام أحمد، وله فيه مؤلف معروف اسمه: الغنية.

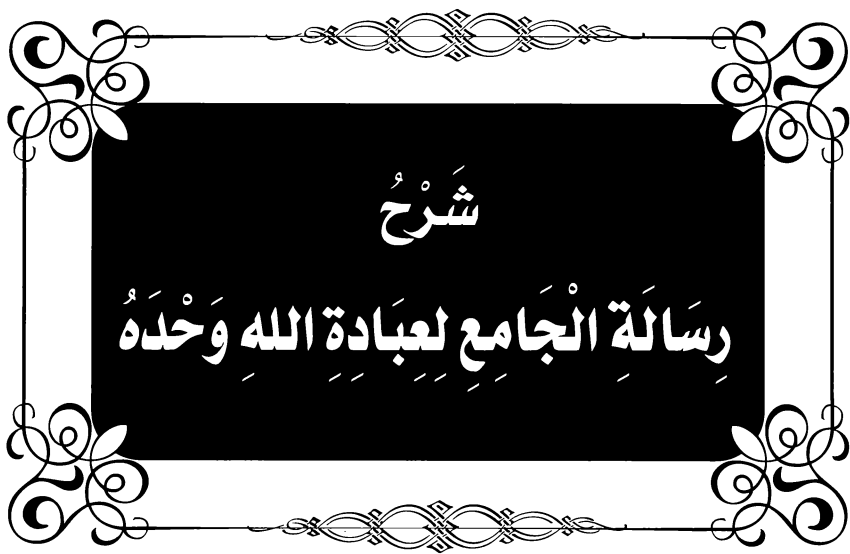
و(زيد بن الخطاب) صحابي جليل، وهو أخو عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وقُتِلَ في اليمامة، وقبر فيها، وكان عليه قبة، فلما جاء الشيخ محمد رَحِمَهُ اللهُ، هدم هذه القبة، ولم تقم إلى الآن -والحمد لله-، ولن تقوم -إن شاء الله.

و(الزبير بن العوام) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حوارى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهؤلاء الأولياء والصحابة يعبدهم القبوريون، ولكنهم لم يكتفوا بعبادتهم، بل عبدوا الطواغيت والكفرة والمردة من السحرة والكهنة، والإباحيين والحلوليين^(١)، الذين يقولون: من ترك الأوامر، فهو مقرب من الله، وليس بحاجة للأوامر والنواهي، وإنما هي للعوام فقط، أما هو، فوصل إلى الله، ولا يحتاج إلى شيء.

و(شمسان وإدريس ويوسف) هؤلاء طواغيت كانوا في الرياض، قبل ظهور دعوة الشيخ، فلما جاء الشيخ، وقام بالجهاد في سبيل الله، واستولى المسلمون على الرياض، أزالوا هذه الوثنيات منها ومن غيرها -والحمد لله.

(١) الحلولية: هم الذين يعتقدون أن الله تعالى بذاته حل في مخلوقاته كما يحل الماء في الإناء، وأنه تعالى بذاته في كل مكان، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. وأما الاتحاد: فهو القول بأن الله تعالى متحد بمخلوقاته وممتزج بها كما يمتزج الماء بالطين، وأن وجود الخالق هو عين وجود المخلوقات، أي أن الوجود واحد. والقول بالحلول والاتحاد مآلها واحد، وهذه عقيدة غلاة الصوفية والفلاسفة، كابن عربي وابن سبعين والحلاج والتلمساني وغيرهم. انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ١١١-٤٨٠).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:
فَإِنْ قِيلَ: فَمَا الْجَامِعُ لِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ؟
قُلْتُ: طَاعَتُهُ بِأَمْتِثَالِ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.

— الشَّرْحُ —

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد.

فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، خلق الجن والإنس لعبادته؛ كما قال تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، بل إنه سُبْحَانَهُ خلق الملائكة أيضا لعبادته؛ كما قال تَعَالَى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿ [الأنبياء: ٢٠-١٩].

والعبادة: مأخوذة من التعبد، وهو التذلل، يقال: «طريق معبد»، إذا ذللته الأقدام، هذا من ناحية اللغة^(١).

وأما في الشرع، فعرفها العلماء تعاريف كثيرة^(٢):

(١) قال الزجاج: (وَمَعْنَى الْعِبَادَةِ فِي اللُّغَةِ: الطَّاعَةُ مَعَ الْخُضُوعِ. وَيُقَالُ طَرِيقٌ مُعَبَّدٌ إِذَا كَانَ مِثْلًا بِكَثْرَةِ الْوُطْءِ، وَبَعِيرٌ مُعَبَّدٌ إِذَا كَانَ مَطْلِيًّا بِالْقَطِرَانِ). انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤٨/١)، وانظر مادة (عبد) في: العين (٤٨/٢)، وتهذيب اللغة (١٣٦/٢)، والصحاح (٥٠٢/٢)، ومقاييس اللغة (٢٠٥/٤)، ولسان العرب (٢٧٠/٣).

(٢) انظر: المسودة في أصول الفقه (ص ٣٨)، والتعريفات للجرجاني (١٨٩)، والتعاريف للمناوي (ص ٤٩٨).

التعريف الأول: أنها غاية الحب مع غاية الذل^(١)، كما قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي النونية^(٢):

وَعِبَادَةُ الرَّحْمَنِ غَايَةُ حُبِّهِ مَعَ ذُلِّ عَابِدِهِ هُمَا قُطْبَانِ
وَعَلَيْهِمَا فَلَكُ الْعِبَادَةِ دَائِرٌ مَا دَارَ حَتَّى قَامَتِ الْقُطْبَانِ
وَمَدَارُهُ بِالْأَمْرِ أَمْرُ رَسُولِهِ لَا بِالْهَوَى وَالنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ

فلا بد من الجمع بين الأمرين؛ غاية الحب مع غاية الذل، فمن أحب شيئاً، ولم يذل له، لم يكن ذلك عبادة له؛ كما يحب الإنسان زوجته، ويحب أولاده، لكنه لا يذل لهم، فحب الزوج لزوجته وحبه لأولاده، وحب الولد لأبويه وأقاربه لا يسمى عبادة؛ لأنه ليس معه ذل، وكذلك من ذل لشيء، ولم يحبه، فليس ذلك عبادة له؛ كمن ذل لجبار من الجبابرة، أو لظالم من الظلمة، لكنه لا يحبه، فهذا ليس بعبادة، إنما العبادة ما جمعت بين الأمرين غاية الحب مع غاية الذل، وهذا لا يكون إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا بد أن تدور عليها أفلاك العبادة بجميع أنواعها، ولهذا قال:

وَعَلَيْهِمَا فَلَكُ الْعِبَادَةِ دَائِرٌ مَا دَارَ حَتَّى قَامَتِ الْقُطْبَانِ

(١) قال ابن القيم: (وَالْعِبَادَةُ تَجْمَعُ أَصْلَيْنِ: غَايَةُ الْحُبِّ بِغَايَةِ الذُّلِّ وَالْخُضُوعِ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: طَرِيقُ مُعَبَّدٍ أَيْ مُذَلَّلٍ، وَالتَّعَبُّدُ: التَّدَلُّلُ وَالْخُضُوعُ، فَمَنْ أَحْبَبْتَهُ وَلَمْ تَكُنْ خَاضِعاً لَهُ، لَمْ تَكُنْ عَابِداً لَهُ، وَمَنْ خَضَعْتَ لَهُ بِلاَ مَحَبَّةٍ لَمْ تَكُنْ عَابِداً لَهُ حَتَّى تَكُونَ مُحِبّاً خَاضِعاً). انظر: التفسير القيم (١/٦٩)، ومدارج السالكين (١/٩٥-٩٦)، وتفسير القرطبي (١/٢٢٥)، (٥٦/١٧).

(٢) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (١/٢٥٣).

يعني على الأصلين الحب و الذل، فإنسان يقتصر على الحب والذل من غير أن يفعل ما أمر الله به، وأن يترك ما نهى الله عنه، لا يعتبر عابداً لله، فغاية الحب مع غاية الذل يقتضيان امتثال أوامر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، واجتناب نواهيه، وبهذا تتحقق العبادة.

وعرفها شيخ الإسلام ابن تيمية بتعريف شامل دقيق، فقال: (العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة)^(١)، كل ذلك عبادة، وله رسالة في هذا جيدة، اسمها العبودية، ذكر فيها هذا التعريف، وذكر أنواع العبادة التي أمر الله تعالى بها في كتابه، أو أمر بها رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته.

والشيخ هنا يقول: (فَإِنْ قِيلَ) يعني لو سئلت (فَمَا الْجَامِعُ لِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ؟) أي: ما التعريف الجامع لعبادة الله باختصار، فإنك تقول: (طَاعَتُهُ بِامْتِثَالِ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ).



(١) انظر: مدارج السالكين (١/ ١٠٩).

فَإِنْ قِيلَ: فَمَا أَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى؟

— الشَّرْحُ —

العبادة أنواع كثيرة؛ كما قال شيخ الإسلام: (العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه؛ من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة)، فتكون ظاهرة على الجوارح؛ كالصلاة، والصيام، والجهد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وصلة الأرحام، وغير ذلك، وهذه عبادات ظاهرة، والعبادات الباطنة تكون في القلوب؛ من الخوف، والخشية، والرغبة، والرغبة، والمحبة، والتوكل، والإنابة، هذه كلها عبادات قلبية، لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومنها ما هو على اللسان؛ مثل: ذكر الله، والتسبيح، والتهليل، والتحميد، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليم العلم النافع.



مِنْ أَنْوَاعِهَا الدُّعَاءُ،

— ❖ الشَّرْحُ ❖ —

أنواع العبادة كثيرة، أعظمها الدعاء، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، أمر الله بدعائه، وسمى ذلك عبادة، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾؛ أي: عن دعائي، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»^(١)، فالدعاء هو أعظم أنواع العبادة، فمن دعا غير الله من الموتي والمقبورين والجن والشیاطين، فقد أشرك بالله الشرك الأكبر؛ قال تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ١٤]؛ مخلصين في الدعاء، فسمى الدعاء ديناً؛ كما سماه في الآية الأخرى عبادة، إذًا فالدعاء دين، والدعاء عبادة لله عَزَّوَجَلَّ، وهذا مما يدل على عظم الدعاء، وأنه لا يجوز أن يدعو غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فإنه هو القادر على كل شيء، وهو الذي إذا دعوته، فإنه يقدر على إجابتك، ويقدر على إعطائك ما تريد، أما غير الله، فإنه عاجز؛ كما قال

(١) أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٣٣٧٢، ٣٢٤٧، ٢٩٦٩)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٥٠)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، والحاكم في المستدرک (١/ ٦٦٧)، وابن حبان في صحيحه (٣/ ١٧٢)، والإمام أحمد في المسند (٤/ ٢٦٧)، (٤/ ٢٧١)، (٤/ ٢٦٧) من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح). وقال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). وقال الحافظ في الفتح (١/ ٤٩): (أخرجه أصحاب السنن بسند جيد).

تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣]، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ ﴿الأحقاف: ٥﴾﴾ [إن تدعوهم لا يسمعو دُعَاءَكُمْ] ﴿فاطر: ١٤﴾؛ لأنهم أموات أو جمادات، لا تسمع الدعاء، ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]، ما يقدرُونَ على الإجابة؛ لأنهم فقراء، لا يملكون شيئاً؛ ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٢٢]، فكيف يُدْعُونَ مع الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى؟! بل كيف يترك دعاء الله، ويصرف الدعاء لغير الله من هؤلاء الأموات، والأشجار والأحجار والغائبين؟! أين عقول بني آدم تدعو أناساً لا يسمعون، ولو أنهم سمعوا لم يقدرُوا على الإجابة؛ لأنهم لا يملكون شيئاً؟!



وَالْأَسْتِعَانَةُ،

— الشَّرْحُ —

الاستعانة: طلب العون على أمر من الأمور^(١).

وطلب العون على قسمين:

القسم الأول: أن تطلب العون ممن يقدر على إعانتك، وهذا يجوز؛ أن تستعين بال مخلوق فيما يقدر عليه، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، فالتعاون بين الناس فيما يقدرون عليه وينفعهم أمر طيب، إذا كان الإنسان حيًّا حاضرًا يقدر على أن يعينك، فهذا لا بأس به؛ كأن تطلب من يساعدك بالمال، أو يعينك على حمل شيء، أو يعينك على بناء حائط، أو يعينك على حصاد زرع، وهذه أمور يقدر عليها الناس، لا بأس بالاستعانة بالمخلوقين فيها ولا يعد هذا شركًا؛ ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾، «وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»^(٢).

القسم الثاني: الاستعانة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ كاستعانة في حصول الرزق، أو الاستعانة بحصول الولد والذرية، أو الاستعانة في

(١) انظر مادة (عون) في: العين (٢/٢٥٣)، وتهذيب اللغة (٣/١٢٨)، والصحاح (٦/٢١٦٨)، ولسان العرب (١٣/٢٩٨).

وانظر: دَرْجُ الدُّرَرِ فِي تَفْسِيرِ الْآيِ وَالشُّوَرِ ط. الحكمة (١/٨٨، ١٦٠)، والمفردات في غريب القرآن (١/٥٩٨)، ومجموع الفتاوى (١/١٠٣)، والبحر المحيط في التفسير (١/٤١-٤٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

شفاء المرضى، أو غير ذلك، فهذا لا يطلب إلا من الله، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَقْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] ﴿إِيَّاكَ نَقْبُدُ﴾؛ أي: لا نعبد سواك؛ لأن تقديم المعمول يفيد الحصر، ثم قال: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، الاستعانة نوع من أنواع العبادة، وهي طلب العون من الله تعالى، وعطفها عليها من باب عطف الخاص على العام؛ اهتماماً به، فالاستعانة بالله عزَّ وجلَّ فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى؛ كشفاء المرضى، وإنزال المطر، وإيجاد الرزق، وغير ذلك من الأمور، التي لا يقدر عليها إلا الله، فهذه لا تطلب إلا من الله، لا تطلب من الأموات، ولا من القبور، ولا من الأضرحة، ولا من الأصنام، ولا من الأحجار والأشجار، فمن طلبها من غير الله، فإنه يكون مشركاً بالشرك الأكبر المخرج من الملة.



وَالْإِسْتِغَاثَةُ،

— الشَّرْحُ —

الاستغاثة: نوع من الاستعانة، لكنها أخص؛ فالاستعانة عامة، والاستغاثة خاصة؛ لأنها لا تكون إلا في أمور الشدة^(١)؛ ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩]، هذا في وقعة بدر، لما اشتد الأمر بالمسلمين، استغاثوا بربهم، لكنها أخص من الاستعانة؛ لأنها لا تكون إلا في حال الشدة، فيجب إخلاص الاستغاثة بالله عَزَّوَجَلَّ، ولا يجوز الاستغاثة بالأموات.

كثير ممن يدعون الإسلام إذا وقعوا في شدة، يستغيثون بأمواتهم وأوليائهم، ويصرخون بأسمائهم في البر والبحر، وهذا من غلظة شركهم، فصاروا أغلظ شركاً من الأولين؛ لأن المشركين الأولين يشركون في حالة الرخاء، لكنهم في حال الشدة يخلصون الدعاء والاستغاثة لله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنهم يعلمون أنه لا ينقذ من الشدائد إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أما مشركو هذا الزمان، فإنهم على العكس، إذا وقعوا في شدة، استغاثوا بغير الله، ونادوا بأسماء معبودات؛ كما هو معلوم عنهم.

(١) قال أبو السعادات في النهاية في غريب الأثر (٣/ ٣٩٢): (الغوث بالفتح كالغيث بالكسر من الإغاثة الإعانة وقد أغاثه يغيثه، وقد رُوي بالضم والكسر، وهما أكثر ما يجيء في الأصوات؛ كالنباح والنداء، والفتح فيها شاذ)، وقال النسفي في تفسيره (٢/ ٥٧): (واستغاثتهم أغثنا وهي طلب الغوث وهو التخلص من المكروه)، وقال ابن القيم في بدائع الفوائد (٣/ ٢٤٧): (ومعلوم أن الاستغاثة إنما تكون بعد الذعر، فالذعر شرط فيها). وانظر: تفسير القرطبي (٧/ ٣٧٠)، وتيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد (ص ١٨٠).

وَذَبْحُ الْقُرْبَانِ،

❖ الشرح ❖

الذبح على قسمين:

القسم الأول: الذبح لأكل اللحم، هذا مباح، وليس هو عبادة، وإنما هو ذبح للأكل، فهو مباح، إلا أنه لا بد أن يذكر عليه اسم الله عند الذبح؛ ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١].

القسم الثاني: الذبح على وجه التقرب لله جَلَّ وَعَلَا، فهذا نوع من أنواع العبادة؛ كذبح الأضاحي، وذبح الهدى، وذبح العقيقة للمولود، هذه ذبائح عبادة، لا يجوز التقرب بها إلا لله عَزَّجَلَّ، فمن ذبح لغير الله على وجه التقرب، فإنه يكون مشركاً الشريك الأكبر، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، النسك: الذبح^(١)، وقرنه مع الصلاة، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنحِرْ﴾ [الكوثر: ٢]، قرن النحر مع الصلاة، فكما أنه لا تجوز الصلاة لغير الله، فكذلك الذبح والنحر على وجه التقرب لا يكون إلا لله، فمن ذبح يتقرب إلى ميت، أو إلى قبر، أو إلى ضريح - كما عليه عباد القبور اليوم -، فإنه يكون مشركاً الشريك الأكبر.

وفي الحديث عن علي رضي الله عنه قال رسول صلى الله عليه وسلم: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ أَوَى مُحَدَّثًا، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ

(١) انظر: تفسير الطبري (١٠/٤٦ - ٤٨)، وزاد المسير (٢/٩٨)، والقرطبي (٧/١٥٢)، وابن كثير (٣/٣٨٢).

غَيْرَ مَنْارِ الْأَرْضِ»^(١)، فمن هذه الأمور الملعون من فعلها الذبح لغير الله؛ كأن يذبح للقبور؛ يتقرب إليهم؛ ليقضوا له حوائجه، أو يذبح للجن من أجل أن لا يضروه؛ كما يفعله بعض الناس، إذا نزل منزلاً جديداً، يذبح للجن من أجل أنهم لا يضرونه في هذا المنزل، يذبح عند الباب، ويرش من دمه على الجدران؛ يتقرب إلى الجن، أو إذا أقام مشروعاً من المشاريع كالمصانع، يذبح عند أول حركة الآليات لأجل أن المصانع تسلم، وكذلك إذا قدم ملك من الملوك أو رئيس من الرؤساء، يذبحون عند وصوله والسلام عليه؛ تعظيماً له؛ ذبح تحية، أما لو كانوا يذبحون له وليمة، فلا بأس، هذا من المباحات، لكن يذبحون تعظيماً له، إذا نزل من الطائرة، أو نزل من السيارة، يذبحون تحت السيارة، وتحت الطائرة؛ تعظيماً لهذا الوافد، هذا من الشرك؛ لأنه من باب التحية والتعظيم.



(١) أخرجه مسلم (٤٣) (١٩٧٨).

وَالنَّذْرُ،

— الشَّرْحُ —

النذر: هو التزام عبادة لم يلزم بها الشرع^(١)، وهو نوع من أنواع العبادة، قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]، فأثنى عليهم أنهم يوفون بالنذر، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِّنْ نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة: ٢٧٠]، قرنه مع النفقة والصدقة، والنفقة والصدقة عبادة، فيكون النذر عبادة، قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]، قرنه مع الطواف، والطواف عبادة لله عَزَّوَجَلَّ، فالوفاء بالنذر عبادة، هذا في نذر الطاعة؛ إذا نذر أن يتصدق، إذا نذر أن يصلي، إذا نذر أن يصوم، إذا نذر أن يحج، إذا نذر أن يعتمر، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ، فَلْيُطِعهُ»، أما نذر المعصية، فإنه يحرم الوفاء به، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ، فَلَا يَعْصِهِ»^(٢)، ومن نذر المعصية النذر للقبور، فمن نذر لقبر، أو نذر لميت، فإنه يكون مشركاً شرکاً أكبر؛ لأنه صرف نوعاً من أنواع العبادة لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



(١) انظر: مادة: (نذر) في لسان العرب (٥/ ٢٠٠)، ومقاييس اللغة (٥/ ٤١٤)، والمعجم الوسيط (٢/ ٩١٢)، وانظر: تفسير القرطبي (١٩/ ١٢٧)، وروضة الطالبين (٣/ ٢٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٩٦) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ،

— ❖ الشَّرْحُ ❖ —

الخوف من أعمال القلوب، فهو عبادة قلبية، والمراد خوف العبادة، وهو الخوف الذي يكون معه تعظيم و محبة للمخوف؛ يحبه ويخافه، هذا خوف العبادة، ويسمى خوف السر، وهو لا يجوز إلا لله عَزَّوَجَلَّ، فالذي يخاف من مخلوق خوف العبادة، فإنه أشرك، وإذا عمل له نوعاً من أنواع العبادة لأنه يخافه؛ مثل: الذي يخاف من الجن، فيذبح لهم، أو الذي يخاف من الميت، فيذبح له، هذا خوف عبادة، فإنه يكون مشركاً بالشرك الأكبر، أما الخوف الطبيعي - كأن تخاف من العدو، وتخاف من السباع، وتخاف من الثعابين -، فهذا خوف طبيعي، ليس هو بعبادة.

من أنواع العبادة الرجاء، وهو تأميل الخير فيما لا يقدر عليه إلا الله، فلا يجوز أن ترجو غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، أما الرجاء في الأمور العادية - كأن ترجو من شخص أن يعطيك مالاً، أو يساعدك فيما يقدر عليه -، فهذا ليس من العبادة، تقول: «يا أخي، أرجوك أن تعطيني كذا وكذا»، مما يقدر عليه، لكن لا ترجُ مخلوقاً فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ كالذين يرجون الأموات والغائبين والجن، هذا رجاء العبادة، فلا يجوز، وهو شرك أكبر.



والتَّوَكُّلُ،

— الشَّرْح —

من أنواع العبادة التوكل، وهو تفويض الأمور إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والاعتماد عليه، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، وقال: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، قرنه مع العبادة.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾: هذا حصر؛ لأن تقديم الجار والمجرور على الفعل يفيد الحصر.

﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾؛ أي: لا على غيره، ﴿فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ﴾، هذا يفيد الحصر؛ أي: لا على غيره؛ فالتوكل عبادة، لا يجوز إلا لله، أما التوكيل فيما يقدر عليه المخلوق - كأن توكل أحداً يشتري لك حاجة، وتوكل أحداً يعمل لك عملاً -، فهذا جائز؛ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكل من يشتري له^(١)، وكان يوكل العمال ينوبون عنه في بعض الأمور^(٢).

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٦٤٢): عَنْ عُرْوَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَعْطَاهُ دِينَارًا يَشْتَرِي لَهُ بِهِ شَاةً، فَاشْتَرَى لَهُ بِهِ شَاتَيْنِ، فَبَاعَ إِحْدَاهُمَا بِدِينَارٍ، وَجَاءَهُ بِدِينَارٍ وَشَاةٍ، فَدَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ فِي بَيْعِهِ، وَكَانَ لَوْ اشْتَرَى التُّرَابَ لَرَبِحَ فِيهِ».

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (١٢١٨)، في صفة حجة الوداع، وفيه أنه وكل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ذبح بقية الهدى، بعدما ذبح صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثاً وستين بيده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ =

قال تعالى عن أصحاب الكهف أنهم قالوا: ﴿فَاَبْعَثُوا أَحَدَكُمْ
بِرِزْقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ
وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١٩]، هذا توكيل، فالتوكيل
جائز، أما التوكل، فإنه يكون خاصًا بالله عَزَّوَجَلَّ.



= كما في الحديث: «ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمَنْحَرِ، فَنَحَرَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بِيَدِهِ، ثُمَّ أُعْطِيَ عَلِيًّا، فَنَحَرَ
مَا غَبَرَ».

وَالْإِنَابَةُ، وَالْمَحَبَّةُ،

— الشرح —

- والإِنَابَةُ: الرجوع^(١)، الإِنَابَةُ والتوبة بمعنى واحد، قال تعالى:
﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤].

- المحبة لها مقام عظيم في العبادة، وهي محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأن المحبة على قسمين:

محبة عبادة: وهي التي يكون معها ذل وخضوع للمحسوب، وهذه لا تكون إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأنها محبة عبادة.

أما النوع الثاني، وهو المحبة الطبيعية: كأن تحب المال، وتحب زوجتك، وتحب أولادك، وتحب والديك، وتحب من أحسن إليك، هذه محبة طبيعية، لا تعد من العبادة؛ لأنها ليس معها ذل، وليس معها خضوع، وإنما هي مودة مجردة فقط، إلا إذا قدّم محبة هذه الأشياء على محبة الله تعالى، فإنه يكون عليه وعيد شديد؛ كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ

(١) قال أبو السعادات في النهاية في غريب الحديث (٥/ ١٢٢): (الإِنَابَةُ الرجوع إلى الله بالتوبة، يقال: أناب ينيب إنبابة فهو منيب إذا أقبل ورجع)، وقال الجرجاني في التعريفات (ص ٥٥): (الإِنَابَةُ إخراج القلب من ظلمات الشبهات، وقيل: الإِنَابَةُ الرجوع من الكل إلى من له الكل، وقيل: الإِنَابَةُ الرجوع من الغفلة إلى الذكر ومن الوحشة إلى الأنس). وانظر: لسان العرب (١/ ٧٧٥).

تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكِكُمْ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ ﴿[التوبة: ٢٤]﴾، فالله لا يُقَدِّمُ على محبته محبة شيء؛ من
الأموال، والأولاد، والبلاد، وغير ذلك.

فإن تعارضت محبة الله مع محبة غيره من الأموال والأولاد، فإنه يقدم
محبة الله.



وَالْخَشْيَةُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ وَالتَّأَلُّهُ.

— ❖ الشرح ❖ —

الخشية: هي نوع من الخوف، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [البقرة: ١٥٠]، فلا تقدم خشية المخلوق على خشية الله، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

فالرغبة تكون إلى الله جَلَّ وَعَلَا، وهي الطمع فيما عنده، قال تعالى: ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩]، وهي الرغبة فيما عند الله، والتعلق بالله عَزَّجَلَّ، فإذا رغب فيما عند الله، حمله ذلك على طاعة الله، وتقديم رضا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والرهبة كذلك هي نوع من الخوف، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ﴾ [البقرة: ٤٠]، يجب أن ترهب الله، وتخاف من الله، وتخشى الله، ولا ترهب المخلوقين رهبة تجعلهم في منزلة الله، أو يساؤون الله عَزَّجَلَّ، لا ترهب منهم؛ فتترك طاعة الله من أجلهم.

— التأله: التعبد، ويطلق التأله، ويراد به المحبة؛ من الوله، وهو المحبة^(١)، هذا حق لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالألوهية حق لله جَلَّ وَعَلَا، لا يجوز أن يتخذ معه إلهًا آخر؛ يؤله، ويجب، ويعبد مع الله عَزَّجَلَّ، فالألوهية حق لله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٨٤]؛ يعني: يأله، ويعبده، ويحبه أهل السماء وأهل الأرض.

(١) انظر: العين (٤/ ٣٢)، واشتقاق أسماء الله (١/ ٢٤)، وتهذيب اللغة (٦/ ١٢٧)، وتفسير الطبري (١/ ١٢١)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٢٣).

وَالرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ

— ❖ — الشَّرْحُ ❖ —

الركوع عبادة، لا يكون إلا لله، لا يركع الإنسان لأحد، ولا يخضع لأحد، ولا ينحني لأحد تعظيماً له، فالانحناء على وجه الذل والتعظيم لمن انحني له ركوع لغير الله عزَّوجلَّ.

— ولا يسجد إلا لله؛ لا يسجد للصنم، ولا للقبر، ولا للضريح، ولا لعظيم من العظماء، لا يجوز السجود إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كان الفرس والروم يعظمون ملوكهم؛ فيسجدون لهم، ولما رآهم معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقدم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أراد أن يسجد له، فمنعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذلك، وقال: «لَوْ كُنْتُ أَمِيراً أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ، لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا؛ لِمَا عَظَّمَ اللَّهُ مِنْ حَقِّهِ عَلَيْهَا»^(١)، فالسجود لا يكون إلا لله عزَّوجلَّ.



(١) أخرجه الترمذي (١١٥٩)، والحاكم (١٨٩/٤)، وابن حبان (٤٧٠/٩)، والبيهقي في الكبرى (١٣٤/٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَالْخُشُوعُ، وَالتَّذَلُّ، وَالتَّعْظِيمُ الَّذِي هُوَ مِنْ خَصَائِصِ الْإِلَهِيَّةِ.

— ❁ الشرح ❁ —

الخشوع من أعمال القلوب، والخشوع هو: الرقة التي تكون في القلب، وهذا لا يكون إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلا تخشع لمخلوق، وإنما تخشع للخالق؛ تعظيماً له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ترق له، وتفتقر إليه، وتبكي من خوفه وخشيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧].

- التذل: هو الخضوع، وهو - كما سبق - ركن من أركان العبادة، فالعبادة تدور على الحب والذل، والخوف والرجاء، فلا يكون الذل إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا تذلل لمخلوق مثلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالْتَّعْظِيمُ الَّذِي هُوَ مِنْ خَصَائِصِ الْإِلَهِيَّةِ)، وهو التعظيم الذي يكون معه خضوع للمعظم، وصرف شيء من أنواع العبادة لهذا المعظم، وصرف هذا النوع من التعظيم لغير الله شرك بالله عَزَّوَجَلَّ.



وَدَلِيلُ الدُّعَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٤].

— الشرح —

لما ذكرناهم أنواع العبادات، أراد أن يستدل لكل نوع من هذه الأنواع؛ لأن الكلام بدون دليل لا يقبل، لا سيما الكلام في هذا الأمر العظيم المهم، وهو الكلام في العبادات؛ لأن العبادات توقيفية، لا يفعل منها شيء، إلا بدليل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَدَلِيلُ الدُّعَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾)، هكذا يجب أن تكون المساجد لله عَزَّوَجَلَّ، لا تبني للرياء والسمعة، أو تبني على الأضرحة والقبور، وإنما تبني لعبادة الله وحده لا شريك له، فهي بيوت الله: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، هذا محل الشاهد؛ حيث نهى أن يدعى معه غيره.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾)؛ أي: هو الذي يدعى حقاً، وأما غيره من الأصنام والأحجار والقبور والأضرحة، فدعاؤها باطل؛ لأنها لا تسمع، ولا تقدر على إجابة من دعاها، ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ [الرعد: ١٤]، لو جئت إلى ماء في قعر

بئر، وليس معك دلو ولا حبل، وجعلت تشير إلى الماء؛ ليرتفع إلى فمك، فإنه لا يصل إليك، وهذا مثل من يدعو غير الله عزَّجَلَّ، فإن حصول نفعه له من المستحيل كاستحالة وصول الماء إلى من يبسط يده إلى الماء؛ ليرتفع إلى فمه، دون أن يكون معه سبب يرفعه.



وَدَلِيلُ الْأَسْتِعَانَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]،
وَدَلِيلُ الْأَسْتِعَانَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ﴾
[الأنفال: ٩].

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

— ❖ الشرح ❖ —

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَدَلِيلُ الْأَسْتِعَانَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ﴾)، الدليل على أن الاستعانة نوع من أنواع العبادة هذه الآية: ﴿إِيَّاكَ
نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، فقدم المعمول في ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على
العامل، وهو ﴿نَسْتَعِينُ﴾، وهذا يفيد الحصر؛ أي: لا نستعين بغيرك في
الأمر التي لا يقدر عليها إلا أنت؛ لا نستعين بصنم، ولا بوثن، ولا بقبر،
ولا بحجر، ولا بشجر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَدَلِيلُ الْأَسْتِعَانَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ
فَاسْتَجَبَ لَكُمْ﴾)، يذكر الله المؤمنين بما حصل لهم في بدر، حين اشتد بهم
الأمر، فاستغاثوا به، فأغاثنهم، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ
لَكُمْ أَنِّي مُبْدِكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، فأغاثنهم الله
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالملائكة؛ تثبتهم، وتعينهم على القتال، وتوقع الرعب في قلوب
الأعداء؛ ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي
فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [الأنفال: ١٢]، فالملائكة نزلت في ساحة

القتال في بدر مع المؤمنين؛ تثبتهم، وتقوي قلوبهم، وتطمئنهم، وتوقع الرعب في قلوب أعدائهم، وتعين المؤمنين على القتال، فالذين يَقْتُلُونَ الكفار هم المؤمنون، لكن الملائكة تدمهم، وتعينهم، وتقويهم، وتثبتهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَدَلِيلُ الذَّبْحِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ١١٣ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾)، قرن النسك - وهو الذبح - مع الصلاة، والصلاة عبادة، فالنسك عبادة: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، ما أحيأ عليه وما أموت عليه كله لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثم قال: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾، نفى الشرك في الذبح، وفي الصلاة، ونفى الشرك في الحياة والموت، ثم قال: ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾؛ أي: يقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾؛ أي: أمرني الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾؛ أي: أول المنقادين الممثلين لهذا الأمر.



وَدَلِيلُ النَّذْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾

[الإنسان: ٧].

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا

تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

— الشَّرْحُ —

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَدَلِيلُ النَّذْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ

شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾)، فدل على أن النذر عبادة، يجب إخلاصها لله، فمن نذر لغير الله -كالمتى والقبور والأضرحة-، فهو مشرك، وهذا يقع كثيرًا من الذين يندرون للقبور، يندرون للأموات، يتقربون إليهم بذلك، وهذا نذر معصية ونذر شرك، لا يجوز الوفاء به، أما من نذر لله، فإنه يجب عليه الوفاء؛ لأنه عبادة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَدَلِيلُ الْخَوْفِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ

أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾)، لما توعد المشركون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه بعد وقعة أحد، وقالوا: «إنا سنرجع إليكم ونستأصلكم»، فالمؤمنون ما زادوا على أن قالوا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]؛ يعني: نحن نعتمد على الله، ولا يهمننا تهديدكم أو وعيدكم؛ فنحن نعتمد على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ثم قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيََاءَهُ﴾ [آل عمران: ١٧٥]،
هذا التخويف إنما هو من الشيطان.

﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيََاءَهُ﴾؛ يعني: يخوفكم بأوليائه، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، هذا هو محل الشاهد، دل على أن الخوف نوع
من أنواع العبادة، يجب أن يفرد الله بها.



وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وَدَلِيلُ الْإِنَابَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤].

الشرح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾)، قال المفسرون: «معناها -والله أعلم-: من كان يرجو أن يرى ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْجَنَّةِ، ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾»^(١)، فجعل الرجاء من العبادة، وأمر ألا يشرك به معه غيره.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾)، التوكل من أعظم أنواع العبادة، قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، فمن توكل على الله، كفاه، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]؛ يعني: كافيه.

(١) انظر: تفسير السمعاني (٢/ ١٣٢).

ومن يتوكل على مخلوق، فإن الله يكله إلى ذلك المخلوق الضعيف.
وفي هذه الآية التي ساقها المصنف جعل الله التوكل شرطاً في صحة
الإيمان، فمن لم يتوكل على الله، فليس بمؤمن.
قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَدَلِيلُ الْإِنَابَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا
لَهُ﴾)، الإنابة: الرجوع، ﴿وَأَنِيبُوا﴾؛ يعني: ارجعوا إليه بالطاعة وترك
المعصية، فالإنابة نوع من أنواع العبادة.



وَدَلِيلُ الْمَحَبَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: ﴿فَلَا تَخْشَوْا الْنَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ﴾ [المائدة: ٤٤].

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

— ❖ الشَّرْحُ ❖ —

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَدَلِيلُ الْمَحَبَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾)؛ لأنهم أحبوا الله وحده، ولم يحبوا معه غيره، أما المشركون، فإنهم أحبوا مع الله غيره، ولذلك صاروا مشركين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: ﴿فَلَا تَخْشَوْا الْنَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ﴾)، فدل على أن الخشية نوع من أنواع العبادة، وأن من خشي غير الله، فترك ما أوجبه الله عليه، فقد أشرك به.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ﴾)، لما ذكر الله في سورة الأنبياء مواقف الأنبياء في العبادة ومواقفهم عند الابتلاء والامتحان، قال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا﴾؛ أي: طمعا فيما عند الله، ﴿وَرَهَبًا﴾؛

أي: خوفاً من عقابه، فدل على أن الرغبة والرغبة نوعان من أنواع العبادة، يجب إخلاصهما لله، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي فَأَرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]، قدم الجار والمجرور؛ ليفيد الحصر؛ أي: لانرغب إلى غيره سبحانه وتعالى.

وفي الآية رد على الصوفية، الذين يقولون: «لا نعبده خوفاً من ناره، ولا طمعاً في جنته، وإنما نعبده؛ لأننا نحبه»^(١)، وهذا مخالف لما عليه الأنبياء.



(١) هذا القول نُسب إلى أحمد بن الموفق أبو الحسن الصوفي، المتوفى سنة خمس وستين ومائتين، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١/٣٧٢)، انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (١٢/١١٠ - ١١٣)، وصفة الصفوة (٢/٣٨٦)، وطبقات الحنابلة (١/٢٣٠، ٢٣١)، والمقصد الأرشد (٢/٢٦٨).

وَدَلِيلُ النَّالَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وَدَلِيلُ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

— الشرح —

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَدَلِيلُ النَّالَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾)، ﴿وَاللَّهُمَّ﴾؛ يعني: معبودكم المستحق للعبادة. ﴿إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يستحق العبادة غيره؛ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]، وكل من عبد غير الله، فقد اتخذها إلهًا، لكنه إله باطل، والإله الحق هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالألوهية حق لله عَزَّجَلَّ، لا يجوز أن نتأله لغيره.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَدَلِيلُ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾)؛ حيث أمر الله بالركوع والسجود، والركوع: هو الخضوع بالرأس والانحناء^(١)، والسجود: وضع الجبهة على الأرض على وجه

(١) انظر مادة (ركع) في: العين (١/ ٢٠٠)، وتهذيب اللغة (١/ ٢٠٣)، ومقاييس اللغة (٢/ ٤٣٤)، ولسان العرب (٨/ ١٣٣).

التعظيم^(١)، هذا لا يكون إلا لله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يجوز لأحد أن يركع لأحد، ولا أن يسجد لأحد، فإن ركع لغير الله، أو سجد لغير الله، فهو مشرك.



(١) انظر مادة (سجد) في: تهذيب اللغة (٣٠٠/١٠)، والصحاح (٤٨٣/٢)، ومقاييس اللغة (١٣٣/٣)، ولسان العرب (٢٠٤/٣).

وَدَلِيلُ الْخُشُوعِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ١٩٩]، وَنَحْوَهَا.

فَمَنْ صَرَفَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَدْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ غَيْرُهُ.

— الشَّرْحُ —

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَدَلِيلُ الْخُشُوعِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾)، الْخُشُوعُ: هو الانخفاض وعدم الترفع^(١)، وهو نوع من أنواع العبادة، وهذه الآية فيها الثناء على مؤمني أهل الكتاب المتصفين بهذه الصفة، فهم لا يخشعون لغيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَمَنْ صَرَفَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَدْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ غَيْرُهُ)؛ لأن هذه كلها من أنواع العبادة، فمن صرف منها نوعاً، فإنه يكون مشركاً بالله في عبادته الشرك الأكبر، الذي لا يغفر إلا بالتوبة.

وكثير من الناس يدعون الإسلام، ويصرفون أنواعاً كثيرة من هذه الأنواع لغير الله عَزَّوَجَلَّ -نسأل الله العافية!-، ويعتبرون هذا ليس من العبادة، وإنما هؤلاء شفعاء ووسائط تقربهم إلى الله؛ يزين لهم شياطين الجن والإنس هذا العمل، ويسمون الشرك بغير اسمه، يسمونه طلباً للشفاعة، يسمونه

(١) انظر مادة (خشع) في: العين (١/١١٢)، وتهذيب اللغة (١/١٠٧)، ومقاييس اللغة (١٨٢/٢)، ولسان العرب (٨/٧١).

توسلاً إلى الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، إلى غير ذلك من الأسماء، التي أضلوا بها كثيراً من الرعاع، لا سيما وأنهم يرغبونهم بأنه من فعل هذا، حصل له كذا، وأن من لم يفعله، يحصل عليه كذا، ويرهبونهم، فالناس الذين ليس فيهم إيمان قوي يتأثرون بهذا الوعيد، أو بهذه الوعود والترهيبات، فيأرسون هذه الأنواع؛ إما خوفاً، وإما رجاء؛ تأثراً بما يسمعون وما يقرؤون من الدعاية لعبادة غير الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يسمونها شرّاً، بل يقولون: «إنها من صميم التوحيد»، والذي ينكرها يصفونه بأنه خارجي، وهو الذي لا يعرف قدر الصالحين، ولا يتأملون القرآن والسنة؛ لأن الله أعمى بصائرهم، فلم يلتفتوا إلى دلائل القرآن والسنة، وإنما يلتفتون إلى أقوال شيوخهم ومعظميهم، ويقولون: «هم أعلم منا بالقرآن، وأعلم منا بالسنة»، هذا من ناحية.

والناحية الثانية: أنهم يقولون: «إن من قال: لا إله إلا الله، فإنه مسلم مؤمن، ولو عمل ما عمل من الأمور؛ لو يدعو الأموات، ويستغيث بهم، ويذبح لهم، ما دام يقول: لا إله إلا الله، فهو مسلم».

وهو إنما يقول: «لا إله إلا الله» لفظاً، ويناقضها معنى، وهذا لا يفيد شياً، هو قائلها بلسانه، لكن خالفها باعتقاده، وخالفها بأفعاله؛ فلا تفيد «لا إله إلا الله» شيئاً؛ لأنه أبطلها، وناقضها.



فَإِنْ قِيلَ: فَمَا أَجَلُ أَمْرِ اللَّهِ بِهِ؟
قِيلَ: تَوْحِيدُهُ بِالْعِبَادَةِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُهُ.

— الشرح —

أعظم ما أمر الله به التوحيد، وأعظم ما نهى الله عنه الشرك.
فالتوحيد هو أعظم المأمورات، والشرك أعظم المنهيات؛ أعظم من
شرب الخمر، وأعظم من قتل النفس بغير حق.
والتوحيد هو أعظم ما أمر الله به؛ أعظم من الصلاة، وأعظم من الزكاة،
وأعظم من جميع أنواع العبادة، ولذلك أول ما بدأ به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بالدعوة إلى التوحيد؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإذا نطق
بالشهادتين، فإنك تأمره بالصلاة، وتأمره بالزكاة، وتأمره بالحج، أما ما دام
أنه لم ينطق بالشهادتين، فلا تقل له: «صَلِّ»؛ لأنه لو صلى، فلا فائدة في ذلك،
ولا تقبل صلاته، ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعاذ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا
لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَى هِمِ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ
هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَى هِمِ صَدَقَةٌ»^(١)؛ يعني: الزكاة،
فلم يأمره بالصلاة، ولا بالزكاة قبل أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا
رسول الله.

فأعظم ما أمر الله به التوحيد؛ لأنه الأصل والأساس والقاعدة لهذا الدين.

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥، ١٤٩٦، ٢٤٤٨، ٤٣٤٧، ٧٣٧١، ٧٣٧٢)، ومسلم (١٩).

وَأَعْظَمُ نَهْيٍ نَهَى اللَّهُ عَنْهُ الشَّرْكَ بِهِ، وَهُوَ أَنْ يَدْعُوَ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ، أَوْ يَقْصِدَهُ بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ.

فَمَنْ صَرَفَ شَيْئًا مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَدْ اتَّخَذَهُ رَبًّا وَإِلَهًا، وَأَشْرَكَ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنَ الْآيَاتِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا هُوَ الشَّرْكَ الَّذِي نَهَى اللَّهُ عَنْهُ، وَأَنْكَرَهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].
وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

— ❖ الشَّرْحُ ❖ —

هذا واضح، وهذا يدل على أن الشرك هو أعظم الذنوب، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فإذا كان الشرك لا يقبل المغفرة، وغيره يقبل المغفرة، فهذا دليل على أن الشرك هو أعظم الذنوب، الزنا والسرقه وشرب الخمر وأكل الربا هذه قابلة للمغفرة، فهي تحت المشيئة؛ إن شاء الله غفر لأصحابها، وإن شاء عذبهم، ولكن لا يخلدون في النار، وإنما يعذبون بقدر ذنوبهم، ثم يخرجون من النار؛ لأنهم من أهل التوحيد وأهل الإيمان، أما الشرك، فإنه لا يغفر، وصاحبه لا يخرج من النار أبدًا؛ ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢].

مَعْنَى الطَّاعُوتِ
وَرُؤُوسِ أَنْوَاعِهِ

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:
اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللَّهُ تَعَالَى- أَنَّ أَوَّلَ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْكُفْرَ
بِالطَّاغُوتِ وَالْإِيمَانَ بِهِ.

❖ الشَّرْحُ ❖

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على
نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

يشير الشيخ رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ
مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ
الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾
ليس معناه أن الكفار يتركون، ولا يُقاتلون، ولا يدعون إلى الإسلام؛ كما
يقوله الآن المغرضون والكفار والجهال من المسلمين، بحجة حرية الأديان،
وحرية العقيدة، هذا كذب على الله جلَّ وعَلَا، ليس هذا هو مراد الله جلَّ وعَلَا،
الله جلَّ وعَلَا خلق الخلق لعبادته، لا لعبادة غيره؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ
الْإِنْسَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ٥٦ ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾
[الذاريات: ٥٦-٥٧]، فلو كان الناس يتركون كفارًا يعبدون ما شاؤوا، فما كان
لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ما كان له فائدة، ولما
كان للجهاد في سبيل الله فائدة، ولما كان للدعوة إلى الله فائدة. كيف تدعونهم
وهم أحرار فيما يعتقدون وفيما يعبدون؟! اتركوهم على مقتضى هذا الكلام
الباطل، فليعبدوا ما يختارون، فلو كان كما يقولون: «إن الناس أحرار في

عبادتهم، وفي اعتقاداتهم، ولا يُعترض على أحد»، لبطلت كل هذه الأمور، ولما صار هناك فائدة للدعوة إلى الله، والجهاد في سبيل الله، بل لما كان هناك فائدة لخلق الجنة والنار، فما دام الكفار أحرارًا، فلماذا يدخلون النار ويعذبون فيها أبد الآباد، وهم آخذون بالحرية - كما يقول هؤلاء -، فهذا كلام باطل.

إِذَا مَا مَعْنَى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾؟ لأنهم يرددون هذه الآية، يقولون: «الناس أحرار في عقائدهم؛ لأن الله يقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾»، نقول لهم: كذبتكم على الله، ليس هذا هو مراد الله جَلَّوَعَلَا، بقوله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، بل فيها أقوال للمفسرين:

القول الأول: منهم من يقول: إن ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ هذه كانت في أول الأمر، ثم نُسخَت بآيات الجهاد^(١).

القول الثاني: أن قوله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ خاص بأهل الكتاب من اليهود والنصارى، فهؤلاء إذا دفعوا الجزية، وخضعوا لحكم الإسلام، فإنهم لا يُكرهون على الدخول في الإسلام، بل يُتركون بشرط أن يدفعوا الجزية، وهم صاغرون، وبشرط أن يخضعوا لحكم الإسلام^(٢)؛ لأنهم على علم، وعندهم علم بالدين والرسول، ما هم مثل الوثنيين؛ أعطوا الفرصة ليراجعوا ما عندهم، ويتأملوا في القرآن، ويتأملوا فيما عندهم، فيجدوا أن القرآن يتوافق تمامًا مع التوراة والإنجيل السالمين من التحريف الباقيين على

(١) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٥٥١، ٥٥٣)، وزاد المسير (١/ ٢٣١)، وتفسير القرطبي (٣/ ٢٨٠)، وابن كثير (١/ ٦٨٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٥٥١ - ٥٥٣)، وزاد المسير (١/ ٢٣١)، وتفسير القرطبي (٣/ ٢٨٠)، وابن كثير (١/ ٦٨٣).

أصلهما؛ كما أنزل الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، فلاخلاف بين الكتب السماوية -لأنها كلها من عند الله جَلَّ وَعَلَا- في أمور العقائد، أما أمور المعاملات والحلال والحرام، فهي تختلف بحسب الشرائع، وبحسب حكمة الله جَلَّ وَعَلَا، في كل وقت بحسبه، ولكن العقائد ليس بين الكتب السماوية فيها اختلاف أبداً؛ أنه لا يُعبد إلا الله جَلَّ وَعَلَا، وأن عبادة غيره باطلة، أجمعت الكتب السماوية، وأجمعت الرسل، وأجمع المسلمون من قديم الخليقة إلى آخر الخليقة على أن العبادة لا تكون إلا لله، وأن من عبد غير الله، فإنه يُدعى إلى عبادة الله، فإن أصر، فإنه يُقاتل؛ دفعاً لكفره وشره، ولئلا ينتشر الكفر في الأرض، ويحتج به المخالف، فلو كان الناس أحراراً، ولا اختلاف في الدين -كما يقولون-، ما احتاج الناس إلى بعث الرسل، ولا إلى إنزال الكتب، وإنما الناس أحرار، ولا أحد يُدعى، ولا أحد يُقاتل، ولا أحد تفرض عليه الجزية والخضوع للإسلام، فهم أحرار؛ كما تقولون.

القول الثالث: أن قوله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ خاص باليهود والنصارى، قيل: إنهم أسلم منهم ناس، فأرادوا أن يكرهوا أولادهم على الدخول في الإسلام، فالله أنزل هذه الآية في أنهم لا يُكرهون^(١).

وأما قولهم: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾؛ أنه محمول على الاختيار والحرية، فهذا أمر باطل، لا دليل عليه من القرآن، بل أدلة الشرع كلها ترد على هذا.

(١) انظر: تفسير الطبري (٤/٥٤٧-٥٥٠)، وزاد المسير (١/٢٣١)، وتفسير القرطبي (٣/٢٨٠)، وابن كثير (١/٦٨٢).

وقوله: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، سبق لنا أن قلنا: إن هذه الآية هي معنى «لا إله إلا الله»، ﴿يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾، هذا معنى (لا إله)، ﴿وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ هذا معنى (إلا الله)، ففيها معنى النفي والإثبات اللذين في «لا إله إلا الله».

والطاغوت: لفظ عام مأخوذ من الطغيان، وهو مجاوزة الحد^(١)، وهو أنواع، والطواغيت أنواع، فأعظم الطواغيت من يُعبد من دون الله عزَّ وجلَّ، وهو راضٍ بذلك.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (الطواغيت كثيرون، ورؤوسهم خمسة:

١. إبليس لعنه الله.
٢. ومن عُبد وهو راضٍ.
٣. ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه.
٤. ومن ادعى علم الغيب.
٥. ومن حكم بغير ما أنزل الله)^(٢).

(١) انظر: العين (٤/ ٤٣٥)، وتهذيب اللغة (٨/ ١٥٣)، ولسان العرب (٨/ ١٥)، وتفسير الطبري (٢٣/ ٢١٩).

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في إعلام الموقعين (١/ ٤٠): (والطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع؛ فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله؛ فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم عدلوا عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته).

هذه رؤوس الطواغيت:

الأول: إبليس، وهو أول الطواغيت.

الثاني: (من عبد وهو راضٍ بذلك)، أما من عبد، وهو غير راضٍ بذلك، فهذا لا يُسمى طاغوتًا، فالملائكة عبدوا من دون الله، لكن لم يرضوا بذلك، ولا أمروا به، المسيح ابن مريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول الله عبد من دون الله، وهو ينهى عن ذلك في حياته، ويتبرأ من أصحابه، فلا يُعد طاغوتًا، وإنما الطاغوت الذي أمرهم بعبادته، وهو الشيطان، وكذلك الأولياء والصالحون، الذين ماتوا على صلاحهم، وعلى ولايتهم لله، وعلى عملهم الصالح، ولكن عبدوا بعد ما ماتوا، هؤلاء لا يُقال لهم: «طواغيت»، وإنما الطاغوت هو الذي أمرهم بذلك، وهو الشيطان.

الثالث: (من دعا الناس إلى عبادة نفسه)؛ لأن بعض الطواغيت يأمر الناس بأن يعبدوه، ويقول لهم: «إنه يستطيع أن ينفعهم، وأن يضرهم، ويحقق لهم مطالبهم»؛ كما عليه اليوم طواغيت الصوفية ومشايخ الصوفية، الذين يزعمون أنهم يحققون لمن عبدتهم مطالبهم، وأنهم يتصلون بالله مباشرة، ويأخذون عن الله مباشرة، وبعضهم يوصي يقول: «إذا مت لا يمنعكم من دعائي والاستغاثة بي ذراع من التراب، هلموا إلى قبري، واطلبوا مني، وأنا أغيثكم، وأنا... وأنا...»، هذا دعا الناس إلى عبادة نفسه، فهو طاغوت.

الرابع: (من ادعى علم الغيب)، وهو الكاهن، الطواغيت كُهان - كما يقول بعض السلف - كانت تنزل عليهم الشياطين، وفي كل حي من أحياء

العرب منهم واحد^(١)، فالكُهان طواغيت، لماذا؟ لأنهم يدعون علم الغيب الذي اختص الله تعالى به؛ ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٦١) إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ﴿[الجن: ٢٦-٢٧]، فقد يطلعه الله على بعض المغيبات لمصلحة الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وتكون معجزة له، ودليلاً على صدقه لمصلحة الناس، وإلا فالغيب لا يعلمه إلا الله؛ ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، والرسول الذي علم شيئاً من الغيب لم يعلمه أصلاً، وإنما علمه بإطلاع الله له عليه؛ فلا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى؛ ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٦١) إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ﴿[الجن: ٢٦-٢٧].

أما الكهان والشیاطين، فهؤلاء كذبة، ولكن يحصلون على شيء من الغيب بواسطة استراق السمع^(٢).

(١) أخرج الطبري في تفسيره (٥٥٨/٤): عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ: ﴿فَمَنْ يَكْفُرُ بِالطَّاغُوتِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] قَالَ: «كُهَّانٌ تَنْزِلُ عَلَيْهَا شَيَاطِينُ يُلقُونَ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ»، أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: وَسُئِلَ عَنِ الطَّوَاعِيتِ الَّتِي كَانُوا يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: «كَانَ فِي جُهَنَّةَ وَاحِدٌ، وَفِي أَسْلَمَ وَاحِدٌ، وَفِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ، وَهِيَ كُهَّانٌ يَنْزِلُ عَلَيْهَا الشَّيْطَانُ». وأخرجه البخاري معلقاً (٤٥/٦)، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٩٧٦/٣)، وابن كثير (٣٣٤/٢)، وفتح الباري (٢٥٢/٨).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٤٧٠١، ٤٨٠٠، ٧٤٨١): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، صَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُرِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الْحَقُّ، وَهُوَ الْعِلِيُّ الْكَبِيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرَقُّ السَّمْعِ، وَمُسْتَرَقُّ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ - وَوَصَفَ سُفْيَانُ بِكُفِّهِ فَحَرَفَهَا، وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ - فَيَسْمَعُ =

والخامس - وهو الأخير -: (من حكم بغير ما أنزل الله)، ومنهم الحكماء الذين يسنون القوانين، ويلغون الشريعة، ويجعلون القوانين محلها، هؤلاء طواغيت، الذي يحكم بغير ما أنزل الله هذا طاغوت بنص القرآن؛ ﴿يُرِيدُونَ أَن يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: ٦٠]، فمن حكم بغير ما أنزل الله متعمداً ذلك، فإنه يكون طاغوتاً، أما من حكم بغير ما أنزل الله مجتهداً، يتحرى الحق، ولكنه أخطأ، فهذا ليس طاغوتاً، فالفقهاء إذا اجتهدوا في المسائل الفقهية، وأخطؤوا، لا يعدون طواغيت؛ لأنهم لم يتعمدوا هذا، هم يبحثون عن الحق، ولكن لم يصلوا إليه، فهم معذورون، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ، فَاجْتَهَدَ، ثُمَّ أَصَابَ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ، فَاجْتَهَدَ، ثُمَّ أَخْطَأَ، فَلَهُ أَجْرٌ»^(١)؛ لأنه لم يتعمد مخالفة الشرع، وإنما أخطأ باجتهاده، ولا يجوز اتباعه على الخطأ، لا يجوز أن نأخذ الاجتهاد الذي نرى أنه خالف الدليل، ولكن هو في نفسه معذور، وليس طاغوتاً، بل له أجر، إذا كان من أهل العلم، أما إذا اجتهد، وهو ليس عنده مؤهلات الاجتهاد، فهذا على كل حال مخطئ، فلا يجوز له أن يجتهد وهو لا يحسن ذلك، ولكن هذا في المجتهدين، الذين عندهم مؤهلات الاجتهاد، إذا اخطؤوا؛ كالأئمة الأربعة

=الكَلِمَةُ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الْآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاجِرِ أَوْ الْكَاهِنِ، فَرَبَّمَا أَدْرَكَ الشَّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرَبَّمَا أَلْفَاها قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةً كَذِبَةً، فَيَقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا، فَيُصَدِّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَ مِنَ السَّمَاءِ».

(١) أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦)، من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأقرانهم من أهل العلم، الذين توافرت فيهم شروط الاجتهاد، فإنهم ليسوا معصومين، إنما الطاغوت الذي تعمد، تعمد مخالفة الشرع، وتعمد الحكم بغير ما أنزل الله، يجلب القوانين والمحاكم القانونية، يجعلها محل الشريعة، هذا لا شك أنه طاغوت، ليس طاغوتاً عادياً، بل من رؤوس الطواغيت الخمسة.

فما دام أن الله جَلَّوَعَلَا فرض عليك الكفر بالطاغوت، فلا يجوز لك أنك تبقى جاهلاً، وما تدري ما هو الطاغوت، لا بد أن تعرف ما هو الطاغوت، وما هي أنواعه؛ حتى تتجنبه، حتى تحذر منه، أما أنك تقرأ القرآن بأوامره ونواهيه، وفيه ذكر التوحيد والشرك، ولا تعرف كيف تفرق بينهم، فهذا لا يجوز للمسلم، لا بد له أن يتعلم هذه الأشياء، ويكون على بصيرة منها في نفسه، ويتجنبها، ويحذر منها؛ من أجل أن يعرف الحق، من أجل أن يعمل به هو، ويدعو الناس إليه، ويبينه لهم، فالأمر مهم جداً، يجب الكفر بكل هؤلاء، فمن لم يكفر بهم، أو لم يكفر ببعضهم، وصحح شيئاً من الطواغيت، فصحح الكهانة، وصحح الحكم بغير ما أنزل الله، وقال: «الوقت تغير، والزمان يختلف، ولا يسع الناس اليوم الحكم بالشرعية، ولا بد أن نساير الدول، ونساير العالم»، هذا لم يكفر بالطاغوت، وإن كان يقول: «لا إله إلا الله»، وإن كان يصلي، ويصوم ويحج، ما دام أنه يقول: «الحكم بما أنزل الله لا يُناسب هذا الوقت، يتعارض مع الحضارة الحديثة، ومع سياسة الدول، فعلينا أن نسايرهم في هذه الأمور، والشرع إنما يكون في المساجد، وأما الحكم

بين الناس والحكم السياسي، فلا بد من مسايرة الدول، ولا ينفرد عنها»، هذا ولو كان يصلي ويصوم ويحج، ويقول: «لا إله إلا الله» عدد الأنفاس، فهو كافر؛ لأنه لم يكفر بالطاغوت، والله قدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله؛ لأن الإيمان بالله لا يصح إلا بعد الكفر بالطاغوت.



وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

الشرح

هذا الدليل على أن من عبد من دون الله، وهو راض، أو دعا إلى عبادة نفسه، أو حكم بغير ما أنزل الله، فهو من الطواغيت، الدليل على ذلك قوله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، هذه الآية مثل قوله: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فهو لم يقتصر على قوله: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾، بل قال: ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾؛ لأن عبادة الله لا تصح إلا مع اجتناب الطاغوت، فمن يعبد الله ليلاً ونهاراً، ولكنه لم يجتنب الطاغوت، فعبادته باطلة؛ كالذي يصلي، ويصوم، ويحج، ويتصدق، ويتبرع، وينفق، ولكنه يستغيث بالأموال، ويدعو الأموات من دون الله، هذا لم يكفر بالطاغوت.

جميع الرسل على هذا، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾، هذا عام لجميع الرسل؛ أنهم جاؤوا بالأمر بعبادة الله واجتناب الطاغوت، فلا بد من الأمرين، وهذا هو معنى «لا إله إلا الله»؛ ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾، هذا معنى الإثبات، ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، هو معنى النفي في «لا إله إلا الله».



فَأَمَّا صِفَةُ الْكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ، فَهُوَ أَنْ تَعْتَقِدَ بُطْلَانَ عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ، وَتَتَرَكَّهَا، وَتُبْغِضَهَا، وَتُكْفِرَ أَهْلَهَا، وَتُعَادِيَهُمْ.
وَأَمَّا مَعْنَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، فَهُوَ أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْإِلَٰهَ الْمَعْبُودُ وَحْدَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ.

— الشَّرْحُ —

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَأَمَّا صِفَةُ الْكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ، فَهُوَ أَنْ تَعْتَقِدَ بُطْلَانَ عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ، وَتَتَرَكَّهَا، وَتُبْغِضَهَا، وَتُكْفِرَ أَهْلَهَا، وَتُعَادِيَهُمْ)، هذا معنى ﴿وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، لا بد من هذه الأمور؛ أن تعرف أولاً ما هو الطاغوت، ثم تجتنبه، ولا يكفي أنك تجتنبه، بل لا بد أن تعادي أهله، وتبغضهم؛ لأنهم أعداء الله، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١]، فلا بد من هذه الأمور:

أولاً: أن تعرف الطاغوت ما هو؛ لأنك إذا لم تعرفه، فلا يمكن أنك تتجنبه، كيف تتجنب شيئاً مجهولاً؟!

ثانياً: إذا عرفته، سهل عليك اجتنابه.

ثالثاً: إذا اجتنبته، فلا بد أن تعاديه، وأن تبغضه، وتبغض أتباعه، وتعاديهم في الله عَزَّ وَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَمَّا مَعْنَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، فَهُوَ أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْإِلَٰهَ الْمَعْبُودُ وَحْدَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ)، هذا معنى الإيمان بالله؛ أن تعتقد بقلبك أن الله

هو المستحق للعبادة دون ما سواه، وأن كل ما عُبد من دون الله فهو باطل؛ سواءً كان من الملائكة، أو من الأنبياء، أو من الصالحين، أو من الأحجار والأشجار والأوثان، لا بد أن تكفر بهذا كله، هذا معنى الإيمان بالله؛ أن تعتقد بقلبك أنه لا يستحق العبادة إلا الله، وأن ما عُبد من دونه، فهو باطل، هذا لازم هذه العقيدة، ما يكفي أنك تقول هذا بلسانك بدون أن تعتقد بقلبك، ولا يكفي أنك تعمل هذا بجوارحك، فأنت تصلي، وتصوم، وتقول: «أنا لا أعبد إلا الله»، ولكن يقول: «ما أدري عن عبادة هؤلاء الذين يعبدون القبور ويعبدون الأضرحة، ما أقدر أقول: إنهم على باطل، وهم يصومون، ويصلون، ويقولون: لا إله إلا الله»، نقول: أنت ما فهمت معنى «لا إله إلا الله»، ولا فهمت معنى الإيمان بالله والكفر بالطاغوت، وإلا لو فهمت حق الفهم، لعرفت أن الإيمان بالله لا يصح إلا بالكفر بالطاغوت ظاهراً وباطناً؛ ظاهراً باللسان، وباطناً بالاعتقاد.



وَتُخْلَصَ جَمِيعُ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ كُلِّهَا لِلَّهِ، وَتَنْفِيهَا عَنْ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ.

❖ الشرح ❖

هذا معنى الإيمان بالله؛ أن تصرف العبادات كلها لله، لا تصرف منها شيئاً لغير الله؛ كالذي يصوم، ويصلي، ويزكي، ولكن يدعو غير الله، ويستغيث بغير الله، ويذبح لغير الله، هذا عبد الله في شيء، وعبد غيره في شيء؛ فهو مشرك، لا بد أن تكون جميع العبادات كلها لله، ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، لا بد أن تكون العبادات كلها لله، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، أما الذي يعبد الله ببعض العبادات، ويعبد غيره بأنواع أخرى من العبادات، فهذا لم يؤمن بالله؛ كالذين يصومون، ويصلون، ويحجون، وينطقون بالشهادتين، ولكن يدعون غير الله، يدعون الأموات، ويذبحون للأموات، وينذرون للأموات، ويطوفون بالقبور، هؤلاء لم يعبدوا الله، بل هم مشركون؛ لأنه لا يجتمع عبادة الله وعبادة غيره أبداً، الله جَلَّ وَعَلَا يقول: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشُرْكُهُ»^(١) وفي رواية «فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ»^(٢)، الله لا يرضى أن يُشرك معه أحد في أي نوع من أنواع العبادات، بل يجب أن تكون العبادات كلها لله عَزَّ وَجَلَّ؛ ﴿وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، فلا يكون الدين بعضه لله، وبعضه للأصنام، أو للقبور، أو لفلان، أو لعلان، الدين كله لله.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٢٠٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَتُحِبُّ أَهْلَ الْإِخْلَاصِ وَتَوَالِيَهُمْ، وَتُبْغِضُ أَهْلَ الشَّرْكِ، وَتُعَادِيَهُمْ.

• الشرح •

هذا من لازم التوحيد، من وحّد الله، وكفر بالطاغوت، فلا بد أن يوالي -أي: يحب، ويناصر- أولياء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهم أهل التوحيد، ويعادي ويبغض أهل الشرك؛ لأن الله يبغضهم، فأنت تبغض من يبغضهم الله، أما الذي يقول: «أنا ما عليّ إلا نفسي، ولا أعادي الناس، ولا أبغض الناس، ولا أكفر الناس»، نقول له: أنت ما كفرت بالطاغوت؛ الكفر بالطاغوت من لازمه معاداة أعداء الله وبغض أعداء الله؛ ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا﴾، فتربصوا: يعني انتظروا ما يحل بكم، ﴿حَتَّى يَأْتِيَكُمُ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]، سهاهم فاسقين خارجين عن طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلا بد من الموالاتة في الله، والمعاداة في الله، فالذي عنده الناس سواء، لم يكفر بالطاغوت، إنما يكفر بالطاغوت من وإلى في الله، وعادى في الله، وأحب في الله، وأبغض في الله عَزَّ وَجَلَّ.

وَهَذِهِ مِلَّةٌ إِبْرَاهِيمَ الَّتِي سَفِهَ نَفْسَهُ مِنْ رَغَبٍ عَنْهَا.

وَهَذِهِ هِيَ الْأُسْوَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللَّهُ بِهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ [المتحنة: ٤].

الشرح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَهَذِهِ مِلَّةٌ إِبْرَاهِيمَ الَّتِي سَفِهَ نَفْسَهُ مِنْ رَغَبٍ عَنْهَا)، الله جَلَّ وَعَلَا بعث نبيه محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بملة إبراهيم، التي هي إفراد الله بالعبادة، وترك ما سواه، والبغض في الله، والحب في الله، ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام؛ كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾، هذه ملة إبراهيم؛ معاداة أعداء الله، والبراءة منهم ومن دينهم، فمن لم يتبرأ منهم، فإنه ليس على ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام، بل إن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام تبرأ من أبيه، ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]، هذه ملة إبراهيم؛ الحب في الله، والكره في الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَهَذِهِ هِيَ الْأُسْوَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللَّهُ بِهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا

نَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ﴿١﴾، الأسوة: معناها القدوة، وأول السورة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنْ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢﴾ [المتحنة: ١]، إلى قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ [المتحنة: ٤]، هذا هو التوحيد، وهذه هي عبادة الله، وهذا هو الكفر بالطاغوت، ما يكفي أنك تقول: «أنا أكفر بالطاغوت»، ولكن لا تنفذ هذا في أفعالك، ولا تعتقده بقلبك، هذا لا يكفي.



وَالطَّاغُوتُ عَامٌّ، فَكُلُّ مَا عُبدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَرَضِيَ بِالْعِبَادَةِ - مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتَّبِعٍ أَوْ مُطَاعٍ - فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهُوَ طَّاغُوتٌ ^(١).

❖ الشرح ❖

(فَكُلُّ مَا عُبدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَرَضِيَ بِالْعِبَادَةِ)، فإنه يُسمى طاغوتًا؛ من الطغيان، وهو الخروج عن الحد ^(٢).

فالمعبود من الأصنام والأوثان والأشخاص إذا رضي بذلك، أو المتبوع في غير طاعة الله، الذين يتبعون الكفار، ويتبعون أهل الضلال هؤلاء لم يكفروا بالطاغوت؛ لأن الواجب أن يتبعوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالذي يتبع أحدًا غير رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه لم يكفر بالطاغوت؛ لأن الله أوجب علينا اتباع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا نتبع غيره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالذين يحرّمون الحلال، ويحلّون الحرام هؤلاء يجب أن نعصيهم، ولا نطيعهم، ما نطيع إلا بطاعة الله عَزَّ وَجَلَّ، ولهذا يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ» ^(٣)، فلا يجوز لنا أن نطيع مخلوقًا، إلا في طاعة الله، إذا كان مطيعًا لله، أطعناه، فإذا أمرنا بمعصية الله، فإننا نعصيه، ولا نوافقه.



(١) سبق بيانه (ص ١٥٨-١٥٩).

(٢) سبق بيانه (ص ١٥٨).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥٤٥/٦)، والخلال في السنة (١١٣/١) من حديث الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَالطَّوَاعِثُ كَثِيرَةٌ، وَرُؤُوسُهَا خَمْسَةٌ^(١).

الْأَوَّلُ: الشَّيْطَانُ الَّذِي يَدْعُو لغيرِ الله، وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٠].

— الشَّرْحُ —

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وَالطَّوَاعِثُ كَثِيرَةٌ، وَرُؤُوسُهَا خَمْسَةٌ)، الطَّوَاعِثُ كَثِيرَةٌ، فكل من خرج عن طاعة الله، فهو طاغوت، وهذا لا حصر له، ولكن رؤوس الطَّوَاعِثُ هم هؤلاء الخمسة.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (الْأَوَّلُ: الشَّيْطَانُ)؛ لأن أصل الطَّوَاعِثُ هو الشيطان، ومثله طوَاعِثُ الْإِنْسِ؛ شياطين الْإِنْسِ الَّذِينَ يَحْسُنُونَ لِلنَّاسِ عِبَادَةَ غيرِ الله، ويسمونهم بأسماء خادعة، يسوغون للناس الذبح لغيرِ الله، والنذر لغيرِ الله، والاستغاثة بغيرِ الله، ودعاء الموتى، يسوغون هذا، ويسمونهم بأسماء، يخدعون الناس بها، هؤلاء طوَاعِثُ.

وعِبَادَةُ الشَّيْطَانِ تكون بطاعته، فمن أطاعه، فقد عبده؛ على اختلاف أنواع هذه العبادة، منها ما يصل إلى حد الكفر والشرك، ومنها ما هو دونها؛ بحسب طاعة الشيطان، فكل المعاصي طاعة للشيطان، وأشدّها الشرك، ويساعده شياطين الْإِنْسِ من علماء الضلال، الذين يدعون الناس إلى عبادة غيرِ الله عَزَّوَجَلَّ، ويسمونهم بغيرِ الشرك؛ يسمونهم توسلاً، أو يسمونهم المحبة

(١) سبق بيانه (ص ١٥٨-١٥٩).

للسالحين، أو بغير ذلك من أنواع الأسماء الخداعة، فهؤلاء من أعوان الشيطان، الله أخبر أن الجن لهم شياطين، وأن الإنس لهم شياطين؛ ﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]، يساعدون على إضلال بني آدم، هذا هو النوع الأول من الطواغيت الشيطان، ومن سار في ركاب الشيطان، حتى ولو قال الإنسان: «أنا ما أعبد الشيطان»، نقول: إذا أطعته، وانقدت له، فقد عبدته، شئت أم أبيت، الذي لا يعبد الشيطان هو الذي يخالفه ويعصيه، هذا هو الذي لا يعبد الشيطان، لكن قد تكون عبادة الشيطان تصل إلى الكفر المخرج من الملة، وتكون دون ذلك، ولكنها كلها طاعة للشيطان.



الثَّانِي: الْحَاكِمُ الْجَائِزُ الْمَغَيَّرُ لِأَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠].

— الشَّرْحُ —

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّانِي: الْحَاكِمُ الْجَائِزُ الْمَغَيَّرُ لِأَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى)، الثَّانِي: من حكم بغير ما أنزل الله، هذا يعم كل من حكم بغير ما أنزل الله بين الناس في الخصومات والمنازعات؛ حكم بينهم بالقانون، أو بعوائد البدو والسلم، التي عليها البدو والقبائل، وأعرض عن كتاب الله، هذا هو الطاغوت؛ يحكمون بغير ما أنزل الله، ويدعون أن هذا من الإصلاح والتوفيق بين الناس، هذا كذب؛ الإصلاح لا يكون إلا بكتاب الله، والتوفيق بين الناس والمؤمنين لا يكون إلا بكتاب الله عَزَّجَلَّ؛ ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ [١٢] أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا [١٣] وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٢-٦٤]، لو أنهم تابوا إلى الله، و﴿جَاءُوكَ﴾، هذا في حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما بعد

موته، فلا يذهب إلى قبره، الإنسان إذا أذنب، يتوب إلى الله، ويستغفر في أي مكان، والله غفور رحيم، ولا يحتاج أن يذهب إلى قبر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما يقول المخرفون الآن: «إن هذا يدل على أن المذنب يذهب عند القبر، ويطلب من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسامحة، ويستغفر عند القبر»، هذا كذب؛ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أمر أنه يُستغفر عند قبره، ولا الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يذهبون إلى قبر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليستغفروا، كانوا يتوبون إلى الله في أي مكان، لا يحتاج إلى أنك تذهب إلى قبره، ولكن هذا في حياة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنهم أسأؤوا في حق الرسول؛ حيث انصرفوا عن التحاكم إليه، فهذه إساءة في حق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهم يذهبون ويعتذرون إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد التوبة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، فكان هذا فيه مخالفة لله ومخالفة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالمخالفة في حق الله لها الاستغفار، والمخالفة في حق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذهبون إليه، ويطلبون منه المسامحة والعفو عنهم؛ لأنهم أخطؤوا في حقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾)، هذا الدليل على أن من حكم بغير ما أنزل الله، فهو طاغوت في قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠]، فالطاغوت قيل: «هو الشيطان»،

وقيل: «هو كعب بن الأشرف اليهودي»، وقيل: «إنهم الكهان»؛ لأن العرب عندهم لكل قبيلة كاهن يحكم بينهم^(١).



(١) انظر ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠] في:

تفسير الطبري (١٨٩/٧ - ١٩٥)، وزاد المسير (١/٤٢٥ - ٤٢٦)، وتفسير القرطبي (٢٤٨/٥)، وابن كثير (٣٤٦/٢).

وانظر -أيضاً- تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] في: تفسير الطبري (٤/٥٥٥ - ٥٥٨)، وزاد المسير (١/٢٣١ - ٢٣٢)، وتفسير القرطبي (٢٨٢/٣)، وابن كثير (٦٨٣/١).

الثَّالِثُ: الَّذِي حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

— الشَّرْحُ —

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّالِثُ: الَّذِي حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ)، فالآية حكمت عليه بالكفر، وهذا إذا تعمد الحكم بغير ما أنزل الله، وجعل المحاكم تحكم بغير ما أنزل الله بقوانين وضعية، وألغى الشريعة، وقصرها على الأحوال الشخصية فقط، وأما المنازعات بين الناس والخصومات، فيُحكم فيها القانون، هذا كافر.

ويستثنى من ذلك:

أولاً: من حكم بغير ما أنزل الله بسبب اجتهاد، وأخطأ في اجتهاده، وهو أهل لاجتهاده، فهذا مأجور ومغفور له خطؤه.

الثاني: من حكم بغير ما أنزل الله، وهو يعلم أنه مخالف، ولكن حكم به لهوى في نفسه، أو لطمع في مال أو رشوة، وهو يعتقد أنه يجب الحكم بما أنزل الله، يعتقد هذا، ويعتقد أنه مخالف، فهو مذنّب وعاصٍ صاحب كبيرة.



الرَّابِعُ: الَّذِي يَدَّعِي عِلْمَ الْغَيْبِ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عِلْمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٣٦) إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿[الجن: ٢٦-٢٧].

• الشَّرْحُ •

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الرَّابِعُ: الَّذِي يَدَّعِي عِلْمَ الْغَيْبِ مِنْ دُونِ اللَّهِ)، هؤلاء هم الكهان، فهم طواغيت، ولا يجوز التحاكم إليهم، ولا يجوز الذهاب إليهم وسؤالهم؛ لأن بعض الناس يذهب إليهم إذا ضاع له شيء، ويسألهم عن الذي ضاع له، ويسألهم: «من الذي سحره؟»، أو يسألهم عن أهله إذا كانوا غائبين: «ما حالتهم؟»، أو عن أمواله الضائعة، فهذا يكفر، إذا صدقهم؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»^(١)، وإن كان لم يصدقهم، فإنه لا تقبل له صلاة أربعين يومًا^(٢)،

(١) أخرجه أبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، وابن ماجه (٦٣٩)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه الطبراني في الأوسط (٧٦/٩)، والخرائطي في مساوي الأخلاق (٣٤٧/١): عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا لَمْ يَقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا».

وكما في الحديث الذي أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٧٨/٦): عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ بَرَى بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنْ أَتَاهُ غَيْرَ مُصَدِّقٍ لَهُ، لَمْ يَقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا».

فمجرد ذهابه إليهم معصية كبيرة، لا تُقبل له صلاة أربعين يومًا؛ عقوبة له على ذهابه إليهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ [الجن: ٢٧]، سواء كان رسولاً من الملائكة أو من البشر، فإن الله قد يطلعه على شيء من الغيب لمصالح العباد، وليكون معجزة للرسول، ويكون مع الرسول رصد من الملائكة.



وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

❖ الشرح ❖

عنده جَلَّ وَعَلَا علم الغيب الخاص والعام؛ الخاص: مفاتيح الغيب، هذه لا يعلمها أحد؛ لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤]، هذا لا يدري عنه أحد إلا الله جَلَّ وَعَلَا، هذا في الغيب؛ ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾.

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾؛ هذا العلم العام.

﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾؛ هذا علم الله الشامل لكل شيء، ومع علمه بكل شيء كتب هذه الأشياء في اللوح المحفوظ، علمها أولاً، وأحاط بها، ثم كتبها في اللوح المحفوظ.



الخَامِسُ: مَنْ يُعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَهُوَ رَاضٍ بِالْعِبَادَةِ، وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌُ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩].

الشرح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الخَامِسُ: مَنْ يُعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَهُوَ رَاضٍ بِالْعِبَادَةِ)، بهذا القيد (وَهُوَ رَاضٍ بِالْعِبَادَةِ)، أما الذي يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وهو غير راضٍ، فهذا لا يُسمى طاغوتاً، يخرج بذلك الملائكة والأنبياء والصالحون^(١)، أولياء الله الصالحون لا يدخلون في الطواغيت؛ لأنهم لم يرضوا بها، بل كانوا ينهون عنها في حياتهم، وإنما حصل هذا بعد موتهم وغيبتهم عن الناس.



(١) انظر ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ ﴿١٨﴾ لَوْ كَانَتْ هَتُولاَءِ ءَالِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿[الأنبياء: ٩٩] في: تفسير الطبري (١٦/ ٤١٧ - ٤١٨)، وزاد المسير (٣/ ٢١٥)، والقرطبي (١١/ ٣٤٣)، وابن كثير (٥/ ٣٧٩).

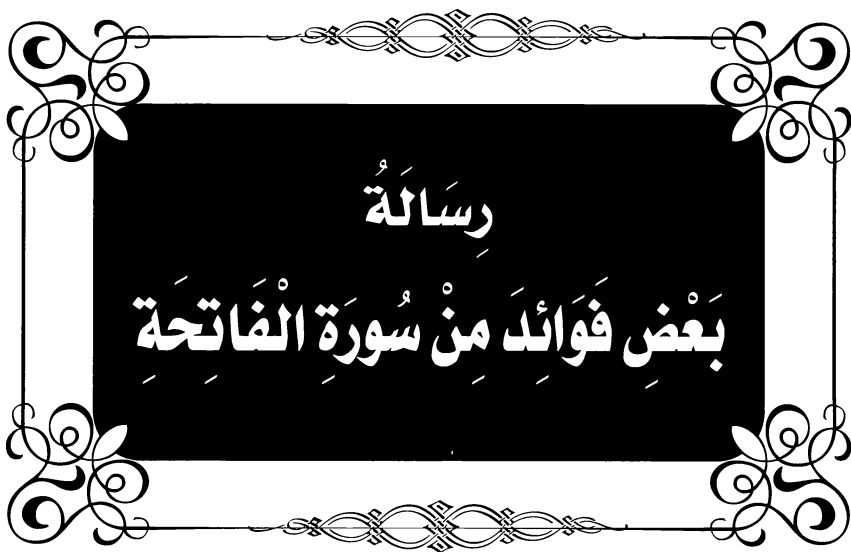
وَأَعْلَمَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَصِيرُ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ إِلَّا بِالْكَفْرِ بِالطَّاغُوتِ، وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وَالرُّشْدُ: دِينُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْغِيُّ: دِينُ أَبِي جَهْلٍ، وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَى: هِيَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَهِيَ الْمُتَضَمِّنَةُ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ؛ تَنْفِي جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ عَنْ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَتُثْبِتُ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

— ❖ الشرح ❖ —

والعروة الوثقى هي «لا إله إلا الله»، تسمى العروة الوثقى، وتسمى كلمة التقوى، وتسمى كلمة الإخلاص.

﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ما الرشد؟ هو دين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودين كل الأنبياء، هذا هو الرشد، والغي: دين أبي جهل، ودين جميع الكفار، ولكن ذكر شهادة أن لا إله إلا الله، (هِيَ الْمُتَضَمِّنَةُ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ)؛ النفي في قوله: «لا إله»، والإثبات في قوله: «إلا الله». (تَنْفِي جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ عَنْ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَتُثْبِتُ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ)، هذا معنى شهادة أن لا إله إلا الله؛ أنها تنفي العبادة عما سوى الله، وتثبتها لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأنها حق الله، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾ [الذاريات: ٥٦]، فالعبادة حق لله، ليس لأحد فيها استحقاق، ليس من حق أحد أن يُعبد غير الله جَلَّ وَعَلَا.



رِسَالَةٌ

بَعْضُ فَوَائِدَ مِنْ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَعْضُ فَوَائِدٍ مِنْ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ

الشرح

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

هذه الرسالة تختص ببيان فوائد الفاتحة، هذه السورة العظيمة، سُميت بالفاتحة؛ لأنها أفتتح بها المصحف الشريف، فهي أول سورة فيه، وتسمى بالسبع المثاني؛ لأنها سبع آيات، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]، فهي السبع المثاني^(١).

وقيل: سُميت بالمثاني؛ لأنها تُكرر قراءتها في كل ركعة^(٢).

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٤٤٧٤) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ بْنِ الْمَعْلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كُنْتُ أَصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ أُجِبْ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَصَلِّي، فَقَالَ: «أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]». ثُمَّ قَالَ لِي: «لَأَعْلَمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّورِ فِي الْقُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ». ثُمَّ أَحْذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: أَلَمْ تَقُلْ لَأَعْلَمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ، قَالَ: «﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيْتَهُ».

(٢) انظر: تفسير الطبري (١١٨/١٤)، وزاد المسير (٥٤١/٢)، والقرطبي (١١٢/١)، والتحرير والتنوير (١٣٥/١).

وتُسمى أم القرآن؛ لأن أم الشيء الأصل الذي يرجع إليه الشيء، فالقرآن يرجع في معانيه إلى ما تضمنته هذه السورة^(١).

وتُسمى بالصلاة؛ لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الذي يرويه عن ربه؛ أن الله جَلَّ وَعَلَا يقول: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ»؛ يعني: الفاتحة، «فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾» [الفاتحة: ٢]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمْدِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾» [الفاتحة: ٣]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾» [الفاتحة: ٤]، قَالَ: مَجْدِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾» [الفاتحة: ٥]، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾» (١) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ» [الفاتحة: ٦-٧] قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»^(٢).

وسورة الفاتحة سبع آيات؛ ثلاث آيات ونصف منها لله؛ ثناء على الله عَزَّوَجَلَّ، وثلاث ونصف منها للعبد؛ من قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إلى آخر السورة، فهذا معنى قوله جَلَّ وَعَلَا: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ»؛ يعني: سورة الفاتحة «بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ».

(١) انظر الكلام على أسماء سورة الفاتحة في: تفسير الطبري (١/ ١٠٥)، وتفسير السمعاني (١/ ٣١)، وتفسير البغوي (١/ ٧٠)، وزاد المسير (١/ ١٧)، والقرطبي (١/ ١١١) - (١١٣)، ومجموع الفتاوى (٥/ ١٤)، وابن كثير (١/ ١٠١)، والتحرير والتنوير (١/ ١٣١).

(٢) أخرجه مسلم (٤٠) (٣٩٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وتسمى بالكافية^(١).

وتسمى بالرقية؛ لأن النفر من الصحابة الذين نزلوا على حي من أحياء العرب استضافوهم، فلم يضيفوهم، فلُدغ كبيرهم، فجاءوا يطلبون من الصحابة الرقية، فقال أحد الصحابة: «إننا نرقي، ولكن أبيتم أن تضيفونا، فلا نرقي إلا بجعل» -يعني بأجرة-، فشرطوا لهم قطيعاً من الغنم، فقرأ عليه سورة الفاتحة، فقام كأنما بُعث من عقاله. فلما قدموا على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبروه بما حصل، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقِيَّةٌ»^(٢)، فتسمى بالرقية^(٣).

وهي سورة عظيمة، يدل على عظمتها أن الله جعل قراءتها ركناً من أركان الصلاة، وأنها تكرر في كل ركعة، فهذا يدل على عظمة هذه السورة، وهي تتضمن معاني جليلة؛ ففيها أنواع التوحيد الثلاثة:

في أولها ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، هذا فيه توحيد الربوبية.

(١) قَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ: (لَا تَمَّا تَكْفِي عَنْ سِوَاهَا وَلَا يَكْفِي سِوَاهَا عَنْهَا. يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ خَلَادٍ الْإِسْكَنْدَرَانِيُّ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمُّ الْقُرْآنِ عَوْضٌ مِنْ غَيْرِهَا وَلَيْسَ غَيْرُهَا مِنْهَا عَوْضًا»). انظر: تفسير الثعلبي (١/١٢٨)، والقرطبي (١/١١٣)، وفتح القدير (١/١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٧٦، ٥٠٠٧، ٥٧٣٦، ٥٧٤٩)، ومسلم (٢٢٠١)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١/١١٣)، واللباب في علوم الكتاب (١٩/٥٧١).

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢٠﴾ مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٣-٤]، هذا فيه توحيد الأسماء والصفات.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]، هذا فيه توحيد العبودية. فتضمنت إذاً أنواع التوحيد الثلاثة.

وتضمنت نوعي الدعاء؛ لأن الدعاء على قسمين: دعاء عبادة، ودعاء مسألة:

دعاء العبادة: هو الثناء على الله جَلَّوَعَلَا وذكر الله عَزَّوَجَلَّ.

ودعاء المسألة: وهو طلب الحوائج من الله جَلَّوَعَلَا.

فهذا موجود فيها؛ ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦-٧]، كله طلب ودعاء، ولذلك يستحب بعد الفراغ من قراءتها أن يقول: «آمين»؛ أي: اللهم، استجب!

والتأمين إنما يكون على دعاء، وسورة الفاتحة دعاء كلها؛ دعاء عبادة ودعاء مسألة.

وفيه إثبات الرسالات، وذلك لأن مقتضى قوله ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾، والرب هو الذي يُصلح عباده ويربيهم، ومقتضى تربيتهم: أن يرسل إليهم الرسل لهدايتهم وتربيتهم، وهذا من مقتضى الربوبية، ومن مقتضى الهداية؛ ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦]، لا يمكن الاهتداء إلى الصراط المستقيم إلا بالرسل -عليهم الصلاة والسلام-، ففيها إثبات الرسالات.

وفيه الرد على جميع الطوائف المنحرفة؛ ففيها الرد على الملاحدة، الذين يعطلون الكون من خالقه، فيها الرد عليهم بإثبات أن هذا الكون له رب

خلقه، وهو رب العالمين، والرب معناه: الخالق المربي لجميع الخلق بالنعم، والمصلح والمالك^(١)، كل هذه تدخل في معاني الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ففيها الرد على الملاحدة المعطلة^(٢).

وفيها الرد على المشركين، الذين يعبدون غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]؛ حيث إن فيها إخلاص العبادة لله، ففيها الرد على المشركين الذين يعبدون مع الله غيره.

وفيها الرد على طوائف هذه الأمة، التي اشتطت عن طريق الحق؛ كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة، الذين ضلوا في باب القضاء والقدر، والرد على نفاة الصفات المعطلة، الذين عطلوا الأسماء والصفات؛ من جهمية ومعتزلة وأشاعرة وماتريدية^(٣)، وغيرهم.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (١/ ٢٢): (وَالرَّبُّ: هُوَ الَّذِي يُرِيَّ عَبْدَهُ فَيُعْطِيهِ خَلْقَهُ ثُمَّ يَهْدِيهِ إِلَى جَمِيعِ أَحْوَالِهِ مِنَ الْعِبَادَةِ وَغَيْرِهَا). وانظر: إغاثة اللفهان (١/ ٤١)، وبدائع الفوائد (٤/ ١٣٢)، وطريق الهجرتين (١/ ٥٦)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٣١).

(٢) المعطلة هم الذين عطلوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن صفاته، ونفوها عنه، ويسمون أيضا بالنفاة، وهم كثير، فمنهم الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية. انظر: قانون التأويل (١/ ٣٥٤)، وتبيين كذب المفتري (ص ١٤٩)، والفتاوى الكبرى (٦/ ٣٣٧)، ومجموع الفتاوى (١٢/ ٥٩٨، ١٦/ ٢٤١).

(٣) هم أصحاب محمد بن محمد بن محمود، أبي منصور الماتريدي، المتكلم، وماتريد قرية من قرى سمرقند، له كتاب التوحيد، وكتاب المقالات، وكتاب تأويلات القرآن، توفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة بسمرقند، ومن المسائل التي اشتهر الماتريدية بالخلاف فيها: مسألة الاستثناء في الإيوان، والاستثناء في الكفر، ومسألة القرآن هل الله عَزَّجَلَّ يتكلم بمشيئته وقدرته أم القرآن لازم لذاته، وغير ذلك من مسائل الصفات. انظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية (٣/ ٣٦٠)، ومجموع الفتاوى (٧/ ٤٣١ - ٤٣٤)، ومنهاج السنة (٢/ ٣٦٢).

كل من نفى الصفات أو نفى شيئاً منها، فهذه السورة ترد عليهم.

وفيها إثبات البعث؛ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، ويوم الدين: هو يوم الحساب؛ لأن الدين هنا معناه: الحساب، ويوم الدين هو يوم القيامة، سمي يوم الدين؛ لأن الله يحاسب عباده ويجازيهم على أعمالهم^(١).

وفيها الرد على اليهود، وهم المغضوب عليهم، ومن سار على نهجهم من كل عالم لا يعمل بعلمه.

ففيها الرد على كل مبتدع يعبد الله بغير دليل؛ من النصارى وغيرهم؛ لأن الضال هو الذي يعبد الله على غير هدى، فالنصارى والمبتدعة والخرافيون كلهم يدخلون تحت (الضالين)؛ لأنهم يعبدون الله بالبدع والمحدثات والخرافات، التي ما أنزل الله بها من سلطان.

كما أن فيها الرد على علماء الضلال، الذين ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦]، ويعملون بأهوائهم، ويحرفون النصوص، ويؤولونها على غير مراد الله سُبحانه وتعالى؛ لتتوافق على أهوائهم، وفي مقدمة هؤلاء اليهود وكل من سار على نهجهم؛ كما أن في مقدمة المبتدعة النصارى، ولهذا يقول بعض السلف: «مَنْ فَسَدَ مِنْ عُلَمَائِنَا، فَفِيهِ شَبَهٌ مِنَ الْيَهُودِ، وَمَنْ فَسَدَ مِنْ عِبَادِنَا، فَفِيهِ شَبَهٌ مِنَ النَّصَارَى»^(٢).

(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ١٥٨ - ١٥٩)، والقرطبي (١/ ١٤٣)، وابن كثير (١/ ١٣٤).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ فِي مجموع الفتاوى (١/ ١٩٧ - ١٩٨): (قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: كَانُوا يَقُولُونَ: مَنْ فَسَدَ مِنْ عُلَمَائِنَا، فَفِيهِ شَبَهٌ مِنَ الْيَهُودِ، وَمَنْ فَسَدَ مِنْ عِبَادِنَا، فَفِيهِ شَبَهٌ مِنَ النَّصَارَى. وَكَانَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ يَقُولُ: اخَذَرُوا فِتْنَةَ الْعَالَمِ الْفَاجِرِ =

فالواقع أن هذه سورة عظيمة، وسيتكلم الشيخ رحمه الله عن فوائدها المهمة.



=وَالْعَابِدِ الْجَاهِلِ؛ فَإِنَّ فِتْنَتَهُمَا فِتْنَةٌ لِكُلِّ مَفْتُونٍ. فَمَنْ عَرَفَ الْحَقَّ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ أَشْبَهَ الْيَهُودَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، وَمَنْ عَبَدَ اللَّهَ بِغَيْرِ عِلْمٍ بَلَّ بِالْعُلُوِّ وَالشَّرِكِ أَشْبَهَ النَّصَارَى الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ ﴿فَالأَوَّلُ مِنَ الْغَاوِينَ، وَالثَّانِي مِنَ الضَّالِّينَ﴾.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾

[الفاتحة: ١-٣]، هَذِهِ الْآيَاتُ تَضَمَّنَتْ ثَلَاثَ مَسَائِلَ:

الْآيَةُ الْأُولَى: فِيهَا الْمَحَبَّةُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ مُنْعِمٌ، وَالْمُنْعِمُ يُحِبُّ عَلَى قَدَرِ إِنْعَامِهِ.

❖ الشَّرْحُ ❖

الثلاث آيات التي تلاها في أول الرسالة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾، تضمنت ثلاث مسائل.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، الحمد لله على ماذا؟ على نعمه، فهو

يحمد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِدَاثِهِ وَلَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَلأَفْعَالِهِ، فهو المنعم على عباده،

فكل منعم، فهو يُحمد على قدر ما أنعم، وهذا يقتضي أن يُحب؛ لأن النفوس

جُبِلَتْ على حب من أحسن إليها، والله جَلَّ وَعَلَا هو المحسن، وهو المنعم، وهو

المتفضل على عباده، فتحبه القلوب على نعمه وعلى فضله وإحسانه محبة

لا يعادها محبة؛ ولذلك كانت المحبة أعظم أنواع العبادة، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ﴾ تتضمن المحبة، وسيذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أن المحبة على أربعة

أنواع:

محبة شركية: وهي محبة الأصنام والأوثان وكل ما يُعبد من دون

الله، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ

ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]؛ لأن محبتهم محبة توحيد وإخلاص.

النوع الثاني: محبة محرمة، وهي محبة ما يبغضه الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى من الممنوعات والمنهيات والمحرمات، ومن ذلك محبة المشركين ومحبة الكفار.

النوع الثالث: محبة طبيعية، وهي محبة الإنسان لأولاده ولأبويه ولزوجته ولأصدقائه، هذه محبة طبيعية، لا يؤاخذ عليها الإنسان.

النوع الرابع: محبة واجبة، وهي محبة أولياء الله، وهي المحبة في الله والموالة لله عَزَّجَلَّ. كل هذا داخل في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.



وَالْمَحَبَّةُ تَنْقَسِمُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ: مَحَبَّةُ شَرِكِيَّةٍ، وَهُمْ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٥-١٦٧].

— الشَّرْحُ —

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾؛ أي: شبهاء ونظراء لله عَزَّوَجَلَّ، فكل ما عُبد من دون الله، فقد أُتخذ نداً لله، وشبيهاً لله عَزَّوَجَلَّ، وعديلاً لله عَزَّوَجَلَّ.

والمشركون يحبون معبوداتهم محبة شديدة، ولذلك يموتون دونها، ويُقتلون دونها، ولو كانوا لا يحبونها، ما قاتلوا دونها، لكن يتمسكون بها، ويحبونها؛ لأنها أُشربت في قلوبهم -والعياذ بالله-، ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥]، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]؛ لأن المشركين يحبون الله محبة مشتركة بينه وبين غيره، وأما محبة المؤمنين لله، فهي محبة خالصة.

﴿وَلَوْ رَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، يقول جَلَّوَعَلَا: لو يعلمون ما سيؤولون إليه يوم القيامة مع من عبدوهم، لكان لهم حال آخر؛ لأنهم في يوم القيامة يتبرأ المتبوعون من الأتباع، ويكذبونهم، ويقولون: نحن ما أمرناكم بعبادتنا،

ولا علمنا أنكم تعبدوننا ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ أُتُّعُوا مِنَ الَّذِينَ أُتْبِعُوا وَرَأَوْا
الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦]، والأسباب هي المحبة؛ كما
يقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(١)، المحبة التي كانت في الدنيا بينهم وبين معبوداتهم
انقطعت، بعد أن كانوا يتحابون في الدنيا صاروا يتلاعنون في الآخرة ﴿إِنَّمَا
أَخَذْتُمْ مِنْ اللَّهِ أَوْثَنًا مَوْدَةً بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾
[العنكبوت: ٢٥].

أما الذين عبدوا الله، وأخلصوا له العبادة، فإن الله جَلَّوَعَلَا يتولاهم في
الآخرة، ويكرمهم، ويدخلهم الجنة. هذا مآل المؤمنين في الآخرة، وذاك مآل
المشركين في الآخرة، وإن كانوا في الدنيا يتمسكون بعبادة تلك المعبودات،
ويقاتلون دونها، ويستमितون، ويزهقون أنفسهم دفاعاً عنها، فإنها يوم القيامة
ستنقلب هذه المودة وهذه الصلة، تنقلب عدواة وقطيعة -والعياذ بالله-؛
﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]، ما
يبقى إلا المودة بين المتقين؛ لأنها مؤسسة على أساس صحيح، تبقى في الدنيا
والآخرة، أما المودة التي بين الكفار والمشركين، فإنها تنقطع، وتنقلب إلى
عدواة.



(١) انظر: تفسير الطبري (٣/ ٢٧ - ١٥٩)، وزاد المسير (١/ ١٣١)، وابن كثير (١/ ٤٧٧).

المحبة الثانية: حُبُّ الباطلِ وأهلِهِ وبُغْضِ الحقِّ وأهلِهِ، وَهَذِهِ صِفَةُ
الْمُنَافِقِينَ.

— الشرح —

النوع الثاني: محبة الباطل وأهلِهِ، وبغض الحق وأهلِهِ، هذه صفة المنافقين، فإنهم يحبون الباطل، ويكرهون الحق، يحبون الكفار، ويبغضون المؤمنين، والنفاق: هو إظهار الإسلام وإبطان الكفر. وعلامة المنافقين أنهم يحبون أهل الباطل، ويبغضون أهل الحق، فإذا رأيت من يبغض أهل الحق -خصوصًا صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ويبغض علماء الأمة وأئمة المسلمين، فاعلم أنه منافق، وإن كان يُظهر الإسلام، ويشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله في الظاهر، لكنه في الباطن ملحد كافر، يتستر بالإسلام وبالشهادتين، وإلا فهو كافر في الدرك الأسفل من النار.



الْمَحَبَّةُ الثَّالِثَةُ: طَبِيعِيَّةٌ، وَهِيَ مَحَبَّةُ الْمَالِ وَالْوَلَدِ، إِذَا لَمْ تُشْغَلْ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَلَمْ تُعِنْ عَلَى مَحَارِمِ اللَّهِ، فَهِيَ مُبَاحَةٌ.

❖ الشَّرْحُ ❖

الثالثة: محبة طبيعية؛ أي: مطبوع عليها الإنسان ومفطور عليها؛ يجب الإنسان أقاربه، يجب أولاده، يجب أصدقاءه، يجب من أحسن إليه، هذه محبة طبيعية، لا يؤاخذ عليها الإنسان، إلا إذا قدمها على محبة الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه حينئذ يَأْثَمُ؛ ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]، فإذا قدم محبة هذه الأشياء على ما يحبه الله ورسوله، فإنه متوعد بهذا الوعيد.



المَحَبَّةُ الرَّابِعَةُ: حُبُّ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَبُغْضُ أَهْلِ الشَّرْكِ، وَهِيَ أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ، وَأَعْظَمُ مَا يَعْبُدُ الْعَبْدُ بِهِ رَبَّهُ^(١).

• الشَّرْحُ •

المحبة الرابعة: محبة أولياء الله وبغض أعداء الله: فهذه هي الموالاة في الله والمعاداة في الله؛ فيحب أهل التوحيد، ويبغض أهل الشرك، هذا أوثق عرى الإيمان، وهذا هو الحب في الله والبغض في الله، هذا هو الولاء والبراء، وهذا من أصعب الأمور على الإنسان، فإن كان يحب أهل التوحيد ويواليهم، ويبغض أهل الشرك ويعاديهم، فهذه علامة الإيمان الراسخ.



(١) كما في الحديث الذي أخرجه أحمد في مسنده (٤٨٨/٣٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٥/١٢): عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «أَيُّ عُرَى الْإِسْلَامِ أَوْثَقُ؟»، قَالُوا: الصَّلَاةُ، قَالَ: «حَسَنَةٌ، وَمَا هِيَ بِهَا؟» قَالُوا: الرِّكَاءُ، قَالَ: «حَسَنَةٌ، وَمَا هِيَ بِهَا؟» قَالُوا: صِيَامُ رَمَضَانَ. قَالَ: «حَسَنٌ، وَمَا هُوَ بِهِ؟» قَالُوا: الْحَجُّ، قَالَ: «حَسَنٌ، وَمَا هُوَ بِهِ؟» قَالُوا: الْجِهَادُ، قَالَ: «حَسَنٌ، وَمَا هُوَ بِهِ؟» قَالَ: «إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ».

الآيَةُ الثَّانِيَّةُ: فِيهَا الرَّجَاءُ.
وَالْآيَةُ الثَّالِثَةُ: فِيهَا الْخَوْفُ.

— ❖ الشَّرْحُ ❖ —

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الْآيَةُ الثَّانِيَّةُ: فِيهَا الرَّجَاءُ)، الآية الثانية من سورة الفاتحة، وهي: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فيها الرجاء؛ رجاء رحمة الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأنه إذا كان رحماناً رحيمًا، فإنه تُرجى رحمته سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالْآيَةُ الثَّالِثَةُ: فِيهَا الْخَوْفُ)، وهي قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، فيها التخويف من هذا اليوم والإدانة يوم القيامة بالأعمال السيئة، ففيها الخوف.

فالآية الأولى فيها محبة الله؛ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، والثانية: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فيها الرجاء؛ رجاء رحمة الله، والثالثة فيها الخوف من عقاب الله؛ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، فإذا اجتمعت هذه الأمور الثلاثة - المحبة، والرجاء، والخوف -، فهي أساس العبادة، أما من أخذ بواحدة منها فقط، فإنه يكون ضالًّا؛ فمن عبد الله بالمحبة فقط، ولا يخاف، ولا يرجو، فهذه طريقة الصوفية، الذين يقولون: «لا نعبد الله خوفًا من ناره، ولا طمعًا في جنته، وإنما نعبده لأننا نحبه»^(١)، وهذا ضلال - والعياذ بالله -؛ لأن الرسل

(١) انظر بعض كلام هؤلاء في: تاريخ بغداد (١٢/١١٢)، وطبقات الحنابلة (١/٢٣١)، والنبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٧٢).

والملائكة أفضل الخلق يخافون الله ويرجونه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْـَٔرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، الرسل يخافونه ويرجونه، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، هؤلاء كما جاء في التفسير هم العزيز وعيسى وأمه عَلَيْهِمُ السَّلَام^(١)، الذين كان يعبدهم المشركون، هم عباد يرجون رحمة الله ويخافون عذابه، فكيف يُعبدون مع الله؟!

ومن عبد الله بالرجاء فقط، فهو من المرجئة، الذين يعتمدون على الرجاء، ولا يخافون من الذنوب والمعاصي، يقولون: «الإيمان تصديق في القلب»، أو «التصديق بالقلب مع النطق باللسان»، ويقولون: «الأعمال إنما هي مكملات»، وهذا ضلال -والعياذ بالله-؛ لأن الإيمان قول وعمل واعتقاد، لا يكفي واحد من هذه الأمور، لا بد منها جميعًا، ليس قولًا فقط، ولا عملًا فقط، ولا اعتقادًا فقط، بل لا بد من هذه الأمور الثلاثة حتى يتحقق الإيمان.

ومن عبد الله بالخوف فقط، فهو على طريقة الخوارج، الذين يعبدون الله بالخوف؛ فيأخذون بنصوص الوعيد فقط، ويتركون نصوص الوعد والمغفرة والرحمة.

فهذه طوائف الغلاة: الصوفية، والمرجئة، والخوارج.

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤ / ٦٣٠)، وزاد المسير (٣ / ٣٢)، والقرطبي (١٠ / ٢٧٩)، وابن كثير (٥ / ٨٩).

أما طريق الحق، فهو الجمع بين هذه الأمور: المحبة والخوف والرجاء،
 هذا هو الإيمان، وهذه طريقة المؤمنين، وهذا هو التوحيد، وهذا ما جمعته هذه
 الآيات الثلاث ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، هذه فيها المحبة، ﴿الرَّحْمَنِ
 الرَّحِيمِ﴾، هذه فيها الرجاء ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، هذه فيها الخوف.



﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: هـ]؛ أَي: أَعْبُدُكَ - يَا رَبِّ - بِمَا مَضَى؛ بِهَذِهِ الثَّلَاثِ: بِمَحَبَّتِكَ، وَرَجَائِكَ، وَخَوْفِكَ.

فَهَذِهِ الثَّلَاثُ أَرْكَانُ الْعِبَادَةِ، وَصَرَفُهَا لِغَيْرِ اللَّهِ شِرْكٌ.

وَفِي هَذِهِ الثَّلَاثِ الرَّدُّ عَلَى مَنْ تَعَلَّقَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ؛ كَمَنْ تَعَلَّقَ بِالمَحَبَّةِ وَحَدَّهَا، أَوْ تَعَلَّقَ بِالرَّجَاءِ وَحَدَّهُ، أَوْ تَعَلَّقَ بِالْخَوْفِ وَحَدَّهُ، فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللَّهِ، فَهُوَ مُشْرِكٌ.

— الشَّرْحُ —

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؛ نَعْبُدُهُ هَذِهِ الثَّلَاثَةُ: المحبة والخوف والرجاء؛ لأنها لا تتحقق العبادة، إلا بها؛ أَي: بمجموع الثلاثة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَهَذِهِ الثَّلَاثُ أَرْكَانُ الْعِبَادَةِ، وَصَرَفُهَا لِغَيْرِ اللَّهِ شِرْكٌ)؛ أَي: مَنْ أَحَبَّ غَيْرَ اللَّهِ، فَهُوَ مُشْرِكٌ، مَنْ رَجَا غَيْرَ اللَّهِ، فَهُوَ مُشْرِكٌ، مَنْ خَافَ غَيْرَ اللَّهِ، فَهُوَ مُشْرِكٌ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (كَمَنْ تَعَلَّقَ بِالمَحَبَّةِ وَحَدَّهَا)، وَهُمْ الصُّوفِيَّةُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَوْ تَعَلَّقَ بِالرَّجَاءِ وَحَدَّهُ)، وَهُمْ المَرْجِئَةُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَوْ تَعَلَّقَ بِالْخَوْفِ وَحَدَّهُ)، وَهُمْ الخَوَارِجُ والوَعِيدِيَّةُ، يسمون الوعيدية؛ لأنهم أخذوا نصوص الوعيد.



وَفِيهَا مِنَ الْفَوَائِدِ: الرَّدُّ عَلَى الثَّلَاثِ الطَّوَائِفِ، الَّتِي كُلُّ طَائِفَةٍ تَتَعَلَّقُ بِوَاحِدَةٍ مِنْهَا؛ كَمَنْ عَبْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِالْمَحَبَّةِ وَحْدَهَا، وَكَذَلِكَ مَنْ عَبْدَ اللَّهِ بِالرَّجَاءِ وَحْدَهُ كَالْمُرْجِيَّةِ، وَكَذَلِكَ مَنْ عَبْدَ اللَّهِ بِالْخَوْفِ وَحْدَهُ كَالْخَوَارِجِ.

— الشرح —

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (مَنْ عَبْدَ اللَّهِ بِالرَّجَاءِ وَحْدَهُ كَالْمُرْجِيَّةِ)، والمرجئة سموا مرجئة؛ لأنهم أخرجوا الأعمال؛ أي: أخرجوها عن مسمى الإيمان؛ لأن الإرجاء معناه التأخير: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الأعراف: ١١١]؛ يعني: أخر شأنه، وانظر فيه، فالإرجاء معناه: التأخير، سموا مرجئة؛ لأنهم أخرجوا الأعمال عن حقيقة الإيمان، وأخرجوها من حقيقة الإيمان.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (مَنْ عَبْدَ اللَّهِ بِالْخَوْفِ وَحْدَهُ كَالْخَوَارِجِ)، الخوارج هم الذين خرجوا على ولادة المسلمين، وكفروهم، وهم يعتمدون على نصوص الوعيد، ويكفرون بالكبائر التي دون الشرك، ويقولون: «من مات عليها، فهو مخلد في النار».



﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] فِيهَا تَوْحِيدُ الْأُلُوْهِيَّةِ وَتَوْحِيدُ
الرُّبُوبِيَّةِ؛ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فِيهَا تَوْحِيدُ الْأُلُوْهِيَّةِ، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فِيهَا
تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ.

— ❖ الشَّرْحُ ❖ —

قوله رَحِمَهُ اللهُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فِيهَا تَوْحِيدُ الْأُلُوْهِيَّةِ، وهو إفراد الله
بأفعال العباد التي شرعها لهم؛ لأن الألوهية معناها: العبادة^(١)، والعبادة من
أفعال العباد.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فِيهَا تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ؛ لأن الإعانة
من أفعال الرب سبحانه، وتوحيد الربوبية هو توحيد الله بأفعاله.



(١) سبق بيان معنى الألوهية (ص ٩٦).

﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦] فِيهَا الرُّدُّ عَلَى الْمُتَبَدِّعِينَ.

— ❦ الشَّرْحُ ❦ —

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ فِيهَا الرُّدُّ عَلَى الْمُتَبَدِّعِينَ):

الهداية على نوعين^(١): هداية دلالة وإرشاد، ودلالة توفيق وتسديد. ودلالة الهداية والإرشاد هذه حاصلة لجميع الخلق -المؤمنين والكفار والمشركين-؛ لأن الله دلهم، وأرشدهم إلى طريق الحق، لكن الكفار لم يقبلوا ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧]؛ هديناهم يعني: بينا لهم، فالله هدى جميع الخلق هداية البيان والإرشاد.

النوع الثاني: هداية التوفيق وقبول الحق، وهذه خاصة بالمؤمنين، فأنت تسأل الله نوعي الهداية.

والمستقيم: يعني المعتدل، وصراط الله مستقيم يعني: معتدل، بخلاف طرق الضلال؛ فإنها ملتوية ومنحرفة ومتعرجة، تُضَيِّعُ من سار عليها، أما صراط الله، فهو واضح معتدل، من سار عليه، أفضى به إلى الجنة: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فأنت تسأل الله أن يهديك هذا الصراط.



(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (ص ٥٣٨)، وبدائع الفوائد (٢/ ٣٥-٣٧)، ومدارج السالكين (١/ ٣٢-٣٣)، وتفسير الطبري (١/ ١٦٧-١٦٩)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٣٧).

وَأَمَّا الْآيَاتَانِ الْآخِرَتَانِ، فَفِيهِمَا مِنَ الْفَوَائِدِ: ذِكْرُ أَحْوَالِ النَّاسِ؛ قَسَمُهُمُ
 اللَّهُ تَعَالَى ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ: مُنْعَمٌ عَلَيْهِ، وَمَغْضُوبٌ عَلَيْهِ، وَضَالٌّ.

— ❦ الشَّرْحُ ❦ —

الناس إما منعم عليهم، وإما مغضوب عليهم، وإما ضالون.
 فالمنعم عليهم: هم الذين أخذوا العلم والعمل.
 والمغضوب عليهم: هم الذين أخذوا العلم، وتركوا العمل.
 والضالون: هم الذين أخذوا العمل، وتركوا العلم.
 أنت تسأل الله أن يجعلك مع المنعم عليهم، وأن يجنبك طريق المغضوب
 عليهم، وطريق الضالين.
 وهذه سورة عظيمة، ولذلك فرضها الله عليك في كل ركعة، لماذا؟
 لأجل ما فيها من هذه الأسرار.



فَالْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ أَهْلُ عِلْمٍ لَيْسَ مَعَهُمْ عَمَلٌ.
وَالضَّالُّونَ أَهْلُ عِبَادَةٍ لَيْسَ مَعَهَا عِلْمٌ.

— ❖ — الشَّرْحُ — ❖ —

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَالْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ أَهْلُ عِلْمٍ لَيْسَ مَعَهُمْ عَمَلٌ)، وهم اليهود، ومن سار معهم في هذا المضمار من هذه الأمة، الذين تعلموا، ولم يعملوا بعلمهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالضَّالُّونَ أَهْلُ عِبَادَةٍ لَيْسَ مَعَهَا عِلْمٌ)، منهم الصوفية المبتدعة والمخرفون، كلهم يدخلون في الضالين؛ لأنهم يشتغلون بالعبادة، ويتركون العلم، يقولون: العلم يشغلك عن العمل.



وَإِنْ كَانَ سَبَبُ النُّزُولِ فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَهِيَ لِكُلِّ مَنْ اتَّصَفَ
بِذَلِكَ.

الثَّالِثُ: مَنْ اتَّصَفَ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَهُمْ الْمُنْعَمُ عَلَيْهِمْ.

— ❖ الشَّرْحُ ❖ —

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَإِنْ كَانَ سَبَبُ النُّزُولِ فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَهِيَ لِكُلِّ
مَنْ اتَّصَفَ بِذَلِكَ)، إِنْ كَانَ سَبَبُ نَزُولِ ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ فِي الْيَهُودِ،
و﴿الضَّالِّينَ﴾ فِي النَّصَارَى، فَالْعِبْرَةُ بَعْمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ^(١)،
وَلِهَذَا يَقُولُ بَعْضُ السَّلَفِ: (مَنْ فَسَدَ مِنْ عُلَمَائِنَا، فَفِيهِ شَبَهُ مِنْ الْيَهُودِ، وَمَنْ
فَسَدَ مِنْ عِبَادِنَا، فَفِيهِ شَبَهُ مِنَ النَّصَارَى)^(٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّالِثُ: مَنْ اتَّصَفَ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَهُمْ الْمُنْعَمُ عَلَيْهِمْ)،
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ
النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾
[النساء: ٦٩]، هَؤُلَاءِ هُمُ الْمُنْعَمُ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا أُرِدْتَ أَنْ تَكُونَ مَعَهُمْ، فَاجْمَعْ بَيْنَ
الْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.



(١) انظر: المحصول للرازي (٣/ ١٢٥)، والفروق للقرافي (١/ ١١٤)، والأشباه والنظائر
للسبكي (٢/ ١٣٤).

(٢) سبق (ص ١٩٠).

وَفِيهَا مِنَ الْفَوَائِدِ: التَّبَرُّؤُ مِنْ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ؛ لِأَنَّهُ مُنْعَمٌ عَلَيْهِ.
وَكَذَلِكَ فِيهَا: مَعْرِفَةُ اللَّهِ عَلَى التَّامِّ، وَنَفْيُ النَّقَائِصِ عَنْهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.
وَفِيهَا: مَعْرِفَةُ الْإِنْسَانِ رَبَّهُ، وَمَعْرِفَةُ نَفْسِهِ.

— الشرح —

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَفِيهَا مِنَ الْفَوَائِدِ: التَّبَرُّؤُ مِنْ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ؛ لِأَنَّهُ مُنْعَمٌ عَلَيْهِ)، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، وقوله: ﴿أَهْدِنَا﴾؛ لأن هذا فضل من الله، ليس بحولك ولا بقوتك، توفيقك للعمل النافع، وتوفيقك للعمل بالعلم هذا من الله، لو شاء ربك، لكنك مع المغضوب عليهم أو من الضالين، فالذي أنعم عليك، وأخرجك من الطائفتين، وجعلك مع الأنبياء والصديقين والشهداء هو الله جَلَّ وَعَلَا، هذا ليس بحولك ولا بقوتك، وإنما بفضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فأنت تُعَلِّقُ قَلْبَكَ بِاللَّهِ، وتبرأ من الحول والقوة إلا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ^(١):

لَوْ شَاءَ رَبُّكَ كُنْتَ أَيْضًا مِثْلَهُمْ فَالْقَلْبُ بَيْنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ^(٢)

(١) انظر: النونية وشرحها لابن عيسى (١/ ١٣١).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم - كِتَابُ الْقَدْرِ - بَابُ تَصْرِيفِ اللَّهِ تَعَالَى الْقُلُوبَ كَيْفَ شَاءَ (١٧) (٢٦٥٤): «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَكَذَلِكَ فِيهَا: مَعْرِفَةُ اللَّهِ عَلَى التَّامِّ، وَنَفْيُ النَّقَائِصِ عَنْهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى)، هذه السورة إذا تأملتها، وتدبرتها، عرفت الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى على التَّامِّ، بأسمائه وصفاته ونعمه عليك، فيزيدك هذا إيماناً و يقيناً.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَفِيهَا: مَعْرِفَةُ الْإِنْسَانِ رَبَّهُ، وَمَعْرِفَةُ نَفْسِهِ)، ومعرفة نفسك أنك ضعيف، وأنت محتاج إلى الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، ولهذا تقرأ هذه السورة، وتكررها في كل ركعة؛ لأنك بحاجة إليها؛ لأن فيها هذا الدعاء العظيم، الذي إذا تقبله الله منك، سعدت في الدنيا والآخرة، وإذا غفلت عنه، ولم تستعمله، فإنه لا ينفعك بشيء، فهذا مما يؤكد على العبد أن يتدبر القرآن، خصوصاً هذه السورة العظيمة، يقول ابن القيم^(١):

فَتَدَبَّرِ الْقُرْآنَ إِنْ رُمِتَ الْهُدَى فَاعْلَمْ تَحْتَ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ



(١) انظر: النونية وشرحها لابن عيسى (١/ ٣١٥).

فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ هُنَا رَبٌّ، فَلَا بُدَّ مِنْ مَرْبُوبٍ، وَإِذَا كَانَ هُنَا رَاحِمٌ، فَلَا بُدَّ مِنْ مَرْحُومٍ، وَإِذَا كَانَ هُنَا مَالِكٌ، فَلَا بُدَّ مِنْ مَمْلُوكٍ، وَإِذَا كَانَ هُنَا عَبْدٌ، فَلَا بُدَّ مِنْ مَعْبُودٍ، وَإِذَا كَانَ هُنَا هَادٍ، فَلَا بُدَّ مِنْ مَهْدِيٍّ.

— ❖ الشَّرْحُ ❖ —

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ هُنَا رَبٌّ، فَلَا بُدَّ مِنْ مَرْبُوبٍ)؛ ❖ رَبِّ الْعَالَمِينَ ❖ يدل على أنه لا بد من رب خالق، ومن مخلوق مربوب، مخلوق لرب العالمين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَإِذَا كَانَ هُنَا رَاحِمٌ، فَلَا بُدَّ مِنْ مَرْحُومٍ)؛ ❖ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ❖، إذا كان هنا راحم، فلا بد من مرحوم، وهو المخلوق، الراحم هو الله، والمرحوم هو المخلوق.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَإِذَا كَانَ هُنَا مَالِكٌ، فَلَا بُدَّ مِنْ مَمْلُوكٍ)؛ ❖ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ❖، إذا كان هنا مالك، فلا بد من مملوك، وهم العباد، وجميع المخلوقات.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَإِذَا كَانَ هُنَا عَبْدٌ، فَلَا بُدَّ مِنْ مَعْبُودٍ)، إذا كان هنا عبد، لابد أن يكون هناك معبود، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَإِذَا كَانَ هُنَا هَادٍ، فَلَا بُدَّ مِنْ مَهْدِيٍّ)؛ ❖ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ ❖، إذا كان هناك هاد، وهو الله، فهناك مهدي، وهو العبد.



وَإِذَا كَانَ هُنَا مُنْعَمٌ، فَلَا بُدَّ مِنْ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ، وَإِذَا كَانَ هُنَا مَغْضُوبٌ عَلَيْهِ،
فَلَا بُدَّ مِنْ غَاضِبٍ، وَإِذَا كَانَ هُنَا ضَالٌّ، فَلَا بُدَّ مِنْ مُضِلٍّ.

فَهَذِهِ السُّورَةُ تَضَمَّنَتْ الْأُلُوْهِيَّةَ وَالرُّبُوبِيَّةَ وَنَفْيَ النِّقَاطِصِ عَنِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ،
وَتَضَمَّنَتْ مَعْرِفَةَ الْعِبَادَةِ وَأَرْكَانَهَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

— ❖ الشَّرْحُ ❖ —

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَإِذَا كَانَ هُنَا مُنْعَمٌ، فَلَا بُدَّ مِنْ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ)؛ ❖ أُنْشِئَتْ
عَلَيْهِمْ ❖، هذا فيه أن هناك مُنْعَمٌ؛ فلا بد أن يكون هناك مُنْعَمٌ عليه، وهم جميع
العباد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَإِذَا كَانَ هُنَا مَغْضُوبٌ عَلَيْهِ، فَلَا بُدَّ مِنْ غَاضِبٍ)؛ ❖ غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ❖، وهم اليهود ومن سار في ركبهم؛ ممن تعلموا، ولم يعملوا،
لا بد أن يكون هناك غاضب، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والغضب من صفاته،
فهو يغضب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويسخط، ويمقت، والمغضوب عليه والممقوت
والمسخوط عليه هو المخلوق العاصي المخالف لأوامر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَهَذِهِ السُّورَةُ تَضَمَّنَتْ الْأُلُوْهِيَّةَ وَالرُّبُوبِيَّةَ وَنَفْيَ النِّقَاطِصِ
عَنِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ)؛ كما سبق أن فيها أنواع التوحيد الثلاثة، التي هي: الربوبية،
والألوهية، والأسماء والصفات. ونفي النقائص والعيوب عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،
وهذا هو التوحيد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَتَضَمَّنَتْ مَعْرِفَةَ الْعِبَادَةِ وَأَزْكَانَهَا)، وفيها المحبة مع التذلل والرجاء والخوف، فهذه أركان العبادة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَاللَّهُ أَعْلَمُ)، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وجزاه الله خيرًا على ما بيّن ووضح.



نواقض الإسلام

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:
اعْلَمْ أَنَّ نَوَاقِضَ الْإِسْلَامِ عَشْرَةٌ نَوَاقِضٌ.

• الشَّرْحُ •

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: (اعْلَمْ)؛ يعني: تعلم وافهم، وهذه الكلمة يؤتى بها للأهمية والتنبيه على أهمية ما بعدها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَنَّ نَوَاقِضَ الْإِسْلَامِ عَشْرَةٌ نَوَاقِضٌ)، النواقض: جمع ناقض، وهي المبطلات؛ مثل: نواقض الوضوء؛ أي: مبطلاته، تسمى بالنواقض^(١)، وتسمى بأسباب الردة أو أنواع الردة، ومعرفتها مهمة جدًا للمسلم؛ من أجل أن يتجنبها، ويحذر منها؛ لأن المسلم إذا لم يعرفها، فإنه يُحْشَى أن يقع في شيء منها، وهي من الخطورة والأهمية بمكان؛ لأنها نواقض الإسلام ومبطلاته، ومعرفة أسباب الردة عن الإسلام مهمة جدًا، والردة عن الإسلام معناها: الرجوع عن الإسلام؛ من ارتد، إذا رجع^(٢)، قال تَعَالَى: ﴿وَلَا تَرْدُّوْا عَلَىٰ أَذْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ

(١) انظر مادة (نقض) في: العين (٥/٥٠)، وتهذيب اللغة (٨/٢٦٩)، والصحاح (٣/١١١٠)، ومقاييس اللغة (٥/٤٧٠)، ولسان العرب (٧/٢٤٢).

(٢) انظر مادة (ردّ) في: العين (٨/٧)، وتهذيب اللغة (١٤/٤٦)، والصحاح (٢/٤٧٣)، ومقاييس اللغة (٢/٣٨٦)، ولسان العرب (٣/١٧٢).

يَرْتَدُّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿البقرة: ٢١٧﴾، وهذا تحذير شديد من الله للمؤمنين: ﴿وَمَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾، ولم يتب قبل الموت، ويرجع إلى الإسلام، فقد ﴿حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ﴾؛ أي: بطلت ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥]، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾؛ يرجع عن دينه، ففي هذه الآيات التحذير من الردة والوعيد عليها.

وأما الأحاديث، فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِإِخْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيْبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمَفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»^(١)، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»^(٢)، فإن كان المرتدون جماعة لهم شوكة، فإنهم يُقاتلون؛ كما قاتل أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المرتدين، حتى أخضعهم للإسلام، وقُتل من قُتل منهم على رده، وتاب من تاب منهم، فقاتلهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ محققاً بذلك قوله تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ

(١) أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠١٧، ٦٩٢٢)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴿[المائدة: ٥٤]﴾، قال العلماء: هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، الذين قاتلوا المرتدين؛ لأنه يُخْبِرُ تَعَالَى عن المستقبل: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ﴾ هذا في المستقبل، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ﴾، جاء الله بأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقاتلوا المرتدين^(١).

وإن كان المرتد شخصًا واحدًا، فإنه يؤخذ، ويُستتاب، فإن تاب، وإلا قتل، وليس هو مثل الكافر الأصلي؛ لأن المرتد عرف الحق، ودخل في دين الله باختياره وطوعه، واعترف أن الإسلام هو الحق، فإذا ارتد، فهذا تلاعب منه بالدين؛ لأنه عرف الحق، ودخل فيه، فإذا ارتد، فإنه يُقتل؛ حماية للعقيدة، وهذا من حفظ الضروريات الخمس؛ أولها الدين، فلا يُترك الدين ألعوبة لمن يسلم ثم يرتد، بل يُقتل؛ حماية للعقيدة من التلاعب.

ومن المرتدين من يُقتل بدون استتابة، وهو من تغلظت رذته، فإنه يُقتل، ولا يُستتاب؛ حماية للدين، وحماية لأول الضروريات الخمس التي جاء الإسلام بحفظها.

ودراسة هذه النواقض مهمة جدًا، والعلماء صنفوا فيها مصنفات، وجعلوا لها مكانًا خاصًا في كتب الفقه، وهو (حكم المرتد)، في كل كتاب من كتب الفقه يجعلون كتابًا يسمونه (كتاب حكم المرتد) أو (باب حكم المرتد)؛ في المطولات، وفي المختصرات، قالوا: والمرتد هو الذي يكفر بعد إسلامه؛

(١) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٥١٨ - ٥٢٠)، وزاد المسير (١/ ٥٥٩)، والقرطبي (٦/ ٢١٩)، وابن كثير (٣/ ١٣٥).

إما لا اعتقاد بقلبه، أو شك يحصل له في أمور الدين، أو فعل؛ كأن يسجد لغير الله، أو يذبح لغير الله، أو ينذر لغير الله، هذا فعل، من فعله، فقد ارتد، أو قول بأن يتكلم بسبب الله، أو سبب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو سبب دين الإسلام: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٦٥) لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿[التوبة: ٦٥-٦٦]، فالردة تكون بالقول، وتكون بالفعل، وتكون بالاعتقاد، وتكون بالشك في شيء من أمور الدين؛ كمن شك في وجوب الصلاة، أو شك في وجوب الزكاة، أو شك في التوحيد، فإنه يُكفر^(١).

والشك هو: التردد بين أمرين^(٢).

وأنواع الردة كثيرة، والشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر في هذه الرسالة أهمها وأعظمها، وإلا فالنواقض كثيرة، وستجدونها في كتب الفقه في باب حكم المرتد، وللشيخ عبد الله بن محمد رَحِمَهُ اللَّهُ رسالة اسمها (الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة)، وهي مطبوعة في (الدرر السنية) وغيرها.

والآن لما فشا الجهل، واشتدت غربة الدين، ظهر ناس من الذين يتسمون بالعلم، ويقولون: «لا تكفروا الناس، يكفي اسم الإسلام، يكفي أنه يقول: أنا مسلم، ولو فعل ما فعل؛ لو ذبح لغير الله، لو سب الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لو فعل ما فعل، ما دام أنه يقول: أنا مسلم، فلا تكفروه»، وعلى هذا يدخل في التسمي بالإسلام الباطنية والقرامطة، ويدخل فيه القبوريون،

(١) انظر: الكافي (١/ ٩١)، والمحرم (٢/ ١٦٧)، والمبدع (٩/ ١٧٠)، ومنهاج الطالبين (ص ١٣١).

(٢) انظر: التحقيق والبيان في شرح البرهان في أصول الفقه (٣/ ٧٠٦)، والبحر المحيط في التفسير (١/ ٤٤٥)، وتحفة المحتاج (٢/ ١٨٧)، وشرح منتهى الإرادات (٣/ ١٤٢).

ويدخل فيه الروافض، ويدخل فيه القاديانية، ويدخل فيه كل من يدعي الإسلام، يقولون: «لا تكفروا أحدًا، ولو فعل ما فعل، أو اعتقد ما اعتقد، لا تفرقوا بين المسلمين»، سبحانه الله! نحن لا نفرق بين المسلمين، ولكن هؤلاء ليسوا مسلمين؛ لأنهم لما ارتكبوا نواقض الإسلام، خرجوا من الإسلام، فكلمة «لا تفرقوا بين المسلمين» كلمة حق، والمراد بها باطل؛ لأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لما ارتد من العرب بعد وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قاتلوهم، ما قالوا: «لا تفرقوا بين المسلمين»؛ لأنهم ليسوا مسلمين، ما داموا على الردة، وهذا أشد من أنك تحكم لكافر بالإسلام، وسيأتيكم أن من الردة من لم يكفر الكافر، أو شك في كفره، فهذه المسألة، وهي من لم يكفر الكافر، أو شك في كفره، فهو كافر مثله، وهؤلاء يقولون: «لا تكفروا أحدًا، ولو فعل ما فعل، ما دام أنه يقول: لا إله إلا الله، أنتم واجهوا الملاحدة، واتركوا هؤلاء الذين يدعون الإسلام»، نقول لهم: هؤلاء أخطر من الملاحدة؛ لأن الملاحدة ما ادعوا الإسلام، ولا ادعوا أن الذي هم عليه إسلام، أما هؤلاء، فيخدعون الناس، ويدعون أن الكفر هو الإسلام، فهؤلاء أشد من الملاحدة، فالردة أشد من الإلحاد -والعياذ بالله-، فيجب أن نعرف موقفنا من هذه الأمور، ونميزها، ونتبينها؛ لأننا الآن في تعمية، فهناك ناس يؤلفون، ويكتبون، ويتقدون، ومحاضرون، ويقولون: «لا تكفروا المسلمين»، ونقول: نحن نكفر من خرج عن الإسلام، أما المسلم، فلا يجوز تكفيره.



الأوّل: الشُّرْكُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وَقَالَ: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

— الشَّرْحُ —

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الأوّل: الشُّرْكُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ)، أعظم أنواع الردة الشرك في عبادة الله، بأن يعبد مع الله غيره؛ كأن يذبح لغير الله، أو ينذر لغير الله، أو يسجد لغير الله، أو يستغيث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، هذا أعظم أنواع الردة، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا لَئْلًا﴾ [النساء: ١١٦]، فالشرك هو أخطر أنواع الردة، وهو أن يعبد غير الله بأي نوع من أنواع العبادات؛ بالدعاء، بالذبح، بالنذر، بالاستغاثة، بالاستعانة فيما لا يقدر عليه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يدعو الموتى، يستغيث بالقبور، يستنجد بالأموات، هذا هو أخطر أنواع الردة وأعظمها، وهذا عليه كثير ممن يدعون الإسلام، يبنون الأضرحة، ويطوفون بها، ويذبحون لها، وينذرون لها، ويتقربون إليها؛ يقولون: لأنها تقربهم إلى الله، هم يتقربون لها، وهي بزعمهم تقربهم إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لماذا لم يتقربوا إلى الله من الأصل، ويتركوا هذه المتاهات؟! ليتقربوا إلى الله؛ فإنه قريب مجيب.

لماذا تتقربون للمخلوقين، وتقولون: «المخلوقون يقربوننا إلى الله؟»! هل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَعِيدٌ؟! هل الله أغلق أبوابه؟! هل الله لا يعلم، ولا يسمع خلقه ما يقولون، ولا يرى ما يفعلون؟! الله جَلَّ وَعَلَا قريب مجيب: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، إنه قريب مجيب، لماذا تذهب وتدعو غير الله، وتقول: هذا يقربني إلى الله؟! ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]؛ يعني: كأن الله لا يعلم، ولا يدري، هكذا زين شياطين الجن والإنس لهؤلاء، وهم يدعون الإسلام، ويشهدون أن لا إله إلا الله، ويصلون ويصومون، ولكن يخلطون أعمالهم بالشرك الأكبر، فيخرجون من دين الإسلام، وهم يصلون، ويصومون، ويحجون، والذي يراهم يظن أنهم مسلمون، فينبغي معرفة هذا؛ فالشرك بالله عَزَّجَلَّ هو أخطر الذنوب، وأعظم الذنوب، ومع خطره وشره وقع فيه كثير ممن يدعون الإسلام، ولا يسمونه باسم الشرك؛ يسمونه التوسل، أو يسمونه طلب الشفاعة، أو يسمونه بأسماء غير الشرك، ولكن الأسماء لا تغير الحقائق، الشرك هو الشرك، وهذا أخطر الأنواع، وأكثر الأنواع وقوعاً، مع أنه ظاهر في كتاب الله، وفي سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظاهر، المنادة والتحذير منه والتوعد عليه ظاهر، لا تخلو سورة من القرآن من التحذير من الشرك، ومع هذا يقرؤون القرآن، ولا يتجنبون الشرك، وربما يأتي واحد، ويقول: «هؤلاء جهال معذورون بالجهل»، فنقول: إلى متى الجهل، والقرآن يُتلى، وهم يحفظون القرآن، ويقرؤونه، لقد قامت

عليهم الحجة ببلوغ القرآن: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، كل من بلغه القرآن، فقد قامت عليه الحجة، ولا عذر له.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾)، هذا يدل على أن الشرك هو أعظم الذنوب، بحيث أن الله لا يغفر لصاحبه، إلا إذا تاب منه، (﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾)؛ ما دون الشرك؛ كالزنا، وشرب الخمر، والسرقه، وأكل الربا، هذه كلها دون الشرك، وهي داخلة تحت المشيئة، وأصحابها أصحاب كبائر، وهم فاسق، ولكنهم لم يقعوا في الشرك، وإنما وقعوا في الكبائر، فهي تنقص إيمانهم، ويحكم عليهم بالفسق، ولو ماتوا، ولم يتوبوا، فإنهم تحت المشيئة؛ إن شاء الله، غفر لهم بما معهم من التوحيد، وإن شاء عذبهم بذنوبهم، ثم مآلهم إلى الجنة بالتوحيد الذي معهم، هذا مآل أصحاب الكبائر التي دون الشرك، وقوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ دل على أن جميع الذنوب كلها دون الشرك، وأن الشرك هو أعظمها وأخطرها، فدل على خطورة الشرك، وأنه أعظم الذنوب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَالَ: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾)، هذه عاقبته في الآخرة؛ أنه حرم عليه الجنة؛ يعني: منعه من دخولها منعاً باتاً مطلقاً، لا مطمع له فيها، أين يذهب؟! إذا لم يكن من أهل الجنة، فأين يذهب؟! يصير عدماً؟ لا، مأواه النار خالداً مخلداً فيها: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾؛ يعني: المشركين؛ لأن الشرك ظلم، وهو أعظم الظلم، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾، ما أحد يستطيع أن يخرجهم من النار، أو يشفع لهم عند الله؛ كما يشفع

لأصحاب الكبائر، ويخرجون من النار بالشفاعة، هؤلاء لا تنفعهم شفاعـة الشافعين، ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ﴾؛ المشركين، ﴿مَنْ حَمِيْرٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، المشرك لا تُقبل فيه شفاعـة -والعياذ بالله-، ﴿وَمَا أَوْلَهُ النَّارُ﴾، مأواه: يعني مقره، وبُئِست المأوى، ليس له مأوى غيرها أبد الآباد، فذنب هذا خطره وهذه عاقبته هل يجوز تجاهله وعدم معرفته وعدم التحذير منه؟! ويُقال: «اتركوا الناس، اتركوا القبوريين وعباد الأضرحة، كل من عنده ردة اتركوه، ما دام أنه يدعي الإسلام، فهو مسلم، وواجهوا الملاحدة»، نقول: هؤلاء أشد من الملاحدة وأخطر من الملاحدة.



وَمِنْهُ الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللَّهِ؛ كَمَنْ يَذْبَحُ لِلْجِنِّ أَوْ لِلْقَبْرِ.

• الشَّرْحُ •

الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر هذا المثال؛ لأنه واقع، ويتساهل الناس فيه، ويذبحون لغير الله، يذبحون للجن؛ اتقاءً لشركهم، ويذبحون لهم؛ من أجل العلاج والشفاء، يتساهل الناس في هذا، وهو كثير الوقوع، مع أنه شرك أكبر، يُخرج من الملة، وليس بسهل، يقول له الشيطان: «اذبح خروفاً، اذبح دجاجة»، هذا سهل، ولكن لا ينظر إلى الشرك، فالذي ذبح ذبابةً^(١) دخل النار، ليس النظر إلى المذبح، وإنما النظر إلى العقيدة، النظر إلى نية القلب، النظر إلى عدم المبالاة بالشرك، ليس النظر إلى قيمة المذبح، فالذي ذبح ذبابةً دخل النار، الناس يتساهلون في هذا؛ من أجل أن يقضي حاجته، أو يعلمه الشيء الغائب، أو يخبره عن المال المفقود، أو غير ذلك من الأمور، التي يسألها عنها، فيخرج من دينه -والعياذ بالله-، ويرتد في شيء يظنه أنه سهل، فالأمر خطير جداً.

(١) كما في الحديث الموقوف على سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/٤٧٣)، والإمام أحمد في كتاب الزهد (ص ١٧)، وأبو نعيم في الحلية (١/٢٠٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩/٤٥٧): عَنْ طَارِقِ بْنِ شَهَابٍ، قَالَ: قَالَ سَلْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ رَجُلٌ النَّارِ فِي ذُبَابٍ، قَالُوا: وَمَا الذُّبَابُ؟ قَرَأَى ذُبَابًا عَلَى ثَوْبِ إِنْسَانٍ، فَقَالَ: هَذَا الذُّبَابُ، قَالُوا: وَكَيْفَ ذَاكَ؟ قَالَ: مَرَّ رَجُلَانِ مُسْلِمَانِ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى صَنْمٍ لَهُمْ، فَقَالُوا لَهُمَا: قَرِّبَا لَصْنَمِنَا قُرْبَانًا قَالَا: لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، قَالُوا: قَرِّبَا مَا شِئْتُمَا وَلَوْ ذُبَابًا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا تَرَى؟ قَالَ أَحَدُهُمَا: لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، فَقَتِلَ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ الْآخَرُ: يَبْدِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَأَخَذَ ذُبَابًا فَأَلْقَاهُ عَلَى الصَّنَمِ فَدَخَلَ النَّارَ».

الثَّانِي: مَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ وَسَائِطَ يَدْعُوهُمْ وَيَسْأَلُهُمُ الشَّفَاعَةَ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِمْ، كَفَرَ إجماعًا.

❖ الشَّرْحُ ❖

هذا نوع من الناقض الأول، وهو الذي يجعل بينه وبين الله وسائط، ولكن الشيخ أفرد، وجعله نوعًا مستقلًا؛ لكثرة وقوعه؛ لأن هذا يقع ممن يدَّعون الإسلام، وهذا كثير عند القبوريين، يتقربون إلى الولي ليشفع لهم عند الله، أو يوصل حوائجهم عند الله -بزعمهم-، هذا اتخاذ الوسائل من دون الله عَزَّوَجَلَّ؛ يذبح لهم، وينذر لهم، ويستغيث بهم، ويقول: «ليس بشرك، هذا إنما هو توسط، طلب واسطة وشفاعة توصلني إلى الله، هذا رجل صالح له مكانة عند الله، فأنا أتقرب إليه من أجل أن يقربني إلى الله»، هذه حجته، وهي حجة المشركين الأولين: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، يقولون: «ما جعلناهم شركاء لله، ولكن جعلناهم وسائط يقربوننا»، والله سماه شركًا: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]، فسماه شركًا، مع أنهم يسمونه تشفعًا، وهذا هو الواقع؛ أن كثيرًا ممن يدعون الإسلام، وما يفعلونه مع القبور الآن، يتخذونها وسائط بينهم وبين الله، فهذه المسألة خفيت على كثير حتى من طلبة العلم، وهناك علماء يدافعون عن هؤلاء، ويقولون: «هذا ليس بشرك؛ الشرك عبادة

الأصنام، وهؤلاء ما يعبدون أصنامًا»، يا سبحان الله! عبادة الأصنام نوع من أنواع الشرك، الشرك هو عبادة غير الله، سواء كان صنمًا، أو شجرًا، أو حجرًا، أو قبرًا، أو وليًا، أو ملكًا من الملائكة، أو وليًا من الأولياء، أو صالحًا من الصالحين، هذا هو الشرك، وليس الشرك عبادة الأصنام فقط.



الثَّالِثُ: مَنْ لَمْ يُكْفَرْ الْمُشْرِكِينَ، أَوْ شَكَّ فِي كُفْرِهِمْ، أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ، كَفَرَ.

— الشَّرْحُ —

وهذه المسألة خطيرة جداً، يقع فيها كثير من المنتسبين للإسلام؛ من لم يكفر المشركين، يقول: «أنا والحمد لله ما عندي شرك، ولا أشرك بالله، ولكن الناس لا أكفرهم»، نقول له: أنت ما عرفت الدين، يجب أن تكفر من كفره الله، ومن أشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، وتبرأ منه؛ كما تبرأ إبراهيم من أبيه وقومه: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦١﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ)، وهذه أشد، إذا صحح مذهبهم، أو قال: «في الذي يعملونه نظر، هذا إنما هو اتخاذ وسائل»، أو يقول: «هؤلاء جهال، وقعوا في هذا الأمر عن جهل»، ويدافع عنهم، فهذا أشد كفراً منهم؛ لأنه صحح الكفر، وصحح الشرك، أو شكَّ، فنقول له: كونك مسلماً وتابعاً للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء بتكفير المشركين وقتالهم واستباحة أموالهم ودمائهم، وقال: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(١)، «بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»^(٢)، ﴿وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، فتنة: يعني شرك، ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

(١) سبق تخريجه (ص ٦٧).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤/ ٢١٢، ٦/ ٤٧١)، وأحمد في مسنده (٩/ ١٢٣، ١٢٦، ٤٧٨)، والطبراني في الشاميين (١/ ١٣٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤١٧).

الرَّابِعُ: مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ غَيْرَ هَذِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْمَلُ مِنْ هَذِيهِ،
وَأَنَّ حُكْمَ غَيْرِهِ أَحْسَنُ مِنْ حُكْمِهِ - كَالَّذِينَ يُفَضِّلُونَ حُكْمَ الطَّوَاعِيَةِ عَلَى
حُكْمِهِ -، فَهُوَ كَافِرٌ.

— الشَّرْحُ —

من أنواع الردة الحكم بغير ما أنزل الله، إذا اعتقد أن هذا أمر مباح،
وأنه يجوز أن يحكم بالشرعية، ويجوز أن يحكم بالقوانين، ويقول: «المقصود
حل النزاعات، وهذا يحصل بالقوانين، ويحصل بالشرعية، فالأمر متساوٍ»،
نقول: سبحان الله! تجعل حكم الطاغوت مثل حكم الله؟!، تحكيم شرع
الله هذا عبادة لله عَزَّوَجَلَّ، ليس القصد منه فقط حل النزاع، القصد منه العبادة
بتحكيم شرع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتحكيم غيره شرك، شرك في الطاعة وشرك في
الحكم؛ ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَوُا شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ﴾
[الشورى: ٢١]، ﴿وَإِن أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]، ﴿اتَّخَذُوا
أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ
وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ
عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، فسماه شركًا، فالذي يسوي بين حكم الله
وحكم الطاغوت، والطاغوت المراد به: كل حكم غير حكم الله؛ سواء عوائد
البادية، أو أنظمة الكفار، أو قوانين الفرنس أو الإنجليز، أو عادات القبائل،
كل هذا طاغوت، وكذا تحكيم الكهان، فالذي يقول: «إنهما سواء» كافر، وأشد
منه من يقول: «إن الحكم بغير ما أنزل الله أحسن من الحكم بما أنزل الله»،

هذا أشد، فالذي يقول: «الناس ما يصلح لهم اليوم إلا هذه الأنظمة، ما يصلح لهم الشرع، الشرع ما يطابق لهذا الزمان، ولا يساير الحضارة، ما يصلح إلا تحكيم القوانين، ومسايرة العالم، تكون محاكمنا مثل محاكم العالم، هذا أحسن من حكم الله»، هذا أشد كفرًا من الذي يقول: «إن حكم الله وحكم غيره متساويان».

أما إذا حكم بغير ما أنزل الله لهوى في نفسه، أو جهلاً بما أنزل الله، وهو يعتقد أن حكم الله هو الحق، وهو الواجب، فهذا فعل كبيرة من كبائر الذنوب، وذلك كفر دون كفر.



الخامس: مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلَوْ عَمِلَ بِهِ -، كَفَرَ.

❖ الشرح ❖

الخامس من نواقض الإسلام: (مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فبغض ما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ردة، ولو عمل به، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطُوا أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩]، الكراهة هي البغض، هذا ردة، ولو عمل به، فإنه يكفر، بغضه في القلب كفر، ولو كان يعمل به في الظاهر؛ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطُوا أَعْمَالَهُمْ﴾.



السَّادِسُ: مَنْ اسْتَهْزَأَ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ ثَوَابِ اللَّهِ، أَوْ عِقَابِهِ، كَفَرَ.

الشرح

السادس من أنواع الردة: الاستهزاء بها أنزل الله، أو بشيء مما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولو كان من السنن والمستحبات؛ كالسواك، وقص الشارب، وأخذ شعر الإبط، وتقليم الأظافر، إذا استهزأ به، صار كافراً، الدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٦٥) لَا تَعْنِدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿[التوبة: ٦٥-٦٦]، فالذي يستهزئ بشيء مما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فرضاً، أو واجباً، أو سنةً -، فإنه يكون مرتدّاً عن دين الإسلام، ما بالكم بالذي يقول: «إعفاء اللحية، وحف الشارب وأخذ الآباط، وغسل البراجم هذه قشور»؟! هذا هو الاستهزاء بدين الله عَزَّجَلَّ، إذا قالوا هذا الشيء، ولو كانوا هم يعملونه، فإنهم يرتدون عن الدين؛ لأن هذا تنقص لما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالواجب تعظيم سنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واحترامها، وحتى لو أن الإنسان وقع في شيء من المخالفة لهوى في نفسه، فإنه يحترم سنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يحترم السنن، ويحترم الأحاديث، ولا يقول: «هذه قشور».



وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ
وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ
كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

— الشرح —

سبب نزول الآية أن جماعة كانوا مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة تبوك،
وهم مسلمون، ثم في مجلس صاروا يقولون: «مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَائِنَا هَؤُلَاءِ أَرْغَبُ
بُطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسِنَةً، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللَّقَاءِ»؛ يعنون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكان في المجلس شاب من الصحابة، فاغتاظ من هذا
الكلام، وذهب يبلغ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما قاله القوم، فوجد الوحي قد
سبق، فجاء القوم يعتذرون، لما علموا أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اطلع على ما
دار في مجلسهم، وجاء واحد منهم، وتعلق بنسعة ناقة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
وهو راكب، وقال: يا رسول الله، إننا نتحدث حديث الركب، نقطع به
عنا السفر، ما قصدنا الاستهزاء، وإنما قصدنا المزح، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لا يلتفت إليه، وإنما يقرأ عليه هذه الآية ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ
تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾^(١)، لاحظ قوله:
﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، فدل على أنهم قبل هذه المقالة كانوا مؤمنين،
فلما قالوها، ارتدوا عن الإسلام، وهم يقولون: «هذا مزح»؛ لأن أمور الدين
لا يُمزح فيها، فقد كفرهم الله بعد إيمانهم -نسأل الله العافية!

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/٥٤٣)، وزاد المسير (٢/٢٧٥)، وابن كثير (٤/١٧١).

فهذا دليل على أن من سب الله، أو رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو كتابه، أو شيئاً من القرآن، أو شيئاً من سنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أنه يرتد عن الإسلام، وإن كان يمزح، وأين الذين يقولون: «إنه لا يرتد إلا إذا نوى من قلبه، فلو سب الله والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو القرآن، ما نحكم عليه، إلا إذا كان اعتقده، ما نحكم عليهم بمجرد التكلم أو التلفظ أو الفعل»؟! من أين أتوا بهذا الكلام وهذا القيد؟! الله حكم عليهم بالردة، وهم يقولون: «كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ»، هم مؤمنون بالله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، موحدون، ولكن لما قالوا هذه المقالة، الله جَلَّ وَعَلَا قال: ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، ولم يقل: «إن كنتم تعتقدون هذا» - نسأل الله العافية!

فيجب أن الأمور تنزل منازلها، ولا نتدخل فيها بزيادات، أو نقص، أو تقييدات من عند أنفسنا، الله ما سأل عن عقيدتهم، ما ذكر أنهم يعتقدون، بل حكم عليهم بالردة بعد الإيثار؛ ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، رتب هذا على القول، رتب هذا على الاستهزاء، ولم يقيد به هذه القيود، الإنسان إذا تكلم بكلمة الكفر وهو غير مكره، يُحكم عليه بالردة، أما إن كان مكرهاً، فهذا لا يرتد.



السَّابِعُ: السَّحْرُ - وَمِنْهُ: الصَّرْفُ وَالْعَطْفُ -، فَمَنْ فَعَلَهُ أَوْ رَضِيَ بِهِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُعْلِمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

— الشَّرْحُ —

النوع السابع من أنواع الردة: السحر، والسحر عمل يعمل به الساحر، وهو على نوعين: سحر حقيقي، وسحر تخيلي^(١).

النوع الأول: سحر حقيقي، هو عبارة عن عقد، ينفث فيها الساحر، ورقى؛ كلام يُتمم به، ويستعين بالشياطين في كلامه، وعزائم يعلقونها، وكتابات طلاس يكتبونها بأسماء الشياطين، هذا هو السحر الحقيقي، هذا يؤثر في المسحور؛ إما بقتله، وإما بأمراضه، وإما بالإخلال بعقله.

والنوع الثاني: تخيلي، بأن يعمل أشياء يُحِيل إلى الناس أنها صحيحة، وهي غير صحيحة، يُحِيل للناس أنه يقلب الحجر إلى حيوان، أو أنه يقتل شخصاً ويحييه، يقطع رأسه ثم يردّه، أو أنه يجز السيارة بشعره أو بأسنانه، أو أن السيارة تمشي عليه، ولا تضره، أو أنه يدخل في النار، أو يأكل النار، أو يطعن نفسه بالحديد، يطعن عينه بأسياخ الحديد، أو يأكل الزجاج، كل هذه من أنواع الشعوذة، وهي لا حقيقة لها؛ مثل: سحر سحرة فرعون، ﴿يُحِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُا سَعَى﴾ [طه: ٦٦]، وقال تعالى: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرَهُبُوهُمْ﴾ [الأعراف: ١١٦]، هذا سحر تخيلي، وهذا يسمونه القمرة، التي

(١) انظر: المغني (٢٨/٩)، والكافي في فقه الإمام أحمد (٤/١٦٤).

يعملها الساحر على أعين الناس، ثم إذا انتهت القمره، عادت الأشياء إلى حقيقتها.

والسحر كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، السحر تعلمه وتعليمه كفر بالله عز وجل، وهو نوع من أنواع الردة، فالساحر مرتد، إذا كان مؤمناً ثم سحر، فإنه يرتد عن دين الإسلام، ويُقتل، ولا يُستتاب عند بعض العلماء؛ لأنه حتى ولو تاب في الظاهر، فهو يخادع الناس، ولا يزول علم السحر من قلبه ولو تاب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾)، الله جَلَّ وَعَلَا أنزل ملكين من السماء يعلمان السحر؛ ابتلاءً للناس، وامتحاناً للناس، فإذا جاءهم من يريد تعلم السحر، نصحاها، وقالوا له: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾؛ يعني: لا تتعلم السحر، فدل على أن تعلم السحر كفر.



الثَّامِنُ: مُظَاهَرَةُ الْمُشْرِكِينَ وَمُعَاوَنَتُهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:
﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

• الشرح •

الثامن من أنواع الردة: مظاهرة المشركين على المسلمين؛ أي: معاونتهم، فالمظاهرة معناها: المعاونة؛ بأن تعين الكفار على قتال المسلمين وأذية المسلمين.

وكذلك من أحب الكفار، فإنه يكفر، وهذا هو التولي؛ ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾، يتولاهم بالمناصرة والمظاهرة، أو يتولاهم بالمحبة، فإنه يكفر؛ لأنه أحب الكفر، وأحب الكفار، فيكفر بذلك، إذا أحبهم معناه أنه لم ينكر الكفر، ومن لم ينكر الكفر، فهو كافر.

أول الآية ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾؛ أي: لا تتولاهم؛ لا بمظاهرة، ولا بمحبة، ولا بمعاونة ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ﴾؛ يعني: من المسلمين ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾؛ أي: يكون من اليهود والنصارى، وهذا دليل على رده، ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، فسماهم ظالمين.



التَّاسِعُ: مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسْعُهُ الْخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كَمَا وَسَّعَ الْخَضِرُ الْخُرُوجَ عَنْ شَرِيعَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَهُوَ كَافِرٌ.

الشرح

التاسع من أجاز لأحد أن يخرج عن شريعة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الله بعث محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الناس كافة، وأوجب طاعته على العالمين، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبا: ٢٨]، ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، فمن لم يستجب للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويتبع هذا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو كافر؛ سواء أكان يهودياً، أو نصرانياً، أو مجوسياً، أو أي ملة كان؛ لأنه ببعثته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوجب الله طاعته واتباعه، ومن كان على دين اليهودية والنصرانية، فإنه قد نُسخ ببعثته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يسع أحداً أن يخرج عن طاعته.

أما خروج الخضر عن طاعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يرسل إلى الخضر؛ لأن رسالة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ خاصة ببني إسرائيل، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَفْقَرُ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف: ٥]، فرسالة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لبني إسرائيل، ما هي عامة لجميع الناس، فلذلك الخضر كان على عبادة الله، واختلف العلماء في الخضر: هل هو نبي أو رجل صالح؟ على قولين:

القول الأول: إنه نبي؛ لأنه عمل أشياء لا تكون إلا معجزات؛ مثل: خرقه للسفينة، ومثل: ذبحه الولد، ومثل: إقامته الجدار الذي يريد أن ينقض، هذه أمور معجزة؛ لأنها مبنية على أشياء مغيبة، والمعجزات لا تكون إلا لنبي.

وأصل قصة موسى مع الخضر أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ خطب في بني إسرائيل، فسأله: هل هناك أعلم منه؟ فقال: لا. فأوحى الله إليه أن هناك عبدًا في أرض كذا وكذا عنده من العلم ما ليس عندك، فذهب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى هذا الرجل يطلب ذلك العلم، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠]، سافر ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا﴾ [الكهف: ٦١]، إلى آخره، ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَبَعَكَ عَلَى أَنْ تَعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿[الكهف: ٦٥-٦٦]، إلى آخر القصة التي ذكرها الله في سورة (الكهف)، هذا أصل القصة^(١).

فالخضر ما هو من أمة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يبعث إلى الناس كافة، فلذلك وسعه الخروج، أما محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه مبعوث إلى الناس كافة؛ فلا يسع أحدًا الخروج عن شريعته، وهذا فيه رد على الصوفية، الذين يزعمون أنهم يصلون إلى حالة ليسوا فيها بحاجة إلى اتباع الرسل، وأنهم يأخذون عن الله مباشرة، ولا يأخذون عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويقولون:

(١) قصة موسى والخضر عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أخرجها البخاري (٧٤، ٧٨، ١٢٢، ٣٤٠٠، ٣٤٠١، ٤٧٢٥، ٤٧٢٦، ٤٧٢٧، ٧٤٧٨)، ومسلم (٢٣٨٠)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

«إن الرسل إنما هم للعوام، أما الخواص، فلا يحتاجون إلى الرسل؛ لأنهم يعرفون الله، ويصلون إلى الله، ويأخذون عن الله مباشرة»، هذا ما عليه غلاة الصوفية؛ أنهم يصلون إلى حالة يستغنون عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويخرجون عن شريعته، ولذلك لا يصلون، ولا يصومون، ولا يحجون، ولا يعملون بما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنهم خواص، يقولون: «ما نحن بحاجة إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ نحن وصلنا إلى الله»، نسأل الله العافية!

هذا قصد الشيخ من ذكر هذه المسألة، هذا رد على الصوفية، الذين يزعمون أنهم يسعهم الخروج عن شريعة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنهم ليسوا بحاجة إليه.



الْعَاشِرُ: الإِعْرَاضُ عَنْ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَتَعَلَّمُهُ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ، وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

❖ الشَّرْحُ ❖

العاشر-وهو الأخير:- الإعراض عن دين الله؛ لا يهتم بالدين، لا يتعلم، ولو تعلم لا يعمل، يعرض عن العلم أولاً، ثم يعرض عن العمل -نسأل الله العافية-، وحتى لو عمل، وهو على غير علم، فعمله ضلال، فلا بد أن يتعلم أولاً، ثم يعمل، أما من أخذ العلم، وترك العمل، فهذا من المغضوب عليهم، ومن أخذ العمل، وترك العلم، فهذا ضال، وهذا ما نستعيذ منه في كل ركعة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ⑥ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿ [الفاتحة: ٦-٧]، فمن أعرض عن دين الله؛ لا يتعلمه، ولا يعمل به، فإنه يكون مرتدًّا عن دين الإسلام، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤]، ﴿أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾: لم يتعلمه، ولم يعمل به.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣]، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]، أعرض عنها بعد ما ذكَّر بها.

وهناك إنسان لا يتعلم من باب الكسل، وهذا لا يكفر، ولكنه يُلام على كسله، أما إذا كان ترك طلب العلم عدم رغبة في العلم، فهذا هو الإعراض -والعياذ بالله-، هذا هو الذي يكفر، ولكن إن كان المرء يرغب العلم، ويجب العلم، ولكنه عنده كسل؛ لأن طلب العلم صعب، يتطلب صبرًا وتحملًا، ويتطلب جلوسًا، وهو كسلان، فهذا يُلام على كسله وعلى تفريطه، ولكنه لا يصل إلى حد الكفر.

فالإعراض الذي يدل على عدم الرغبة في العلم أو كراهية العلم هذا هو الكفر -والعياذ بالله!



الْخَاتِمَةُ

وَلَا فَرْقَ فِي جَمِيعِ هَذِهِ النَّوَاقِصِ بَيْنَ الْهَازِلِ وَالْجَادِّ وَالْخَائِفِ إِلَّا الْمُكْرَهَ.
وَكُلُّهَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يَكُونُ خَطَرًا، وَأَكْثَرِ مَا يَكُونُ وَقُوعًا، فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ
يَحْذَرَهَا وَيَخَافَ مِنْهَا عَلَى نَفْسِهِ.

نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مُوجِبَاتِ غَضَبِهِ، وَأَلِيمِ عِقَابِهِ!
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم.

الشرح

لا فرق في هذه النواقص العشرة بين الجاد: الذي يقصد ما يقول أو
يفعل، والهازل: وهو الذي لا يقصد، وإنما يفعل هذا من باب المزح واللعب،
وفي هذا رد على هؤلاء المرجئة الذين يقولون: «لا يكفر حتى يعتقد بقلبه»،
لا فرق بين الجاد والهازل أو الخائف: الذي يفعل هذه الأشياء؛ دفعًا للخوف،
فالواجب عليه أن يصبر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (إِلَّا الْمُكْرَهَ)، إذا أُكْرِهَ أن يقول كلمة فيها كفر، ولم يمكنه
التخلص من الظلم إلا بها، فرخص له الله في ذلك ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ
بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]، بهذا
الشرط، ويكون قصده دفع الإكراه فقط، إلا أن قلبه لا يعتقد ما يتلفظ به؛
كما حصل لعمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، الذي هو سبب نزول الآية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لما
أخذته الكفار، وعذبوه حتى يقول في محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أي يسبب الرسول

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فوافقهم، وسب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجاء نادماً إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خائفاً مما حصل له، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟» قَالَ: مُطْمَئِنًّا بِالْإِيْمَانِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنْ عَادُوا فَعُدُّ»^(١)، وأنزل الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]، ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُوا﴾ [آل عمران: ٢٨].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مُوجِبَاتِ غَضَبِهِ، وَأَلِيْمِ عِقَابِهِ) آمين!



(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٧٤/١٤ - ٣٧٥)، والطبراني في الشاميين (٦٩/٤)، والحاكم في المستدرک (٣٨٩/٢)، وأبو نعيم في الحلية (١٤٠/١).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ الشَّيْخُ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ إِمَامُ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ،
وَحَامِي حُمَى الْمِلَّةِ الْحَنِيفِيَّةِ:

مِنْ أَعْجَبِ الْعُجَابِ، وَأَكْبَرِ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَةِ الْمَلِكِ الْغَلَّابِ سِتَّةُ
أُصُولٍ بَيْنَهَا اللَّهُ تَعَالَى بَيَانًا وَاضِحًا لِلْعَوَامِّ، فَوْقَ مَا يَظُنُّ الظَّائِنُونَ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ
غَلِطَ فِيهَا كَثِيرٌ مِنْ أَذْكِيَاءِ الْعَالَمِ وَعُقَلَاءِ بَنِي آدَمَ، إِلَّا أَقْلَ الْقَلِيلِ.

❖ الشَّرْحُ ❖

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ
عَلَى نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

لَا شَكَّ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّ الرَّسُولَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيَّنَّ هَذَا الْقُرْآنَ بَيَانًا شَافِيًا.

وَأَعْظَمُ مَا بَيَّنَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فِي هَذَا الْقُرْآنِ قَضِيَّةَ التَّوْحِيدِ وَالشَّرْكِ؛
لَأَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ أَصْلُ الْإِسْلَامِ وَأَصْلُ الدِّينِ، وَهُوَ الَّذِي تَبْنَى عَلَيْهِ جَمِيعُ
الْأَعْمَالِ، وَالشَّرْكُ يَبْطُلُ هَذَا الْأَصْلُ، وَيُفْسِدُهُ، وَلَا يَكُونُ لَهُ وَجُودٌ؛ لِأَنَّهَا
أَمْرَانِ مُتَضَادَّانِ وَمُتَنَاقِضَانِ، لَا يَجْتَمِعَانِ أَبَدًا، فَلِذَلِكَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بَيَّنَّ هَذَا
الْأَصْلَ فِي كِتَابِهِ فِي جَمِيعِ الْقُرْآنِ، فَلَا تَكَادُ تَخْلُو سُورَةٌ مِنْ ذِكْرِ التَّوْحِيدِ وَذِكْرِ
الشَّرْكِ، وَالنَّاسُ يَقْرَءُونَ هَذَا الْقُرْآنَ، وَيَرُدُّونَهُ.

ولكن قلّ من يتنبه لهذا البيان، ولذلك تجد كثيرًا من الناس يقرؤون القرآن، ويقعون في الشرك، ويُحِلُّون بالتوحيد -مع أن هذا الأمر واضح في كتاب الله وفي سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ لأنَّهم يمشون على العوائد وما وجدوا عليه آباءهم ومشايخهم، فالأصل عندهم ما وجدوا عليه آباءهم ومشايخهم وأهل بلدهم، ولا يفكرون في يومٍ من الأيام أن يتأملوا ويتدبروا القرآن، ويعرضوا عليه ما كان عليه الناس: هل هو صحيحٌ أو غير صحيح؟

بل أخذهم التقليد الأعمى لآبائهم وأجدادهم، واعتبروا أن القرآن إنما يُقرأ للبركة وحصول الأجر بالتلاوة، وليس المقصود أنه يُقرأ للتدبر والعمل بما فيه، قلّ من الناس من يقرأ القرآن لهذا الغرض، إنما يقرؤونه للتبرك به أو التلذذ بصوت القارئ، والترنّم به، أو لقراءته على المرضى للعلاج.

أما أن يُقرأ للعمل به والتدبر والصدور عما فيه، وعرض ما عليه الناس على هذا القرآن، فهذا لا يوجد إلا في قليلٍ من الناس، لا نقول: إنه معدومٌ، لكنه في أقلّ القليل، ولذلك تجد القرآن في وادٍ، وأعمال بعض الناس في وادٍ آخر، لا يفكرون في التغيير أبدًا، ولو حاول مُجدِّدٌ أو داعٍ إلى الله أن يغيّر ما هم عليه، لقاموا في وجهه، واتهموه بالضلال، واتهموه بالخروج على الدين وأنه أتى بدينٍ جديدٍ وأنه وأنه؛ كما حصل لهذا الشيخ نفسه لما حاول رَحِمَهُ اللَّهُ أن يرد الناس إلى القرآن، وما دل عليه القرآن، ويغيّر ما هم عليه من العادات والتقاليد الباطلة، ثاروا في وجهه، وبدّعوه، وفسّقوه، بل وكفروه، واتهموه باتهاماتٍ.

لكن في الحقيقة هذا لا يضر، وليس بغريب؛ فإن الأنبياء قِل فيهم ما هو أشد من ذلك، لما أرادوا أن يغيروا ما عليه الأمم من عبادة غير الله، قِل في حق الأنبياء ما قِل، فكيف بالدعاة والعلماء؟! فلا غرابة في هذا، وهذا لا ينقص من أجر العالم والداعية، بل هذا يزيد في حسناته عند الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، وإنَّما يرجع بالنقص على من قاله ومن تفوَّه به وكتبه، فإن هذا يرجع عليه، أما العلماء المخلصون والدعاة إلى الله، فلا يضرهم ما قِل فيهم، بل يزيد في درجاتهم وحسناتهم، ولهم قدوة بالأنبياء وما قِل في حقهم وما اتُّهموا به.

والله تعالى يقول لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فصلت: ٤٣].

فالشيخ رَحِمَهُ اللهُ في هذه الكلمات يبين شيئاً من هذا الأمر العجيب؛ أن الناس يقرؤون القرآن، ويكثرون من قراءته، ويحتمونه، ويحفظونه، ويرتلونه، ويركزون اهتمامهم بألفاظ القرآن وتجويده وأحكام المد، وأحكام الإدغام، والغنة، والإقلاب، والإظهار، والإخفاء، ويعتنون بهذا عناية فائقة، وهذا شيء طيب، ولكن الأهم والمقصود ليس هذا، المقصود تدبر المعاني، والتفقه في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وعرض أعمالنا وأعمال الناس على كتاب الله: هل هي موافقة لكتاب الله أو مخالفة؟

هذا هو المطلوب: أن نصح أوضاعنا، وأن ننبه على أخطاء الناس، لا بقصد التشهير وقصد النيل من الناس، بل بقصد الإصلاح والنصيحة.



الأَصْلُ الْأَوَّلُ: إِخْلَاصُ الدِّينِ لِلَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

— الشَّرْحُ —

الأصل الأول من هذه الأصول الستة: (إِخْلَاصُ الدِّينِ لِلَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ)، هذا أصل الأصول وقاعدة الدين، وهذا هو المعترك بين الأنبياء وبين الأمم؛ فالأنبياء يريدون أن يصححوا هذا الأصل الذي خلق الله الخلق من أجله، وربط سعادتهم به.

فليس المهم أن الإنسان يصوم، و يصلي، ويكثر من العبادات، المهم الإخلاص، فقليلٌ مع الإخلاص خيرٌ من كثيرٍ مع عدم الإخلاص، فلو أن الإنسان يصلي الليل والنهار، ويتصدق بالأموال، ويعمل الأعمال، لكن بدون إخلاص، فلا فائدة في عمله؛ لأنه لا بدَّ من الإخلاص.

والإخلاص معناه: ترك الشرك، وإفراد الله جَلَّ وَعَلَا بالعبادة، ولا أحد يستحق العبادة مهما بلغ من الكمال ومن الفضل إلا الله؛ لا الملائكة المقربون، ولا الأنبياء والرسل، ولا الأولياء والصالحون.

هذا هو الأصل، ولا يتحقق هذا الأصل، إلا بترك الشرك، أما من يخلط بين العبادة لله وبين الشرك بغيره، فهذا عمله حابطٌ.

وأما الذي يُخلص عمله لله عَزَّجَلَّ، فهذا هو السعيد، ولو كان عمله قليلاً، فقليلٌ من العمل مع الإخلاص فيه الخير، وفيه النجاة.

وحديث البطاقة لا يَحْفَى: «رجلٌ يبعث يوم القيامة، تعرض عليه أعماله مكتوبةً في سجلاتٍ، كل سجلٍّ منها مدَّ البصر، مملوءةٌ بالسيئات، توضع هذه السجلات في كِفَّةٍ، وتوضع هذه البطاقة التي فيها «لا إله إلا الله»، قالها هذا الرجل من قلبه بإخلاصٍ ويقينٍ وإيمانٍ؛ فرجحت هذه الكلمة بجميع السجلات، وطاشت بجميع السجلات»^(١).

هذا هو الإخلاص، فهو ما قالها مجرد لفظٍ، وإنَّما قالها عارفاً بمعناها، معتقداً بما دلت عليه، لكنه مات قبل أن يتمكن من العمل، فكيف بالذي عنده أعمالٌ كثيرةٌ صالحةٌ وخالصةٌ لوجه الله عزَّ وجلَّ؟!

هذا فيه دلالة على أن الإخلاص - وإن كان قليلاً - فقد ينجي الله به صاحبه، ويكفر عنه جميع الذنوب والسيئات، وأنه إذا فقد الإخلاص، فلا فائدة من كثرة الأعمال.



(١) كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠): عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَعْفَرِيِّ ثُمَّ الْحُثُلِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتَنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمَكَ كَتَبْتَنِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنْ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةٌ، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: اخْضُرْ وَزَنْكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: «فَتَوْضَعُ السَّجَلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السَّجَلَّاتُ وَتَقَلَّتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَنْثَقِلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ».

وَبَيَانُ ضِدِّهِ الَّذِي هُوَ الشِّرْكَ بِاللَّهِ.

— الشَّرْحُ —

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَبَيَانُ ضِدِّهِ الَّذِي هُوَ الشِّرْكَ بِاللَّهِ)، ضد التوحيد: الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، فالتوحيد: هو إفراد الله بالعبادة، والشرك: هو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله عَزَّوَجَلَّ؛ كالذبح، والنذر، والدعاء، والاستغاثة... إلى آخر أنواع العبادات، هذا هو الشرك.

والشرك المقصود هنا: هو الشرك في الألوهية، أما الشرك في الربوبية، فهذا غير موجود في الغالب، فالأهم كلها مقرة بتوحيد الربوبية اضطراراً، لم يجحده إلا من تظاهر بالإنكار، مع أنه يعترف به في الباطن؛ لأن الإقرار به ضروريٌّ. فالجميع يعرف أن هذا الخلق وهذا الكون لا بدَّ له من خالقٍ، وهذا الخلق الذي يسير لا بدَّ له من مدبِّرٍ، ليس موجوداً بمجرد الصدفة، أو هو موجود من نفسه؛ ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ (٢٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿[الطور: ٣٥-٣٦].

فالإقرار بتوحيد الربوبية ضروري وفطري، لكنه لا يكفي، لم يكف المشركين إقرارهم به؛ كما في القرآن، فالقرآن صريح في هذا: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ماذا يجيبون؟ يجيبون: (الله)؛ أي: الله هو الذي خلقنا. هذا توحيد الربوبية، فالمطلوب هو توحيد الألوهية، هذا الذي حصل فيه النزاع والخلاف والخصام بين الرسل والأمم، وبين الدعاة إلى الله وبين الناس، هذا هو الذي فيه الخصومة، فيه القتال، وفيه ما يتعلق بذلك من الولاء والبراء وغير ذلك.

وَكُونُ أَكْثَرِ الْقُرْآنِ فِي بَيَانِ هَذَا الْأَصْلِ مِنْ وُجُوهِ شَتَّى بِكَلَامٍ يَفْهَمُهُ أَبْلَدُ الْعَامَّةِ.

— الشرح —

الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، هل هذا كلامٌ غامضٌ؟! العوام يفهمونه.

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، يفهمون من هذا الأمر بالعبادة والنهي عن الشرك، ولو أنهم لم يتعلموا، يعرفون هذا من لغاتهم، هذه آية واحدة، والقرآن مملوءٌ من مثل هذا، هذه الآيات يمرون عليها، ويقرؤونها، لكن لا يفكرون فيها.

يقول الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

وهم يقولون: «يا علي، يا حسين، يا بدوي، يا تيجاني، يا عبد القادر»، يصرخون، ويصيحون، وينادون بأعلى أصواتهم: «يا فلان، يا فلان»، وفلانٌ هذا ميتٌ!!!

وهذا الذي ينادي الميت، ويصرخ ربًّا أنه يحفظ القرآن بالقراءات السبع أو العشر، ويجوِّده تجويدًا منقطع النظر، يُقيمه إقامة السهم - كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١) -، لكنه يعتني بحروفه ويضيع حدوده.

(١) كما في الحديث الذي أخرجه أبو داود (٨٣١)، وأحمد في مسنده (٥٠٩ / ٣٧)، وابن حبان في صحيحه (٣ / ٣٦، ١٥ / ١٢٠)، والطبراني في الكبير (٦ / ٢٠٦، ٦٠٧)، والبيهقي =

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (القرآن كله في التوحيد؛ لأنه إما أمرٌ بعبادة الله وترك الشرك، وإما بيانٌ لجزاء أهل التوحيد، وجزاء أهل الشرك، وإما في أحكام الحلال والحرام، وهذه من حقوق التوحيد، وإما قصصٌ عن الرسل وأممهم وما حصل بينهم من الخصومات، وهذا جزاء التوحيد والشرك)^(١).

القرآن كله توحيدٌ، من أوله إلى آخره، ومع هذا يقرؤون هذا القرآن، وهم مقيمون على الشرك الأكبر، ويقولون: «لا إله إلا الله»، ولا يعملون بها، هم في وادٍ، والقرآن و«لا إله إلا الله» في وادٍ آخر، إنما هي ألفاظ على اللسان فقط.

= في شعب الإيمان (٤/ ٢٠٦، ٢٠٧): عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا وَنَحْنُ نَقْتَرِي، فَقَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ كِتَابُ اللَّهِ وَاحِدٌ، وَفِيكُمْ الْأَحْمَرُ وَفِيكُمْ الْأَبْيَضُ وَفِيكُمْ الْأَسْوَدُ، أَفَرَأَوْهُ قَبْلَ أَنْ يَفْرَأَهُ أَقْوَامٌ يُقِيمُونَهُ كَمَا يَقُومُ السَّهْمُ يُتَعَجَّلُ أَجْرُهُ وَلَا يُتَأَجَّلُهُ».

(١) يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في مدارج السالكين (٣/ ٤١٧ - ٤١٨): (كُلُّ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ فَهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ لِنَوْعِي التَّوْحِيدِ. بَلْ نَقُولُ قَوْلًا كُلِّيًّا: إِنَّ كُلَّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ فَهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ لِلتَّوْحِيدِ، شَاهِدَةٌ بِهِ، دَاعِيَةٌ إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ: إِمَّا خَبَرٌ عَنِ اللَّهِ، وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، فَهُوَ التَّوْحِيدُ الْعِلْمِيُّ الْخَبَرِيُّ، وَإِمَّا دَعْوَةٌ إِلَى عِبَادَتِهِ وَحَدُهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَخَلْعٌ كُلِّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، فَهُوَ التَّوْحِيدُ الْإِرَادِيُّ الطَّلَبِيُّ، وَإِمَّا أَمْرٌ وَنَهْيٌ، وَإِلْزَامٌ بِطَاعَتِهِ فِي تَهْنِئَةٍ وَآمَرِهِ، فَهِيَ حُقُوقُ التَّوْحِيدِ وَمُكَمَّلَاتُهُ، وَإِمَّا خَبَرٌ عَنْ كَرَامَةِ اللَّهِ لِأَهْلِ تَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ، وَمَا فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَمَا يُكْرِمُهُمْ بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَهُوَ جَزَاءُ تَوْحِيدِهِ وَإِمَّا خَبَرٌ عَنْ أَهْلِ الشَّرِّكَ، وَمَا فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ النَّكَالِ، وَمَا يَحِلُّ بِهِمْ فِي الْعُقُوبِ مِنَ الْعَذَابِ، فَهُوَ خَبَرٌ عَمَّنْ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ التَّوْحِيدِ. فَالْقُرْآنُ كُلُّهُ فِي التَّوْحِيدِ وَحُقُوقِهِ وَجَزَائِهِ، وَفِي شَأْنِ الشَّرِّكَ وَأَهْلِهِ وَجَزَائِهِمْ).

لو تسأل واحداً منهم: ما معنى «لا إله إلا الله»؟ لقال لك: لا أدري، أنا لم أتعلم.

فنقول له: إذا أنت تقول: «لا إله إلا الله»، ولا تعلم ما معناها، هل هذا يليق بالمسلم؟! تقول كلاماً لا تعرف معناه، ولا تهتم به!! أو تقول: «سمعت الناس يقولون شيئاً، فقلته»؛ مثلما يقول المنافق في القبر إذا سئل، يقول: «سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئاً فَقُلْتُه»^(١)، مجرد مُحَاكَاةٍ كما قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]، شبههم الله بالبهايم التي تسمع صوت الراعي، وتسمع الحذاء، وتمشي على صوت الراعي، وهي لا تفهم معناه.



(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٨٦، ١٨٤، ٧٢٨٧)، ومسلم (٩٠٥): عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حِينَ خَسَفَتِ الشَّمْسُ وَالنَّاسُ قِيَامٌ، وَهِيَ قَائِمَةٌ تُصَلِّي، فَقُلْتُ: مَا لِلنَّاسِ؟ فَأَشَارَتْ بِيَدِهَا نَحْوَ السَّمَاءِ، فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ! فَقُلْتُ: آيَةٌ؟ قَالَتْ بِرَأْسِهَا: أَنْ نَعَمَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَمِدَ اللَّهُ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَرَهُ إِلَّا وَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا، حَتَّى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنْكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ قَرِيباً مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ - أَوِ الْمُسْلِمُ لَا أَذْري أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ -، فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ، فَأَجَبْنَاهُ وَآمَنَّا، فَيَقَالُ: نَمَّ صَالِحاً عَلِمْنَا أَنَّكَ مُوقِنٌ، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ - أَوِ الْمُرْتَابُ لَا أَذْري أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: لَا أَذْري سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئاً فَقُلْتُه».

ثُمَّ لَمَّا صَارَ عَلَى أَكْثَرِ الْأُمَّةِ مَا صَارَ؛ أَظْهَرَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ الْإِخْلَاصَ فِي
صُورَةِ تَنْقُصِ الصَّالِحِينَ وَالتَّقْصِيرِ فِي حُقُوقِهِمْ.

• الشرح •

إذا قيل لهم: لا تدعوا المخلوقين، ولا تستغيثوا بهم، ادعوا الله، واستغيثوا
بالله، واسألوا الله، وتوجهوا إلى الله، لا تتوجهوا إلى القبور والأموات.

يقولون: «أنت تنقص الأولياء، هؤلاء الأولياء قدرهم عندنا أن نُجلِّهم
ونُحترمهم، ونهتف بأسمائهم، هذا قدرهم، فأنت تنقصهم، ولا تعترف
بفضلهم»، هكذا يقولون لدعاة التوحيد.

فنقول لهم: نحن نُحب الصالحين، ونُحب أولياء الله، ونواليهم،
ونُجلِّهم، ونُحترمهم، ولكن لا نعطيهم شيئاً من حق الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،
ولا نعطيهم شيئاً من العبادة؛ لأنها ليست حقاً لهم، وهم لا يرضون بهذا،
ولا يرضون بأنهم يُدعون مع الله، ويُستغاث بهم في الشدائد.



وَأُظْهِرَ لَهُمُ الشَّرْكَ بِاللَّهِ فِي صُورَةِ مَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ وَاتِّبَاعِهِمْ.

— ❖ الشَّرْحُ ❖ —

هم يقولون: «إن استغاثتهم بال صالحين، واستنجداهم بهم اعترافً بفضلهم وإجلالً لهم»، هذا ما زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، والمُرَادُ بالشَّيْطَانُ: شَيْطَانُ الْجِنِّ، وشَيْطَانُ الْإِنْسِ؛ علماء الضلال شياطين الإنس، يتكلمون، ويكتبون، ويؤلفون في الدعوة إلى الشرك، ويزعمون أن هذا من تعظيم الصالحين، ومن الاعتراف بفضلهم، ومن موالاتهم، وأن عدم دعائهم وعدم الاستغاثة وعدم الاستغاثة بهم من الجفاء في حقهم، ومن بغضهم، إلى آخر ما يقولون، هذا موجودٌ في كتبهم.



الأصل الثاني: أمر الله بالاجتماع في الدين ونهي عن التفرق فيه، فبين الله هذا بياناً شافياً تفهمه العوام.

• الشرح •

هذا الأصل موجود في القرآن، قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا﴾ [آل عمران: ١٠٥]، ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله﴾ [الأنعام: ١٥٩]، ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ [الشورى: ١٣].

فلا يجوز للمسلمين أن يتفرقوا في دينهم، بل يجب أن يكونوا أمة واحدة على التوحيد: ﴿إن هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

لا يجوز لأمة محمد أن تتفرق في عقيدتها، وفي عبادتها، وفي أحكام دينها، هذا يقول: «حلال»، وهذا يقول: «حرام» بغير دليل، لا يجوز هذا.

لا شك أن الاختلاف من طبيعة البشر؛ كما قال الله سبحانه: ﴿ولا يزالون مخلفين﴾ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿[هود: ١١٨-١١٩].

لكن الاختلاف يُجسم بالرجوع إلى الكتاب والسنة، فإذا اختلفت أنا وأنت، فإنه يجب علينا أن نرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، قال

تعالى: ﴿فَإِنْ نَزَعْنَاهُ فِي شَيْءٍ فَدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

أما ما يقال: «كلُّ يبقى على مذهبه، وكلُّ يبقى على عقيدته، والناس أحرارٌ
في آرائهم»، ويطالبون بحرية العقيدة، وحرية الكلمة، فهذا هو الباطل الذي نهي
الله عنه، فقال: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فيجب أن نجتمع في عرض اختلافنا على كتاب الله، حتى في مسائل
الفقه، إذا اختلفنا في شيء، نعرضه على الأدلة، فمن شهد له الدليل، صرنا
معه، ومن أخطأ الدليل، فإننا لا نأخذ بالخطأ.

إن الله جلَّ وعلا لم يتركنا نختلف و نتفرق بدون أن يضع لنا ميزاناً يبين
الصحيح من الخطأ، بل وضع لنا القرآن والسنة: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ﴾؛ يعني:
القرآن، ﴿وَالرَّسُولِ﴾؛ يعني: السنة.

والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ
تَضِلُّوا، كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي»^(١).

فكان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موجوداً بيننا بوجود السنة مدونةً ومصححةً
وموضحةً، وهذا من فضل الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة؛ أنه لم يتركها في

(١) أخرجه بهذا اللفظ الحاكم في المستدرک (١/٩٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه
ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (ص ٢٦٩)، من حديث عمرو بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
بلفظ: «وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، ورواه الحاكم أيضاً (١/٩٣)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
بلفظ: «كتاب الله وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، وقد ورد بغير هذا اللفظ عند مسلم (٢٤٠٨)،
والترمذي (٣٧٨٨)، وأحمد في المسند (١٤/٣).

مناهة، بل تركها وعندها ما يدُّها على الله سبحانه وتعالى ويدُّها على الصواب، أما الذي لا يريد الحق، ويريد أن كل واحد يبقى على مذهبه و على نحْلته، ويقول: «نَجتمع فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه»، هذا لا شك أنه كلام باطل؛ فالواجب أن نَجتمع على كتاب الله وسُنة رسوله، وما اختلفنا فيه، نردُّه إلى كتاب الله وسُنة رسوله، لا يعذر بعضنا بعضًا، ونبقى على الاختلاف؛ بل نردُّه إلى كتاب الله وسُنة رسوله، وما وافق الحق، أخذنا به، وما وافق الخطأ، نرجع عنه.

هذا هو الواجب علينا، فلا تبقى الأمة مختلفةً، وربَّما يذكر الذين يدعون إلى البقاء على الاختلاف حديث: «اِخْتِلَافُ أُمَّتِي رَحْمَةٌ»، وهذا الحديث يروى، ولكنه ليس صحيحًا^(١)؛ الاختلاف ليس رحمةً، الاختلاف عذابٌ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

(١) قال السخاوي في المقاصد الحسنة (١/ ٦٩ - ٧٠): (حَدِيث: «اِخْتِلَافُ أُمَّتِي رَحْمَةٌ»، الْبَيْهَقِيُّ فِي الْمَذْخَلِ مِنْ حَدِيثِ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي كَرِيمَةَ عَنْ جُوَيْرٍ عَنِ الصَّحَّاحِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَهْمَا أُوتِيتُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَالْعَمَلُ بِهِ لَا عُدْرَ لِأَحَدٍ فِي تَرْكِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَسُنَّةٌ مِنِّي مَاضِيَةً، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ سُنَّةٌ مِنِّي فَمَا قَالَ أَصْحَابِي، إِنَّ أَصْحَابِي بِمَنْزِلَةِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ، فَأَيُّمَا أَخَذْتُمْ بِهِ اهْتَدَيْتُمْ، وَاِخْتِلَافُ أَصْحَابِي لَكُمْ رَحْمَةٌ»، ومن هذا الوجه أخرجه الطبراني، والديلمي في مسنده بلفظه سواء، وجوهر ضعيف جدًّا، والضحاك عن ابن عباس منقطع، وقد عزاه الزركشي إلى كتاب الحجة لنصر المقدسي مرفوعاً من غير بيان لسنده، ولا صحابه، وكذا عزاه العراقي لأدم بن أبي إياس في كتاب العلم والحكم بدون بيان بلفظ: «اختلاف أصحابي رحمة لأمتي»، قال: وهو مرسل ضعيف، وبهذا اللفظ ذكره البيهقي في رسالته الأشعرية بغير إسناد...).

وقال الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة (٥٧) (١/ ١٤١): لا أصل له.

فالاختلاف يشتت القلوب، ويفرق الأمة، ولا يُمكن للناس إذا صاروا مختلفين أن يتناصروا ويتعاونوا أبداً، بل يكون بينهم عداوةٌ وعصيةٌ لفرقهم وأحزابهم، ولا يتعاونون أبداً، إنَّما يتعاونون إذا اجتمعوا واعتصموا بحبل الله جميعاً، وهذا هو الذي أوصى به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفْرُقُوا»^(١)، هذه الثلاث يرضاها الله لنا، والشاهد منها قوله: «وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفْرُقُوا»، وليس معنى هذا أنه لا يوجد اختلافٌ، ولا يوجد تفرق؛ طبيعة البشر وجود الاختلاف، ولكن معنى هذا: أنه إذا حصل اختلافٌ أو تفرقٌ، يُحسم بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وينتهي النزاع، وينتهي الاختلاف، هذا هو الحق.

وليس تحكيم القرآن أو تحكيم السنة مقتصرًا على مسألة النزاع في الخصومات بين الناس في الأموال؛ حيث يسمون الحكم بما أنزل الله أنه الحكم بين الناس في أموالهم ونزاعاتهم في أمور الدنيا فقط، لا. بل هو الحكم بينهم في كل اختلافٍ وكل نزاعٍ، والنزاع في العقيدة أشد من النزاع في الأموال، والنزاع في أمور العبادات وأمر الحلال والحرام أشد من النزاع في الخصومات في الأموال، إنما الخصومات في الأموال جزءٌ أو جزئيةٌ من الاختلاف، الذي يجب حسمه بكتاب الله عزَّ وجلَّ.

(١) أخرجه مسلم (١٧١٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

والصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كان يحصل بينهم اختلافٌ، لكن سرعان ما يرجعون إلى كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فينتهي اختلافهم، فقد حصل بينهم اختلافٌ بعد وفاة النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حول من الذي يتولَّى الأمر من بعده، وسرعان ما حسموا النزاع، ورجعوا، وولَّوا أبا بكرٍ الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وانقادوا له، وأطاعوا له، وزال الاختلاف، وانحسمت الفرقة التي حصلت فيمن يتولَّى الأمر بعد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهم يحصل بينهم اختلافاتٌ، لكن يرجعون إلى كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ يذهب الاختلاف فيما بينهم.

وإن الرجوع إلى كتاب الله يزيل الأحقاد، ويزيل الأضغان، فلا أحد يعترض على كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، فإنك عندما تقول لإنسان: «تعال إلى قول الإمام الفلاني، أو العالم الفلاني»، لا يقتنع.

لكن لو قلت له: «تعال إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، فإن كان فيه إيمانٌ، فهو يقتنع ويرجع.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١]، هذا قول المؤمنين، أما المنافقون، إن كان الحق لهم، جاؤوا مدعين، وإن كان الحق عليهم، تولَّوا، وأعرضوا؛ كما ذكر الله عنهم.

فلا يسع المؤمنين أن يبقوا على اختلافهم في جميع الاختلافات، لا في الأصول، ولا في الفروع، كلها تُحسم بالكتاب والسنة.

وإذا لم يتبين الدليل مع أحد المجتهدين، وصار لا مرجح لقول أحدهم على الآخر، ففي هذه الحالة لا يُنكر على من أخذ بقول إمام معين، ومن ثم قال العلماء: (لَا إِنْكَارَ فِي مَسَائِلِ الْإِجْتِهَادِ)^(١)؛ أي: المسائل التي لم يظهر الدليل فيها مع أحد الطرفين.



(١) انظر: التحقيق والبيان في شرح البرهان في أصول الفقه (٣/ ٢٨٢)، والإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل (١/ ١٦٨)، ودليل الطالب لنيل المطالب (١/ ٤٩)، ودقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات (١/ ٢٧٥).

وَنَهَانَا أَنْ نَكُونَ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا قَبْلَنَا فَهَلَكُوا.
وَذَكَرَ أَنَّهُ أَمَرَ الْمُسْلِمِينَ بِالاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ وَنَهَاهُمْ عَنِ التَّفَرُّقِ فِيهِ،
وَيَزِيدُهُ وَضُوحًا مَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِنَ الْعَجَبِ الْعُجَابِ فِي ذَلِكَ.

— الشرح —

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَنَهَانَا أَنْ نَكُونَ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا قَبْلَنَا فَهَلَكُوا)،
لَمَّا بقوا على اختلافهم، هلكوا، وتناحروا فيما بينهم، وتقاتلوا، هذا شأن أهل
الاختلاف، أما شأن أهل الاجتماع، فهو القوة، وزوال الحقد من قلوبهم؛
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا
يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]،
ولا يرضي الناس، ولا ينهي النزاع إلا الرجوعُ إِلَى كتاب الله وسُنَّة رسوله
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَذَكَرَ أَنَّهُ أَمَرَ الْمُسْلِمِينَ بِالاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ وَنَهَاهُمْ عَنِ
التَّفَرُّقِ فِيهِ)، قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا
فِيهِ ﴾ [الشورى: ١٣]؛ أي: لا يصير كل واحدٍ له دينٌ؛ لأن الدين واحدٌ، ليس
فيه تفرق.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَيَزِيدُهُ وَضُوحًا مَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِنَ الْعَجَبِ الْعُجَابِ
فِي ذَلِكَ)، نعم، ثبت عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأحاديث ما يُحْتَجُّ على

الاجتماع، وينهى عن التفرق والاختلاف؛ مثل حديث: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ»^(١).



(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢، ٤٣، ٤٤)، وأحمد (١٢٦/٤)، والدارمي (٩٥)، والطبراني في الكبير (٢٤٥/١٨)، وابن حبان (١٧٨/١) من حديث العرياض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثُمَّ صَارَ الْأَمْرُ إِلَى أَنَّ الْاِفْتِرَاقَ فِي أَصُولِ الدِّينِ وَقُرُوعِهِ هُوَ الْعِلْمُ وَالْفَقْهُ
فِي الدِّينِ.

— الشَّرْحُ —

صار الأمر -مع الأسف- عند المتأخرين: أن الاختلاف في الأصول
والفروع هو الفقه، مع أن الواجب العكس: أن الاجتماع هو الفقه في دين الله.
هم يقولون: «إن التفرق، وإعطاء الحرية للناس، وعدم الحجر عليهم
هذا هو الفقه».

ونحن نقول: الفقه هو الاجتماع على كتاب الله وسنة رسوله
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وبعضهم يقول: «هذا من سعة الإسلام؛ أنه إذا حرم علينا أحد شيئا،
نجد من يفتي بحلّه، اتُّخذوا الناس هم المشرّعين، فعلى رأي هؤلاء إذا قال
فلان: «هذا حلال»، صار حلالاً لنا، ولو كان حراماً في كتاب الله أو سنة
رسوله.

فنقول: نرجع إلى كتاب الله، فمن شهد له بالحق، أخذنا به، ومن شهد
عليه بالخطأ، تركناه، هذا هو الواجب.



وَصَارَ الْأَمْرُ بِالْاجْتِمَاعِ لَا يَقُولُهُ إِلَّا زَنْدِيقٌ أَوْ مَجْنُونٌ.

— الشرح —

الذي يأمر بالاجتماع وترك الخلاف يقولون عنه: «هذا خارجٌ على الأمة، هذا زنديقٌ؛ لأنه يلغي أقوال العلماء».

فنحن لا نلغي أقوال العلماء، إِنَّمَا نعرضها على كتاب الله، نحن لم نكلف باتباع الناس، إِنَّمَا أُمِرْنَا باتباع القرآن والسُّنة، هذا هو الحق، ما أُمِرْنَا باتباع فلان وفلان، والله تَعَالَى لَمْ يَكِلْنَا إلى آرائنا واجتهاداتنا، بل أنزل علينا كتابه، وأرسل إلينا رسوله، وإذا رجعنا إلى كتاب الله وسُنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، زال الشقاق، وزال الاختلاف، واجتمعت الكلمة.

أتدرون أنه إلى عهد قريبٍ كان في المسجد الحرام أربعة محاريب، كل أصحاب مذهبٍ يَصَلُّونَ جماعةً وحدهم مع أهل مذهبهم بجوار الكعبة، حَتَّى قَيَّضَ اللَّهُ مَنْ جَمَعَهُمْ على إمامٍ واحدٍ، وزال -ولله الحمد- هذا المظهر السيئ.

هذا كله من اتباع المذاهب واتباع الآراء، حَتَّى الصلاة فَرَّقَها، صار الحنفي لا يصلي وراء الحنبلي، والحنبلي لا يصلي وراء الشافعي، ولا يصلون في وقت واحدٍ؛ هذا يصلي في أول الوقت، وهذا في آخره؛ لأن فلاناً يرى تأخير الصلاة، وفلاناً يرى تقديمها، يريدون أن يرضوا جميع الناس.

وهذا وجدناه في بعض البلاد الأخرى باقياً إلى الآن، حتى الجمعة لا يصلونها في وقتٍ واحدٍ؛ بعضهم لا يصلوها إلا عند العصر؛ لأن فلاناً قال كذا وكذا، وإذا أراد أحدهم أن يصلي مبكراً، ذهب يصلي مع فلانٍ، وإذا أراد أن يتأخر، صلى مع فلانٍ.

ولكن عندنا - والله الحمد - في هذه البلاد في ظل هذه الدعوة المباركة عادوا في المسجد الحرام إلى ما كان عليه السلف الصالح؛ يصلون جميعاً في وقتٍ واحدٍ، وخلف إمامٍ واحدٍ.



الأصل الثالث: أَنَّ مِنْ تَمَامِ الاجْتِمَاعِ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ لِمَنْ تَأَمَّرَ عَلَيْنَا وَلَوْ
كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا.

— الشرح —

الأصل الثالث: طاعة ولي الأمر المسلم؛ لأنه لا يتم هذا الاجتماع إلا بطاعة ولي الأمر، فلا اجتماع إلا بإمام، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة، فولي الأمر المسلم جعله الله رحمةً للمسلمين؛ لإقامة الحدود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونصرة المظلوم من الظالم، وحفظ الأمن.

هذا من رحمة الله عزَّ وجلَّ والصحابة لما توفِّي الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يدفنوه حتَّى بايعوا إمامهم؛ لأنَّهم يخشون من الاختلاف ومن الفتنة، لأنَّهم يعرفون أنه لا يصلح أن يعيشوا ولا ليلةً واحدةً بدون إمام؛ لأن هذا من ضروريات الدين، ولا يمكن أن يكون هذا إلا بالسمع والطاعة لولي الأمر، ولهذا يقول جلَّ وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، بعد طاعة الله وطاعة رسوله لا بدَّ من طاعة أولي الأمر.

وقوله: ﴿مِنْكُمْ﴾؛ أي: من المسلمين، دلَّ على أنه يُشترط في ولي الأمر أن يكون مسلمًا.



فَبَيَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا بَيَانًا شَائِعًا ذَائِعًا بِكُلِّ وَجْهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَيَانِ شَرْعًا وَقَدْرًا.

ثُمَّ صَارَ هَذَا الْأَصْلُ لَا يُعْرَفُ عِنْدَ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعِي الْعِلْمَ فَكَيْفَ الْعَمَلُ بِهِ.

— الشرح —

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَبَيَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا بَيَانًا شَائِعًا ذَائِعًا بِكُلِّ وَجْهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَيَانِ شَرْعًا وَقَدْرًا)؛ حيث قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ...»^(١).

هذا الأصل الثالث: السمع والطاعة؛ «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنْ اسْتَغْمَلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَانَ رَأْسُهُ زَبِيئَةً»^(٢).

فلا يمكن أن تحصل جماعة للمسلمين إلا بولي أمر مسلم، ولو لم يكن ذا نسب عربي، بل لو كان مملوكًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ثُمَّ صَارَ هَذَا الْأَصْلُ لَا يُعْرَفُ عِنْدَ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعِي الْعِلْمَ فَكَيْفَ الْعَمَلُ بِهِ)، صار هذا الأصل لا يُعرف عند كثيرٍ مِمَّنْ يدعي العلم، فيجهلون مسألة السمع والطاعة، وما لها من فضلٍ، وما لها من أهمية، فكيف بالعوام وهم أشد جهلاً في هذا؟!

(١) سبق تخريجه (ص ٢٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٣، ٦٩٦، ٧١٤٢)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فصار الشجاع الذي يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر -عندهم-، والذي لا تأخذه في الله لومة لائم -عندهم-: هو الذي يخرج على إمام المسلمين، ويخلع يد الطاعة، وينادي بالثورة على الحكام المسلمين بمجرد حصول خطأ منهم، أو معصية، لا تصل إلى حد الكفر.

وصار حديث المجالس والندوات والمحاضرات في تتبع عثرات الولاة وتفخيمها والنفخ فيها، حتى يؤول الأمر إلى تفرُّق الكلمة، وتنفير الرعية من طاعة ولي الأمر؛ حتى يَحْتَلَّ الأمن، وتُسْفِكَ الدماء، ويؤول الأمر إلى فساد أشد من الفساد الذي يحصل من الصبر على طاعة ولي الأمر الفاسق والظالم، الذي لم يصدر منه كفر بواح عندهم عليه من الله سلطان^(١).



(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٧٠٥٥)، ومسلم (١٧٠٩): عَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَقُلْنَا: حَدِّثْنَا -أَصْلَحَكَ اللَّهُ- بِحَدِيثٍ يَنْفَعُ اللَّهُ بِهِ، سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَايَعَنَا، فَكَانَ فِيْنَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَآثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ»، قَالَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ».

الأَصْلُ الرَّابِعُ: بَيَانُ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ، وَالْفِقْهِ وَالْفُقَهَاءِ، وَبَيَانُ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ.

• الشَّرْحُ •

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الأَصْلُ الرَّابِعُ: بَيَانُ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ، وَالْفِقْهِ وَالْفُقَهَاءِ)، هذا أَصْلٌ عَظِيمٌ، وهو بيان المراد بالعلم، وهو أَنَّ العلم هو العلم الشرعي المبني على كتاب الله وسُنَّةِ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا هو العلم النافع، أما علوم الدنيا من الحِرَف والصناعات والطب وغير ذلك، فهذه لا يطلق عليها «العلم» بدون قيد.

فإذا قيل: «العلم»، والذي فيه الفضل، فإن المراد به العلم الشرعي، أما علم الحِرَف والصناعات والمهن، فهذه علومٌ مباحةٌ، ولا يطلق عليها اسم العلم بدون قيد، إِنَّمَا يقال: «علم الهندسة»، و«علم الطب»، لكن للأسف أصبح الآن في عُرْف الناس إذا قيل: «العلم»، فإنه يراد به العلم الحديث، ويقولون إذا سمعوا شيئاً من القرآن: «هذا يشهد له العلم الحديث»، وإذا جاء حديثٌ، قالوا: «هذا يشهد له العلم».

صار «العلم» الآن يطلق على علم الحِرَف والصناعات والطب وغير ذلك، مع أنه قد يكون جهلاً؛ لأنه قد يعتريه شيءٌ من الخطأ الكثير؛ لأنه مجهودٌ بشري، خلاف العلم الشرعي؛ فإنه من الله، فهو ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وهم علماء الشرع، الذين يعرفون الله عَزَّوَجَلَّ، أما علماء الهندسة والصناعة والاختراع والطب، فهؤلاء قد يكونون يجهلون حق الله جَلَّوَعَلَا، ولا يعرفون الله، وإن عرفوه، فمعرفتهم قاصرة، لكن الذين يعرفون الله هم علماء الشرع، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]؛ لأنهم يعرفون الله بأسمائه وصفاته، ويعرفون حقه سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، وهذا لا يحصل بعلم الطب وعلم الهندسة، وإنما قد يحصل به توحيد الربوبية فقط، أما توحيد الألوهية، فهذا إنَّما يحصل بعلم الشرع.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَبَيَّانُ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ)، المقصود: بيان من تشبه بأهل العلم، وليس هو من أهل العلم، إنَّما يُحاكي أهل العلم، ويتشبه بهم، وهو لا يملك رصيذاً من العلم، وهذا ضرره عظيم على نفسه وعلى الأمة؛ لأنه يقول على الله بغير علم، ويُضل الناس بغير علم، قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٤]، وقد قيل: «يفسد الدنيا أربعة: نصف فقيه، ونصف نحوي، ونصف طبيب، ونصف متكلم؛ هذا يفسد البلدان، وهذا يفسد اللسان، وهذا يفسد الأبدان، وهذا يفسد الأديان»^(١).



(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥/١١٨-١١٩).

وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الْأَصْلَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]، إِلَى قَوْلِهِ قَبْلَ ذِكْرِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [البقرة: ١٢٢].

الشرح

الله جَلَّ وَعَلَا أنزل في سورة البقرة آيات كثيرة في بني إسرائيل؛ لتذكيرهم بنعمة الله عليهم، وأمرهم باتباع مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي يعرفون نبوته ورسالته في كتبهم، وبشرت به أنبياءهم، بدأها من قوله: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]، وختمها بقوله: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧]، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفْعَةٌ﴾ [البقرة: ١٢٣]، ثُمَّ ذَكَرَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: ١٢٤].

كل هذه الآيات ما بين الآية الأولى والآية الأخيرة آيات كثيرة، كلها في بني إسرائيل؛ لتذكيرهم بنعمة الله بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وأن الواجب عليهم أن يؤمنوا برسول الله مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وبنو إسرائيل هم أولاد يعقوب، فإسرائيل هو يعقوب؛ لأنهم من ذريته، وهم اثنا عشر سبطاً، كل ابن من أبنائه صار له ذرية، وكل ذرية يسمون السَّبَطَ؛ بمثابة القبائل في العرب، قال تَعَالَى: ﴿وَقَطَّعْنَهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٠].

وَيَزِيدُهُ وَضُوحًا مَا صَرَّحَتْ بِهِ السُّنَّةُ فِي هَذَا مِنَ الْكَلَامِ الْكَثِيرِ الْبَيِّنِ
الْوَاضِحِ لِلْعَامِّيِّ الْبَلِيدِ.

ثُمَّ صَارَ هَذَا أَغْرَبَ الْأَشْيَاءِ، وَصَارَ الْعِلْمُ وَالْفِقْهُ هُوَ الْبِدْعُ
وَالضَّلَالَاتُ.

— ❖ — الشَّرْحُ — ❖ —

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَيَزِيدُهُ وَضُوحًا مَا صَرَّحَتْ بِهِ السُّنَّةُ فِي هَذَا مِنَ الْكَلَامِ
الْكَثِيرِ الْبَيِّنِ الْوَاضِحِ لِلْعَامِّيِّ الْبَلِيدِ)، نعم، جاءت الأحاديث التي فيها من
الحث على تعلم العلم والترغيب فيه، وبيان ما هو العلم النافع وما هو العلم
الذي لا ينفع الشيء الكثير، وإذا راجعت كتاب «جامع بيان العلم وفضله»
لابن عبد البر أو غيره، عرفت هذا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ثُمَّ صَارَ هَذَا أَغْرَبَ الْأَشْيَاءِ، وَصَارَ الْعِلْمُ وَالْفِقْهُ هُوَ الْبِدْعُ
وَالضَّلَالَاتُ)، صار العلم والفقه عند بعض المتأخرين هو البدع والضلالات؛
لأنهم تركوا العلم الصحيح المبني على كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
وصار العلم عندهم: قال فلان، وقال فلان، وحكايات؛ كقولهم: «إن القبر
الفلاني ينفع من كذا، وإن البقعة الفلانية رأى فيها فلان في المنام كذا»، هذا
علم هؤلاء، أو يبحثون عن الأحاديث الموضوعة والمقبورة التي قبرها أهل
العلم، وبينوا أنها مكذوبة، فتجد المخرفين يجعلونها صحيحة، ويزينون لها
أسانيد، ويرممونها، ويقولون: «هذه أحاديث صحيحة»، ويترون الأحاديث
الصحيحة الواردة في البخاري ومسلم والسنن الأربع والمسانيد المعتمدة،
يترونها لأنها ليست في صالحهم.

وَخِيَارُ مَا عِنْدَهُمْ لَبَسَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ .

وَصَارَ الْعِلْمُ الَّذِي فَرَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْخَلْقِ وَمَدَحَهُ لَا يَتَفَوَّهُ بِهِ إِلَّا زِنْدِيقٌ أَوْ مَجْنُونٌ، وَصَارَ مَنْ أَنْكَرَهُ وَعَادَاهُ وَصَنَّفَ فِي التَّحْذِيرِ مِنْهُ وَالنَّهْيِ عَنْهُ هُوَ الْفَقِيهُ الْعَالِمُ .

— الشَّرْحُ —

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَخِيَارُ مَا عِنْدَهُمْ لَبَسَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ)، يجب أن يميّز الحق من الباطل، ويفصل بينهما، أما إذا خلط بينهما، فهذا هو التلبيس والغش والتدليس على الناس .

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَصَارَ الْعِلْمُ الَّذِي فَرَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْخَلْقِ وَمَدَحَهُ لَا يَتَفَوَّهُ بِهِ إِلَّا زِنْدِيقٌ أَوْ مَجْنُونٌ)؛ لأنه يخالف ما هم عليه، فالعلم الذي أثنى الله عليه وعلى أهله ومدحه صار عندهم جهلاً، ومن تفوه به -أي: تكلم به-، فهو مجنون؛ لأنهم يقولون: «إن العلم الذي فرضه الله يغير ما عليه الناس!! ويغير دين آبائنا وأجدادنا!!»

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَصَارَ مَنْ أَنْكَرَهُ وَعَادَاهُ وَصَنَّفَ فِي التَّحْذِيرِ مِنْهُ وَالنَّهْيِ عَنْهُ هُوَ الْفَقِيهُ الْعَالِمُ)، من صَنَّفَ في التحذير من العلم النافع، ومدح العلم المذموم ونشره في الناس يقولون عنه: «هذا هو الفقيه، هذا هو العالم»، أما من نشر العلم الصحيح، يقولون عنه: «هذا لا يصلح، وهذا جاهل»، وهذا يريد أن يفرق الناس، إنا نريد التجميع، لا نريد التفريق؛ أي: التجميع ولو على

الباطل، «ولا نريد التفريق»، الذي فيه تَمَيِّز الحق من الباطل، وتَمَيِّز الطيب من الخبيث، وهذا مُحَال، فإنه لا يحصل الاجتماع على الباطل، وإنما يحصل الاجتماع على الحق.

والشاعر يقول^(١):

إِذَا مَا الْجَرْحُ رُمَّ عَلَى فَسَادٍ تَبَيَّنَ فِيهِ إِهْمَالُ الطَّبِيبِ



(١) البيت للبحري. انظر: زهر الآداب وثمر الألباب (١/١٠٩)، والدر الفريد وبيت القصيد (٣/١٦٠).

الأصل الخامس: بَيَانُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ، وَتَفْرِيقُهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُتَشَبِّهِينَ بِهِمْ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْفُجَّارِ.

— الشرح —

نعم، هذا أصلٌ عظيمٌ، وهو التفريق بين أولياء الله وأولياء الشيطان؛ لأن أهل الباطل صاروا يسمون أولياء الشيطان أولياء الله، حتى إن هذا الأمر التبس على الناس، ولذلك صنف شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كتابًا نافعًا مفيدًا سماه: «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان».

قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، ثُمَّ بَيَّنَّهُمْ بقوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]، هؤلاء هم أولياء الله؛ جمعوا بين الإيثار وبين التقوى، بين العلم النافع والعمل الصالح، هؤلاء هم أولياء الله.

ليس أولياء الله من خرج على شرع الله وغير دين الله، ودعا إلى عبادة القبور والأضرحة؛ هذا ولي الشيطان.

وليس الولي هو الساحر والكاهن والخرافي الذي يظهر للناس مخاريق سحرية، ويقول: «هذه كراماتٌ!!»، وهي في الحقيقة مخاريق شيطانية.



وَيَكْفِي فِي هَذَا آيَةٌ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ (٣١) هِيَ قَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾.

الشرح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَيَكْفِي فِي هَذَا آيَةٌ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ (٣١) هِيَ قَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾)، محبة الله هي أعظم أنواع العبادة، وعلامة محبة الله: اتباع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالذي لا يتبع الرسول ليس ولياً لله، ولا يحب الله، وهؤلاء المخرفون يقولون: «لا يكون ولياً لله، إلا إذا خرج عن طاعة الرسول» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهم عندهم الولاية في الخروج عن سنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والاعتماد على الخرافات و البدع، هذه هي الولاية عندهم!!

هم يقولون: «نحن نعبد الله لأننا نحبه، لا نعبده خوفاً من ناره، ولا طمعاً في جنته، وإنها نعبده لأننا نحبه».

فيقال لهم: تُحِبُّونَهُ عَلَى طَرِيقَةٍ مِنْ؟ هل تُحِبُّونَهُ عَلَى طَرِيقَةِ الرُّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ عَلَى طَرِيقَةٍ غَيْرِهِ؟! إِنَّهُ لَا يُحِبُّ اللَّهُ، إِلَّا مَنْ اتَّبَعَ الرُّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هَذَا هُوَ الْفَاصِلُ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَيَّةٌ فِي الْمَائِدَةِ [٥٤]، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾)، هذه صفات

أولياء الله؛ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللَّهَ، وَيُحِبُّهُمْ اللَّهُ، وَيَكُونُونَ: ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]؛ يعني: يُحِبُّونَ الْمُؤْمِنِينَ، وَفِيهِمْ وِلَاءٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَفِيهِمْ بَغْضٌ وَبِرَاءَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

هذه أربع صفات، هي صفات أولياء الله.

وَأَمَّا الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِعِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ، يَدْعُونَ مَنْ فِي الْقُبُورِ وَالْأَمْوَاتِ وَالْأَضْرَحَةِ، وَيَسْمُونَ خَوَارِقَ الشَّيْطَانِ كِرَامَاتٍ مِنَ اللَّهِ، فَهَذِهِ صِفَاتُ أَعْدَاءِ اللَّهِ.



وَأَيَّةٌ فِي يُونُسَ (٦٢-٦٣). وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾.

ثُمَّ صَارَ الْأَمْرُ عِنْدَ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعِي الْعِلْمَ وَأَنَّهُ مِنْ هُدَاةِ الْخَلْقِ وَحُفَاطِ الشَّرْعِ، إِلَى أَنَّ الْأَوْلِيَاءَ لَا بُدَّ فِيهِمْ مِنْ تَرْكِ اتِّبَاعِ الرُّسُلِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَيْسَ مِنْهُمْ.

— الشَّرْحُ —

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَيَّةٌ فِي يُونُسَ [٦٢-٦٣]). وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾، فَأَنْتَ تَأْخُذُ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ صِفَةَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ؛ الْأُولَى: فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، وَالْآيَةُ الثَّانِيَّةُ: فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ، وَالثَّالِثَةُ: فِي سُورَةِ يُونُسَ، فِيهَا صِفَاتُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، مَنْ اتَّصَفَ بِهَا، فَهُوَ وَلِيُّ اللَّهِ، وَمَنْ اتَّصَفَ بِضِدِّهَا، فَهُوَ وَلِيُّ الشَّيْطَانِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ثُمَّ صَارَ الْأَمْرُ عِنْدَ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعِي الْعِلْمَ وَأَنَّهُ مِنْ هُدَاةِ الْخَلْقِ وَحُفَاطِ الشَّرْعِ، إِلَى أَنَّ الْأَوْلِيَاءَ لَا بُدَّ فِيهِمْ مِنْ تَرْكِ اتِّبَاعِ الرُّسُلِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَيْسَ مِنْهُمْ)، إِذَا خَرَجَ عَنِ الشَّرْعِ، يُقَالُ عَنْدهُمْ: «هَذَا عَارِفٌ وَصَلَ إِلَى اللَّهِ، لَيْسَ بِحَاجَةٍ إِلَى اتِّبَاعِ الرُّسُلِ، يَأْخُذُ عَنِ اللَّهِ مُبَاشَرَةً».

يَقُولُونَ: «أَنْتُمْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ عَنْ مِيتٍ -عَنْ مِيتٍ يَعْنِي: بِالْأَسَانِيدِ-، وَنَحْنُ نَأْخُذُ دِينَنَا عَنِ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ»، يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ عَنِ اللَّهِ

مباشرةً، ومن يأخذ عن الرسل، فليس من الأولياء عندهم، فلا يكون ولياً عندهم، إلا من خرج عن طاعة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولا يصير الولي الآن في عرف كثير من المتأخرين، إلا من بُني على قبره قبة أو مسجد، أما المدفون الذي دَفَنَهُ على السنة، الذي لم يوضع على قبره شيء، فهو عندهم ليس بولي، ولو كان من أفضل الناس.

ثم أيضاً عندهم الولي له زي خاص؛ بأن يلبس عمامة، ويلبس ثوباً خاصاً.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَيْسَ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ شَيْءٌ يَتَمَيَّزُونَ بِهِ عَنِ النَّاسِ فِي الظَّاهِرِ مِنَ الْأُمُورِ الْمُبَاحَاتِ فَلَا يَتَمَيَّزُونَ بِلباسٍ دُونَ لِبَاسٍ... بَلْ يُوجَدُونَ فِي جَمِيعِ أَصْنَافِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١))، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «رُبَّ أَشْعَثٍ، مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ نَوَاقِصَ عَلَى اللَّهِ لِأَبَرِّهِ»^(٢).

هذه صفات أولياء الله؛ أنهم لا يظهرون أنفسهم، بل يحرصون على الاختفاء؛ لأجل الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ.

إذاً من صفات أولياء الله: التواضع، والاختفاء وعدم الظهور.



(١) انظر: مجموع الفتاوى (١١/١٩٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الأَصْلُ السَّادِسُ: رَدُّ الشُّبْهَةِ الَّتِي وَضَعَهَا الشَّيْطَانُ فِي تَرْكِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ
وَاتِّبَاعِ الْأَرَاءِ وَالْأَهْوَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَهِيَ أَنَّ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ لَا يَعْرِفُهُمَا إِلَّا
الْمُجْتَهِدُ الْمُطْلَقُ.

❖ الشَّرْحُ ❖

هذا هو الأصل الأخير، وهو مهمٌ جدًّا، وهو أنَّهم يقولون: «إِنَّا لَا نَعْرِفُ
معاني الكتاب والسُّنة، وَلَا يُمكن أَنْ نَعْرِفَهَا، لَا يَعْرِفَهَا إِلَّا الْعُلَمَاءُ الْكِبَارُ».
فيقال لهم: القرآن فيه أشياء واضحة، يعرفها العامي، ويعرفها المتعلم،
تقوم بِهَا الْحُجَّةُ عَلَى الْخَلْقِ، وفيه أشياء لَا يَعْرِفَهَا إِلَّا الْعُلَمَاءُ، وفيه أشياء
لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

نعم، يوجد في القرآن والسُّنة أمور لَا يَعْرِفَهَا إِلَّا الْمُجْتَهِدُ الْمُطْلَقُ، لكن
توجد أشياء كثيرةٌ يَعْرِفُهَا الْعَوَامُ، وَيَعْرِفُهَا الْمُتَعَلِّمُ الَّذِي حَازَ عَلَى قَدَرٍ يَسِيرٍ مِنَ
الْعِلْمِ؛ مِثْلُ: قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]،
وقوله: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾
[المائدة: ٧٢]، ومثل: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَى﴾ [الإسراء: ٣٢]، ومثل: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ
الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣]، ومثل: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا
فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠].

هذه أمورٌ واضحةٌ، يعرفها العامي إذا سمعها.



وَالْمُجْتَهِدُ: هُوَ الْمُؤَصِّفُ بِكَذَا وَكَذَا أَوْ صَافًا لَعَلَّهَا لَا تُوجَدُ تَامَةً فِي أَبِي
بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

• الشرح •

يضعون شروطاً للمجتهد المطلق، قد لا توجد تامةً فيمن هم من
أفضل الناس؛ مثل: أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهذا الشروط وضعوها من
عند أنفسهم.

يقول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلُفْقَرَّانَ﴾ [النساء: ٨٢]. هذا عامٌّ
للمسلمين، كلُّ يعرف من القرآن ما يسر الله له، فالعامي يحصل على ما
يستطيع، والمتعلم يحصل على ما يستطيع، والراسخ في العلم يحصل على ما
يستطيع؛ ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧]، كل واحد
يأخذ من السيل قدره، كذلك العلم أنزله الله، وكل قلب يأخذ منه بقدره؛
قلب العامي، وقلب المتعلم، وقلب العالم، وقلب الراسخ في العلم، كل
واحد يأخذ بقدره، وبقدر ما أعطاه الله من الفهم، أما أنه لا يفهم شيئاً من
القرآن إلا المجتهد المطلق، فهذا كلام غير صحيح.

ويقولون: «محاولة فهم القرآن من التكليف بما لا استطاع»، والشروط
التي ذكرها العلماء، وقالوا: «لابد أن تتوفر في المفتي» يريدون بها: المجتهد
المطلق، ولا يريدون أنها لابد أن تتوفر في كل من يريد أن يتدبر القرآن
ويستفيد منه، ثم هي شروط لاستنباط الأحكام الغامضة الخفية، وليست
شرطاً في فهم الأمور الواضحة مثل التوحيد والشرك، والواجبات الظاهرة
والمحرمات الظاهرة.

وَمَنْ طَلَبَ الْهُدَىٰ مِنْهُمَا فَهُوَ: إِمَّا زَنْدِيقٌ، وَإِمَّا مَجْنُونٌ؛ لِأَجْلِ صُعُوبَةِ
فَهْمِهِمَا، فَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، كَمْ بَيْنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ شَرْعًا وَقَدْرًا، خَلْقًا وَأَمْرًا
فِي رَدِّ هَذِهِ الشُّبْهَةِ الْمَلْعُونَةِ مِنْ وَجْهِهِ شَتَّى بَلَغَتْ إِلَى حَدِّ الضَّرُورِيَّاتِ الْعَامَّةِ،
﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْيُنِهِمْ
أَغْلَاقًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ (٨) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩) وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ
أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠) إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ
بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿[يس: ٧-١١].

— الشَّرْحُ —

هذه الآيات في المعرضين عن تدبر كلام الله وكلام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
وفي آخرها الذي مَنْ الله عليه، وهو ﴿مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ﴾
[يس: ١١]، فهذا مثل للفريقين.



آخِرُهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

— ❦ الشَّرْحُ ❦ —

ختم الرسالة بمثل ما بدأها به؛ بحمد الله والصلاة والسلام على رسوله
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا من محاسن التأليف والتعليم، وذلك بالثناء على الله أولاً
وآخرًا، والصلاة والسلام على رسوله معلم الخير والداعي إلى الله، صلى الله
عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه، وسار على نهجه، وتمسك بسنته
إلى يوم الدين.

والحمد لله رب العالمين.



فهرس المراجع

❖ الإبانة الكبرى لابن بطة، المؤلف: أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد ابن حمدان العُكْبَرِي المعروف بابن بَطَّة العكبري (المتوفى: ٣٨٧هـ)، المحقق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، الناشر: دار الراجة للنشر والتوزيع، الرياض، عدد الأجزاء: ٩.

❖ الآحاد والمثاني، المؤلف: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، المحقق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، الناشر: دار الراجة - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩١، عدد الأجزاء: ٦.

❖ أحكام القرآن، المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ٤.

❖ الأشباه والنظائر، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م، عدد الأجزاء: ٢.

❖ اشتقاق أسماء الله، المؤلف: عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (المتوفى: ٣٣٧هـ)، المحقق: د. عبد الحسين

المبارك، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م،
عدد الأجزاء: ١.

❁ الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد
ابن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد
الموجود وعلي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت،
الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ٨.

❁ إعلام الموقعين عن رب العالمين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن
سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، تحقيق: محمد عبد
السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى،
١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، عدد الأجزاء: ٤.

❁ الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: موسى بن أحمد بن موسى
ابن سالم بن عيسى بن سالم الحجاوي المقدسي، ثم الصالحي، شرف
الدين، أبو النجا (المتوفى: ٩٦٨ هـ)، المحقق: عبد اللطيف محمد موسى
السبكي، الناشر: دار المعرفة بيروت - لبنان، عدد الأجزاء: ٤.

❁ أمراض القلب وشفائها، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد
الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني
الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، الناشر: المطبعة السلفية - القاهرة،
الطبعة: الثانية، ١٣٩٩ هـ، عدد الأجزاء: ١.

❁ أنوار البروق في أنواء الفروق، المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد
ابن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤ هـ)،
الناشر: عالم الكتب، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ، عدد الأجزاء: ٤.

- ❖ البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.
- ❖ البدء والتاريخ، المؤلف: المطهر بن طاهر المقدسي (المتوفى: نحو ٣٥٥هـ)، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، عدد الأجزاء: ٦.
- ❖ البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ❖ بدائع الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، عدد الأجزاء: ٤.
- ❖ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ١٥.
- ❖ تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ)، الناشر: دار التراث - بيروت، الطبعة: الثانية - ١٣٨٧هـ، عدد الأجزاء: ١١.

❖ تاريخ بغداد، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: ١٦.

❖ تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، المؤلف: ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٤هـ، عدد الأجزاء: ١.

❖ التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، عدد الأجزاء: ٣٠ (والجزء رقم ٨ في قسمين).

❖ تحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام، المؤلف: عبد العزيز ابن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ، عدد الصفحات: ٢٣٢، عدد الأجزاء: ١.

❖ تحفة المحتاج في شرح المنهاج، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، روجعت وصححت: على عدة نسخ بمعرفة لجنة من العلماء، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى بمصر لصاحبها مصطفى محمد، الطبعة:

بدون طبعة، عام النشر: ١٣٥٧ هـ - ١٩٨٣ م، (ثم صورتها دار إحياء التراث العربي - بيروت، بدون طبعة وبدون تاريخ)، عدد الأجزاء: ١٠.

✽ التحقيق والبيان في شرح البرهان في أصول الفقه، المؤلف: علي بن إسماعيل الأبياري (المتوفى ٦١٦ هـ)، (تنبيه) / ورد على الغلاف عام الوفاة ٦١٨ لكن المحقق رجح في المقدمة أن الوفاة عام ٦١٦، المحقق: د. علي بن عبد الرحمن بسام الجزائري، أصل التحقيق: أطروحة دكتوراه للمحقق، الناشر: دار الضياء - الكويت (طبعة خاصة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة قطر)، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م، عدد الأجزاء: ٤.

✽ التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

✽ التفسير البسيط، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨ هـ)، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ، عدد الأجزاء: ٢٥ (٢٤ وجزء للفهارس).

✽ تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون

مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٢٦ مجلد ٢٤ مجلد ومجلدان فهارس.

✽ تفسير القرآن العزيز، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩ هـ)، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة - مصر / القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: ٥.

✽ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن ابن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧ هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ.

✽ تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤ هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٨.

✽ تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ

إبراهيم رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة: الأولى
- ١٤١٠هـ.

✽ تفسير القرآن، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن
أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)،
المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن،
الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

✽ تفسير الماوردي = النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن
محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)،
المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب
العلمية - بيروت / لبنان، عدد الأجزاء: ٦.

✽ تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، المؤلف: أبو البركات
عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه
وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب
مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ -
١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٣.

✽ تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور
(المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء
التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ٨.

✽ توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم،
المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله بن عيسى

(المتوفى: ١٣٢٧هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٦، عدد الأجزاء: ٢.

✽ التوقيف على مهمات التعاريف، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ١.

✽ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، المؤلف: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: ١٢٣٣هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

✽ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، عدد الأجزاء: ٩.

✽ جامع بيان العلم وفضله، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ٢.

❖ الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، عدد الأجزاء: ٢٠ جزءاً (في ١٠ مجلدات).

❖ جمهرة اللغة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧ م، عدد الأجزاء: ٣.

❖ الجواهر المضية في طبقات الحنفية، المؤلف: عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (المتوفى: ٧٧٥هـ)، الناشر: مير محمد كتب خانه - كراتشي، عدد الأجزاء: ٢.

❖ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤ م، ثم صورتها عدة دور منها، ١ - دار الكتاب العربي - بيروت. ٢ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. ٣ - دار الكتب العلمية - بيروت (طبعة ١٤٠٩هـ بدون تحقيق)، عدد الأجزاء: ١٠.

❖ الدر الفريد وبيت القصيد، المؤلف: محمد بن أيذر المستعصمي (٦٣٩هـ - ٧١٠هـ)، المحقق: الدكتور كامل سلمان الجبوري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥ م، عدد الأجزاء: ١٣ (آخر جزئين فهارس).

❖ درء تعارض العقل والنقل، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحاراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، عدد الأجزاء: ١٠.

❖ دَرْجُ الدَّرَرِ فِي تَفْسِيرِ الآيِ وَالسُّورِ، المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، دراسة وتحقيق: (الفاطحة والبقرة) وَلِيدِ بْنِ أَحْمَدِ بْنِ صَالِحِ الْحُسَيْنِ، (وشاركة في بقية الأجزاء): إِيَادِ عَبْدِ اللَّطِيفِ الْقَيْسِيِّ، الناشر: مجلة الحكمة، بريطانيا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ٤ (في ترتيب مسلسل واحد).

❖ الدروس المهمة لعامة الأمة، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ).

❖ الدعاء للطبراني، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٣، عدد الأجزاء: ١.

❖ دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات، المؤلف: منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي (المتوفى: ١٠٥١هـ)، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، عدد الأجزاء: ٣.

❖ دلائل النبوة، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرُو جَردي
الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: د. عبد المعطي
قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة: الأولى
- ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ٧.

❖ دليل الطالب لنيل المطالب، المؤلف: مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي
(المتوفى: ١٠٣٣هـ)، المحقق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الناشر: دار
طبية للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ /
٢٠٠٤ م.

❖ روضة الطالبين وعمدة المفتين، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى
ابن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر:
المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - عمان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢ هـ /
١٩٩١ م، عدد الأجزاء: ١٢.

❖ روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد
ابن حنبل، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن
قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي
(المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع،
الطبعة: الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: ٢.

❖ زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن
علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي،
الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

✽ زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ٥.

✽ الزاهر في معاني كلمات الناس، المؤلف: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ)، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، عدد الأجزاء: ٢.

✽ الزهد والرقائق لابن المبارك، المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك ابن واضح الحنظلي، التركي ثم المروزي (المتوفى: ١٨١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١.

✽ زهر الآداب وثمر الألباب، لإبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحصري القيرواني (المتوفى: ٤٥٣هـ)، الناشر: دار الجيل، بيروت، عدد الأجزاء: ٤.

✽ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار النشر: دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، عدد الأجزاء: ١٤.

✽ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، المؤلف: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (المتوفى: ١١١١هـ)، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: ٤.

✽ السنة، المؤلف: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال البغدادي الحنبلي (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: د. عطية الزهراني، الناشر: دار الراجعية - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م، عدد الأجزاء: ٧.

✽ سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، عدد الأجزاء: ٢.

✽ سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير ابن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، عدد الأجزاء: ٤.

✽ سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة

مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م،
عدد الأجزاء: ٥ أجزاء.

✽ السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني،
النسائي (المتوفى: ٣٠٣ هـ)، المحقق: حسن عبد المنعم شلبي، الناشر:
مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، عدد
الأجزاء: (١٠ و ٢ فهارس).

✽ السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرَوِجَردي
الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨ هـ)، المحقق: محمد عبد القادر
عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة،
١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

✽ سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن
عثمان بن قَائِمَاز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨ هـ)، الناشر: دار الحديث - القاهرة،
الطبعة: ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، عدد الأجزاء: ١٨.

✽ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المؤلف: عبد الحي بن أحمد بن محمد
ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩ هـ)، حققه: محمود
الأرنؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير،
دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، عدد الأجزاء: ١١.

✽ شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ
ابن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى:
٧٩٢ هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية،

والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ، عدد الأجزاء: ١.

✽ شرح مشكل الآثار، المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م، عدد الأجزاء: ١٦ (١٥ جزء للفهارس).

✽ شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرَوِجَردِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخراج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ١٤ (١٣)، ومجلد للفهارس).

✽ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، عدد الأجزاء: ٦.

✽ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى:

٣٥٤هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣، عدد الأجزاء: ١٨ (١٧ جزء ومجلد فهارس).

✽ صحيح مسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، عدد الأجزاء: ٥.

✽ صفة الصفوة، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: أحمد بن علي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة: ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٢.

✽ طبقات الحنابلة، المؤلف: أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (المتوفى: ٥٢٦هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، عدد الأجزاء: ٢.

✽ طبقات الشافعية الكبرى، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ، عدد الأجزاء: ١٠.

✽ العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: ٨.

✽ غريب الحديث، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨ هـ)، المحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، الناشر: دار الفكر - دمشق، عام النشر: ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، عدد الأجزاء: ٣.

✽ غريب الحديث، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦ هـ)، المحقق: د. عبد الله الجبوري، الناشر: مطبعة العاني - بغداد، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧، عدد الأجزاء: ٣.

✽ الفاخر، المؤلف: المفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب (المتوفى: نحو ٢٩٠ هـ)، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، مراجعة: محمد علي النجار، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، الطبعة: الأولى، ١٣٨٠ هـ، عدد الأجزاء: ١.

✽ الفتاوى الكبرى لابن تيمية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحرائي الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م، عدد الأجزاء: ٦.

✽ فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، عدد الأجزاء: ١٣.

✽ فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

✽ الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، المؤلف: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الإسفراييني، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ)، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧ م، عدد الأجزاء: ١.

✽ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق، عام النشر: ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، عدد الأجزاء: ١.

✽ قانون التأويل، المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، دراسة وتحقيق: محمد السليمان، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، عدد الأجزاء: ١.

✽ الكافي في فقه الإمام أحمد، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد ابن محمد بن قدامة الجماعلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ٤.

✽ الكامل في التاريخ، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ١٠.

✽ الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩، عدد الأجزاء: ٧.

✽ الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ١٠.

✽ الكنى والأسماء، المؤلف: أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الأنصاري الدولابي الرازي (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الناشر: دار ابن حزم - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٣.

✽ اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي ابن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ

عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: ٢٠.

✽ لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١ هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، عدد الأجزاء: ١٥.

✽ المبدع في شرح المقنع، المؤلف: إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (المتوفى: ٨٨٤ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ٨.

✽ مجمع الأمثال، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (المتوفى: ٥١٨ هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار المعرفة - بيروت، لبنان، عدد الأجزاء: ٢.

✽ مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، المحقق: عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م.

✽ محاسن التأويل، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢ هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

✽ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق ابن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

✽ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق ابن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

✽ المحصول، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

✽ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، عدد الأجزاء: ٢.

✽ مساوئ الأخلاق ومذمومها، المؤلف: أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد ابن سهل بن شاكر الخرائطي السامري (المتوفى: ٣٢٧هـ)، حققه وخرج نصوصه وعلق عليه: مصطفى بن أبو النصر الشلبي، الناشر: مكتبة السوادى للتوزيع، جدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، عدد الأجزاء: ١.

✽ المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠، عدد الأجزاء: ٤.

✽ المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠، عدد الأجزاء: ٤.

✽ مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ابن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

✽ مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو ابن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة

المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)، عدد الأجزاء: ١٨.

✽ مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، المؤلف: أبو محمد عبد الله ابن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٤.

✽ مسند الشاميين، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٤، عدد الأجزاء: ٤.

✽ مسند الشاميين، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٤، عدد الأجزاء: ٤.

✽ المسودة في أصول الفقه، المؤلف: آل تيمية [بدأ بتصنيفها الجدّ: مجد الدين عبد السلام بن تيمية (ت: ٦٥٢هـ)، وأضاف إليها الأب: عبد الحليم بن تيمية (ت: ٦٨٢هـ)، ثم أكملها الابن الحفيد: أحمد بن تيمية (٧٢٨هـ)]، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الكتاب العربي، عدد الأجزاء: ١.

❖ معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ، عدد الأجزاء: ٥.

❖ معاني القرآن وإعرابه، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ٥.

❖ معاني القرآن، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاشي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة: الأولى.

❖ المعجم الأوسط، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة، عدد الأجزاء: ١٠.

❖ المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة: الثانية، عدد الأجزاء: ٢٥، ويشمل القطعة التي نشرها لاحقاً المحقق الشيخ حمدي السلفي من المجلد ١٣ (دار الصميعي - الرياض / الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م).

✽ معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، عدد الأجزاء: ٦.

✽ المغني لابن قدامة، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: مكتبة القاهرة، عدد الأجزاء: ١٠، تاريخ النشر: ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

✽ المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢هـ.

✽ المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، المحقق: محمد عثمان الخشت، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، عدد الأجزاء: ١.

✽ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي الأشعري، تحقيق هلموت ريتز، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا).

✽ المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، المؤلف: إبراهيم بن محمد ابن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (المتوفى: ٨٨٤هـ)، المحقق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة

الرشد - الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م،
عدد الأجزاء: ٣.

✽ المقصور والممدود، المؤلف: أبو علي القالي إسماعيل بن القاسم (٢٨٠ هـ - ٣٥٦ هـ)، المحقق: د. أحمد عبد المجيد هريدي (أبو نهلة)، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

✽ الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الناشر: مؤسسة الحلبي، عدد الأجزاء: ٣.

✽ منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، عدد المجلدات: ٩.

✽ منهاج الطالبين وعمدة المفتين في الفقه، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ)، المحقق: عوض قاسم أحمد عوض، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ١.

✽ موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، المؤلف: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨ هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة

الأجنبية: د. جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت،
الطبعة: الأولى - ١٩٩٦ م. عدد الأجزاء: ٢.

✽ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد
ابن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨ هـ)، تحقيق: علي محمد
البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة:
الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م، عدد الأجزاء: ٤.

✽ النبوات، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام
ابن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي
(المتوفى: ٧٢٨ هـ)، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، الناشر:
أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى،
١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٢.

✽ نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤلف: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد
ابن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى:
٧٣٣ هـ)، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى،
١٤٢٣ هـ، عدد الأجزاء: ٣٣.

✽ النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات
المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن
الأثير (المتوفى: ٦٠٦ هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩ هـ
- ١٩٧٩ م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، عدد
الأجزاء: ٥.

❖ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، عدد الأجزاء: ٧.

❖ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، المحقق: د. مفيد محمد قمحية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، عدد الأجزاء: ٤.



فهرس الموضوعات

- مقدمة الناشر..... ٥
- مقدمة الشارح..... ٩
- الرَّسَالَةُ الْأُولَى: شَرْحُ سِتَّةِ مَوَاضِعَ مِنَ السَّيْرِ النَّبَوِيَّةِ..... ١١
- تعريف السيرة..... ١٣
- المقصود من دراسة سيرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..... ١٤
- أَكْثَرَ مَنْ يَدَّعِي الدِّينَ وَيَدَّعِي أَنَّهُ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ لَا يَفْهَمُ السُّنَّةَ كَمَا يَنْبَغِي... ١٧
- المَوْضِعُ الْأَوَّلُ: قِصَّةُ نُزُولِ الْوَحْيِ..... ١٩
- أهل الجاهلية كانوا يمارسون القبائح، ومع هذا عندهم بقايا من دين
- إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ..... ٢٢
- الشُّرْكُ أَجَلٌ مَا يَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَى اللَّهِ عِنْدَهُمْ..... ٢٣
- أول ما أمر به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإنذار عن الشرك..... ٢٥
- أهل الجاهلية كانوا متشتمين في عباداتهم ومعبوداتهم..... ٢٦
- إِنْ أَحْكَمْتَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ، فَيَا بُشْرَاكَ..... ٢٧
- الصلوات الخمس الركن الثاني من أركان الإسلام بعد الشهادتين..... ٢٧
- قصة حِصَارِ الشَّعْبِ..... ٢٨

معاداة المشركون للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسبب الأمر بالتوحيد والنهي

عن الشرك..... ٣٠

المَوْضِعُ الثَّانِي: أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَامَ يُنْذِرُهُمْ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَأْمُرُهُمْ بِضِدِّهِ - وَهُوَ التَّوْحِيدُ -، لَمْ يَكْرَهُوا ذَلِكَ، وَاسْتَحْسَنُوهُ، وَحَدَّثُوا أَنْفُسَهُمْ بِالِدُّخُولِ فِيهِ، إِلَى أَنْ صَرَخَ بِسَبِّ دِينِهِمْ وَتَجْهِيلِ عُلَمَائِهِمْ،

فَحِينَئِذٍ شَمَرُوا لَهُ وَلَأَصْحَابِهِ عَنْ سَاقِ الْعَدَاوَةِ..... ٣١

الْإِنْسَانُ لَا يَسْتَقِيمُ لَهُ إِسْلَامٌ - وَلَوْ وَحَّدَ اللَّهَ، وَتَرَكَ الشِّرْكَ -،

إِلَّا بِعَدَاوَةِ الْمُشْرِكِينَ وَالتَّضَرُّيْحِ لَهُمْ بِالْعَدَاوَةِ وَالبُغْضِ..... ٣٤

المَوْضِعُ الثَّلَاثُ: قِصَّةُ قِرَاءَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُورَةَ النَّجْمِ بِحَضْرَتِهِمْ..... ٣٨

سند قصة الغرائق..... ٤٠

المَوْضِعُ الرَّابِعُ: قِصَّةُ أَبِي طَالِبٍ..... ٤٦

لا يكفي الإقرار بأن الإسلام حق، وذم الشرك والمشركون، إلا باتباع

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..... ٥١

المَوْضِعُ الْخَامِسُ: قِصَّةُ الْهَجْرَةِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْفَوَائِدِ وَالْعِبَرِ..... ٥٣

المَوْضِعُ السَّادِسُ: قِصَّةُ الرَّدَّةِ بَعْدَ مَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..... ٦٢

الرِّسَالَةُ الثَّانِيَّةُ: تَفْسِيرُ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ..... ٧٧

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هِيَ الْفَارِقَةُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِسْلَامِ..... ٨٠

هِيَ كَلِمَةُ التَّقْوَى، وَهِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى، وَهِيَ الَّتِي جَعَلَهَا إِبْرَاهِيمُ

عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ؛ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ..... ٨٣

وَلَيْسَ الْمُرَادُ قَوْلَهَا بِاللِّسَانِ مَعَ الْجَهْلِ بِمَعْنَاهَا..... ٨٥

- كلمة التوحيد نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ..... ٩٥
- معنى الألوهية..... ٩٦
- تفسير أهل وحدة الوجود لكلمة التوحيد..... ٩٦
- تفسير علماء الكلام لكلمة التوحيد..... ٩٧
- تفسير لا إله إلا الله عند الجهمية والمعتزلة، ومن سار على نهجهم..... ٩٨
- تفسير الحزبيين والإخوانيين اليوم..... ٩٩
- تفسير أهل السنة والجماعة..... ٩٩
- قَوْلُ الرَّجُلِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» إِبْطَالٌ لِلْوَسَائِطِ..... ١٠٢
- الْكُفَّارُ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَتَلَهُمْ، وَأَبَاحَ أَمْوَالَهُمْ،
وَاسْتَحْلَلَ نِسَاءَهُمْ كَانُوا مُقَرَّرِينَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ..... ١٠٣
- تَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ هُوَ أَنْ لَا يُدْعَى وَلَا يُرْجَى إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ..... ١٠٥
- المشركون الأولون متفرقون في عباداتهم..... ١٠٧
- الإسلام الصحيح غريب اليوم..... ١١١
- كفر أهل زماننا أعظم من كفر المشركين الأولين..... ١١٢
- الرِّسَالَةُ الثَّالِثَةُ: شَرْحُ رِسَالَةِ الْجَامِعِ لِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ..... ١١٥
- تعريف العبادة لغة وشرعاً..... ١١٧
- العبادة أنواع كثيرة..... ١٢٠
- أعظم أنواع العبادة الدعاء..... ١٢١
- الاستعانة..... ١٢٣
- طلب العون على قسمين..... ١٢٣

- ١٢٥..... الاستغاثة
- ١٢٦..... الذبح على قسمين
- ١٢٨..... النذر
- ١٢٩..... الخوف، والرَّجاءُ
- ١٣٠..... من أنواع العبادة التوكل
- ١٣٢..... الإنابة، والمحبة
- ١٣٤..... الحشية، والرَّغبة، والرَّهبة والتَّألهُ
- ١٣٥..... الرُّكوعُ والسُّجودُ
- ١٣٦..... الخشوع، والتَّذلُّلُ، والتَّعظيمُ الَّذِي هُوَ مِنْ خَصَائِصِ الإِلهِيَّةِ
- ١٣٧..... دَلِيلُ الدُّعَاءِ
- ١٣٩..... دَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ، وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ، وَدَلِيلُ الذَّبْحِ
- ١٤١..... دَلِيلُ النَّذْرِ، وَدَلِيلُ الْخَوْفِ
- ١٤٣..... دَلِيلُ الرَّجَاءِ، وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ، وَدَلِيلُ الْإِنَابَةِ
- ١٤٥..... دَلِيلُ الْمَحَبَّةِ، وَدَلِيلُ الْحَشْيَةِ، وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ
- ١٤٧..... دَلِيلُ التَّأَلُّهِ، وَدَلِيلُ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ
- ١٤٩..... دَلِيلُ الْخُشُوعِ
- ١٤٩..... مَنْ صَرَفَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَدْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ غَيْرُهُ
- ١٥١..... أَعْظَمَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ التَّوْحِيدَ، وَأَعْظَمَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ الشِّرْكَ
- ١٥٢..... مَنْ صَرَفَ شَيْئًا مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَدْ اتَّخَذَهُ رَبًّا وَإِلَهًا

- الرَّسَالَةُ الرَّابِعَةُ: مَعْنَى الطَّاغُوتِ وَرُؤُوسِ أَنْوَاعِهِ..... ١٥٣
- أَوَّلُ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالْإِيمَانَ بِهِ..... ١٥٥
- أَقْوَالُ الْمَفْسِرِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾..... ١٥٦
- تَعْرِيفُ الطَّاغُوتِ وَأَنْوَاعِهِ..... ١٥٨
- صِفَةُ الْكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ..... ١٦٥
- مَعْنَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ..... ١٦٥
- مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ الَّتِي سَفِهَ نَفْسَهُ مِنْ رَغَبَ عَنْهَا..... ١٦٩
- الطَّوَاعِيتُ كَثِيرَةٌ، وَرُؤُوسُهَا خَمْسَةٌ..... ١٧٢
- الْإِنْسَانُ لَا يَصِيرُ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ إِلَّا بِالْكَفْرِ بِالطَّاغُوتِ..... ١٨٢
- الرُّشْدُ: دِينُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْغِيُّ: دِينُ أَبِي جَهْلٍ، وَالْعُرْوَةُ
الْوُثْقَى: هِيَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ..... ١٨٢
- الرَّسَالَةُ الْخَامِسَةُ: بَعْضُ فَوَائِدَ مِنْ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ..... ١٨٣
- أَسْمَاءُ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ..... ١٨٥
- سُورَةُ الْفَاتِحَةِ تَتَضَمَّنُ مَعَانِي جَلِيلَةً؛ فَفِيهَا أَنْوَاعُ التَّوْحِيدِ الثَّلَاثَةِ..... ١٨٨
- الدُّعَاءُ عَلَى قَسَمَيْنِ..... ١٨٨
- كُلُّ مَنْ نَفَى الصِّفَاتِ أَوْ نَفَى شَيْئًا مِنْهَا، فَهَذِهِ السُّورَةُ تَرُدُّ عَلَيْهِمْ..... ١٨٨
- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٣﴾ مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾
- هَذِهِ الْآيَاتُ تَضَمَّنَتْ ثَلَاثَ مَسَائِلَ..... ١٩٢
- الْمَحَبَّةُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ..... ١٩٢
- الْمَحَبَّةُ تَنْقَسِمُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ..... ١٩٤

- الآيَةُ الثَّانِيَّةُ: فِيهَا الرَّجَاءُ، وَالْآيَةُ الثَّلَاثَةُ: فِيهَا الْخَوْفُ..... ١٩٩
- نَعْبُدُ اللَّهَ بِهَذِهِ الثَّلَاثَةِ: الْمَحَبَّةُ وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ..... ٢٠٠
- ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فِيهَا تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ وَتَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ... ٢٠٤
- ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فِيهَا الرَّدُّ عَلَى الْمُتَبَدِّعِينَ..... ٢٠٥
- الهداية على نوعين..... ٢٠٥
- الناس إما منعم عليهم، وإما مغضوب عليهم، وإما ضالون..... ٢٠٦
- هَذِهِ السُّورَةُ تَضَمَّنَتْ الْأُلُوهِيَّةَ وَالرُّبُوبِيَّةَ وَنَفَى النِّقَائِصَ عَنِ
اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَتَضَمَّنَتْ مَعْرِفَةَ الْعِبَادَةِ وَأَرْكَانَهَا..... ٢١٢
- الرِّسَالَةُ السَّادِسَةُ: نَوَاقِضُ الْإِسْلَام..... ٢١٥
- تعريف النواقض..... ٢١٧
- دراسة هذه النواقض مهمة جداً..... ٢١٩
- الْأَوَّلُ: الشِّرْكُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ..... ٢٢٢
- الثَّانِي: مَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ وَسَائِطَ يَدْعُوهُمْ وَيَسْأَلُهُمُ الشَّفَاعَةَ،
وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِمْ، كَفَرَ إجماعاً..... ٢٢٧
- الثَّالِثُ: مَنْ لَمْ يُكْفِرِ الْمُشْرِكِينَ، أَوْ شَكَّ فِي كُفْرِهِمْ، أَوْ صَحَّحَ
مَذْهَبَهُمْ، كَفَرَ..... ٢٢٩
- الرَّابِعُ: مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ غَيْرَ هَذِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْمَلَ مِنْ هَدْيِهِ،
وَأَنَّ حُكْمَ غَيْرِهِ أَحْسَنُ مِنْ حُكْمِهِ..... ٢٣٠
- الْخَامِسُ: مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
-وَلَوْ عَمِلَ بِهِ-، كَفَرَ..... ٢٣٢

- السَّادِسُ: مَنْ اسْتَهْزَأَ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
 ٢٣٣..... أَوْ ثَوَابِ اللَّهِ، أَوْ عِقَابِهِ، كَفَرَ.
- السَّابِعُ: السَّحَرُ - وَمِنْهُ: الصَّرْفُ وَالْعَطْفُ-، فَمَنْ فَعَلَهُ
 ٢٣٦..... أَوْ رَضِيَ بِهِ كَفَرَ.
- الثَّامِنُ: مُظَاهَرَةُ الْمُشْرِكِينَ وَمُعَاوَنَتُهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ..... ٢٣٨
- التَّاسِعُ: مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسْعُهُ الْخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كَمَا وَسِعَ الْخَضِرُ الْخُرُوجَ عَنْ شَرِيعَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ،
 ٢٣٩..... فَهُوَ كَافِرٌ.
- الْعَاشِرُ: الْإِعْرَاضُ عَنْ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَتَعَلَّمُهُ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ..... ٢٤٢
- الْحَافِثَةُ..... ٢٤٤
- الرِّسَالَةُ السَّابِعَةُ: شَرْحُ الْأُصُولِ السِّتَةِ..... ٢٤٧
- مِنْ أَعْجَبِ الْعُجَابِ، وَأَكْبَرَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَةِ الْمَلِكِ الْغَلَابِ
 سِتَّةُ أُصُولٍ بَيْنَهَا اللَّهُ تَعَالَى بَيَانًا وَاضِحًا لِلْعَوَامِّ..... ٢٤٩
- الْأَصْلُ الْأَوَّلُ: إِخْلَاصُ الدِّينِ لِلَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ..... ٢٥٢
- الْأَصْلُ الثَّانِي: أَمَرَ اللَّهُ بِالْاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ وَنَهَى عَنِ التَّفَرُّقِ فِيهِ،
 فَيَنْبَغِي لِلَّهِ هَذَا بَيَانًا شَافِيًا تَفْهَمُهُ الْعَوَامُّ..... ٢٦٠
- الْأَصْلُ الثَّالِثُ: أَنَّ مِنْ تَمَامِ الْاجْتِمَاعِ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ لِمَنْ تَأَمَّرَ عَلَيْنَا
 وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا..... ٢٧١
- الْأَصْلُ الرَّابِعُ: بَيَانُ الْعِلْمِ وَالْعِلْمَاءِ، وَالْفِقْهِ وَالْفُقَهَاءِ، وَبَيَانُ مَنْ
 تَشَبَّهَ بِهِمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ..... ٢٧٤

- الأصل الخامس: بيان الله سبحانه لأوليائه الله، وتفريقه بينهم وبين المتشبهين بهم من أعداء الله والمنافقين والفجار..... ٢٨٠
- الأصل السادس: ردُّ الشبهة التي وضعها الشيطان في ترك القرآن والسنة واتباع الآراء والأهواء المتفرقة المختلفة، وهي أن القرآن والسنة لا يعرفهما إلا المجتهد المطلق..... ٢٨٥
- ختم الرسالة..... ٢٨٨
- فهرس المراجع..... ٢٨٩
- فهرس الموضوعات..... ٣١٧